الحركة الاسلامية الفلسطينية

والنظام العالمي الجديد

د. اياد البرغوثي

PASSIA
الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية - القدس الشريف

الحركة الإسلامية الفلسطينية

والنظام العالمي الجديد

د. اياد البرغوثي

PASSIA
الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية - القدس الشريف

الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية، مؤسسة فلسطينية مستقلة، لا تسعى للربح او التجاره او المنفعة المالية، وغير مرتبطة بأية جهة حكومة او حزبية او تنظيمية او طائفية، وتهدف اعداد بحوث ودراسات وعقد ندوات ومؤتمرات متخصصة في المسألة الفلطسينية في مضمونها الوطني الفلسطيني واطارها القومي العربي وأبعادها الدولية، والاسهام في توظيف هذا الجهد الاكاديمي للتعريف بخصوصية وعناصر المسألة الفلسطينية محليا واقليميا ودوليا.

إن ما ورد في هذه الدراسة من آراء وأفكار، يعبر عن وجهة نظر الباحث الشخصية ولا يعكس او يمثل بالضرورة موقف او رأي الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية، او العاملين فيها. وقد قدم الباحث الدكتور اياد البرغوثي المحاضر في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، هذه الدراسة لبرنامج البحوث في الجمعية الذي يبرز التعددية الفكرية والمنهجية في اعداد البحوث في اطار من الحرية الاكاديمية.

Dr. Iyad Barghouti

The Palestinian Islamic Movement in
Palestine and the New World Order

جميع الحقوق محفوظة للجميعة

الطبعة الأولى - كانون أول ١٩٩٢.

PASSIA Publication

First Edition - December 1992

PASSIA

Tel: (02)894426 Fax: (02)282819

P.O.Box 19545 - East Jerusalem

المحتويات

مقدمة ---------- ٥

الفصل الأول

العمل الاسلامي في الاراضي الفلسطينية المحتلة، الاهداف والمواقف ---------- ٧
الاخوان المسلمون ---------- ٧
حزب التحرير الاسلامي ---------- ١٤
حركة الجهاد الاسلامي ---------- ٢٠

الفصل الثاني

واقع العمل الاسلامي الفلسطيني في الفترة الحالية ---------- ٢٩
(١) المزيد من الاسلمة ---------- ٢٩
(٢) دينامية العلاقة مع التنظيمات الوطنية في الظروف الجديدة ---------- ٣٣
(أ) حركة الجهاد الاسلامي ومنظمة التحرير الفلسطينية ---------- ٣٥
(ب) حزب التحرير ومنظمة التحرير الفلسطينية ---------- ٣٧
(ج) حركة حماس ومنظمة التحرير الفلسطينية ---------- ٣٨
(٣) الانتخابات في الاراضي المحتلة . . . مجال آخر للتنافس ---------- ٤٩

الفصل الثالث

(١) "النظام العالمي الجديد" . . . اسلاميا ---------- ٥٨
(أ) مواصفات النظام ---------- ٥٨
رد الفعل الاسلامي على النظام الجديد ---------- ٦٣
(ب) المعالجة الاسلامية الفلسطينية لازمة الخليج ---------- ٦٧
الاخوان المسلمون والأزمة ---------- ٦٩

حماس واحتمالات الحرب ---------- ٧٤
حماس - ردود فعل ---------- ٧٤
حماس - الخليج - فلسطين ---------- ٧٧
حماس والانظمة ---------- ٧٩
الجهاد الاسلامي والخليج ---------- ٨١
مخاطر الازمة ---------- ٨٣
الجهاد - الخليج - الانظمة ---------- ٨٦
حزب التحرير وازمة الخليج ---------- ٨٦
حزب التحرير وما بعد الحرب ---------- ٩١
خلاصة ---------- ٩٢

(٢) "النظام" العربي الجديد ---------- ٩٤
(أ) الاسلاميون الفلسطينيون والتجربة الاسلامية العربية في النظام الجديد ----- ٩٩
(ب) الاسلاميون الفلسطينيون والعالم الاسلامي مع بداية النظام الجديد --------- ١١٠
(ج) الاسلاميون الفلسطينيون ومفاوضات السلام ---------- ١٢١
الاسلاميون والوفد الفلسطيني الى مؤتمر مدريد ---------- ١٣٠
الاسلاميون ومنظمة التحرير . . . ومؤتمر مدريد ---------- ١٣١
العلاقة المتبادلة بين الاسلاميين خلال مؤتمر مدريد ---------- ١٣٣

الفصل الرابع

الاسلاميون الفلسطينيون . . . نظرة مستقبلية ---------- ١٣٥

خاتمة ---------- ١٤٢

الهوامش ---------- ١٤٦

المراجع ---------- ١٦٣

مقدمة

تزداد ظاهرة دراسة الاسلام السياسي هذه الايام لسبب في غاية البساطة والوضوح وهو ازدياد اهمية الاسلام السياسي نفسه، خاصة بعد التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية العميقة التي جرت على الصعيد العالمي في السنوات القليلة الماضية، وبعد ان اخذت تترسخ رويدا رويدا مبادىء وأفكار ما يسمى على الساحة السياسية الدولية في الوقت الحاضر بالنظام العالمي الجديد.

واذا كانت ظاهرة الاسلام السياسي تحتل مكانا مرموقا في اهتمامات العالم اليوم، فان تلك الظاهرة في الاراضي الفلسطينية المحتلة تشغل اهمية استثنائية نظرا لكونها تقع في مركز الاحداث التي تخص القضية الفلسطينية، تلك القضية التي احتلت لفترة طويلة مركز الصدارة في اهتمامات الشعوب العربية وحتى حكامها، كل بمنظوره الخاص.

لقد اضطررنا في الفصل الأول الذي يبحث في اهداف ومواقف كافة فئات العمل الاسلامي في الاراضي المحتلة الى تكرار امور بدى انه لا بد من تكرارها مثل القاء نظرة عامة على ايديولوجيا واهداف التنظيمات الاسلامية الفلسطينية (الاخوان المسلمون، حزب التحرير، وحركة الجهاد الاسلامي)، وذلك حتى تشكل تلك المعلومات الارضية الصحية لفهم مواقف وتوجهات واهداف الاسلاميين الفلسطينيين في الاراضي المحتلة.

الفصل الثاني يعالج واقع العمل الفلسطيني الاسلامي في الفترة الحالية، ومتابعة عملية الاسلمة الجارية حاليا في الاراضي المحتلة، وكذلك يتابع العلاقة مع التنظيمات الوطنية حتى آب ١٩٩٢ تاريخ كتابة هذا الفصل. كما يلقي الضوء على الانتخابات التي جرت في المؤسسات الفلسطينية في الارض المحتلة ودراسة تطور مواقف الاسلاميين وتأثيرهم على ضوء تلك النتائج.

أما الفصل الثالث، والذي يشكل العمود الفقري لهذه الدراسة فيعالج ما استجد من مواقف الاسلاميين الفلسطينيين في ضوء المتغيرات التي احدثها ما سمي بالنظام

العالمي الجديد، وكيف قيم الاسلاميون هذا النظام، ومواقفهم من "النظام" العربي الجديد الذي تشكل على اثر قيام النظام العالمي الجديد. كما يتطرق هذا الفصل الى دراسة مواقف الاسلاميين الفلسطنيين من اهم الاحداث العربية التي جرت في السنتين الاخيرتين، حرب الخليج والعملية السلمية التي جرت في مدريد، وكذلك مواقف الاسلاميين من مشاكل العالمين العربي والاسلامي.

اما الفصل الرابع والأخير فهو نظرة عامة على الامكانية التي يمكن ان يتطور فيها العمل السياسي الاسلامي الفلسطيني في المرحلة المقبلة وعوامل الدفع والكبح لهذا العمل، ومن ثم كانت الخاتمة التي تحدثت باختصار عما اعتبرناه اهم النتائج التي ترتبت على هذه الدراسة.

صحيح ان هذه الدراسة عالجت العمل السياسي الاسلامي الفلسطيني من مواقع "ارضية"، الا انها حاولت قدر الامكان ان تكون دراسة علمية محايدة ليس هدفها التنظير لاحد ضد آخر. ان من واجب الدارس ان يسبر غور الاحداث ليستخرج منها الحقائق حيث تنتهي مهمته ليتولى الأمر صاحب القرار الذي من واجبه ان يتعامل مع الحقائق بشكل ينسجم مع مصالحه.

لقد بات واضحا ان العلاقة بين العالم والسياسي ليست مسألة جامدة، فكلما كان المجتمع اكثر تطورا كلما تصالح صانع القرار السياسي مع العالم وازداد اعتماده عليه، بينما تنعكس الاية عندما يكون المجتمع اقل تطورا حيث يزداد اعتماد العالم على السياسي واستقلال السياسي عن العالم، وبلداننا العربية كما هو معروف تقع في ادنى درجات السلم الاجتماعي.

الفصل الأول

العمل الاسلامي في الاراضي الفلسطينية المحتلة، الاهداف والمواقف

الاخوان المسلمون

يعود الفضل في نشوء الحركة الاسلامية العربية، وخاصة الفلسطينية، والحديث هنا عن الحركة المعاصرة الى حركة الاخوان المسلمين في مصر، تلك الحركة التي انطلقت عام ١٩٢٨ بقيادة حسن البنا. ومما تجدر الاشارة اليه، ان ذلك الفضل لم يكن ايديولوجيا فقط، بل وتنظيميا أيضا حيث شارك قياديون من حركة الاخوان المسلمين المصرية، في تنظيم فروع الاخوان في مختلف المدن الفلسطينية، بل ومتابعة تفاصيل ما كان يجري بها في بعض الاحيان.

وينطبق هذا الحديث على تلك الحركات التي اتخذت من الاخوان المسلمين قدوة لها، واتخذت نفس الايديولوجيا واحيانا نفس التسمية، وكذلك ينطبق على اولئك الذين خرجوا عن الاخوان، يمينا او يسارا، وتباعدوا عنها ايديولوجيا وتنظيميا(١).

الا ان نظرة تاريخية على الحركات السياسية العربية والفلسطينية، سواء تلك التي كانت فاعلة قبل ١٩٢٨، تاريخ نشوء حركة الاخوان، ام بعد ذلك، وسواء كانت تحررية ام رجعية، ثورية ام اصلاحية، ترينا مدى الترابط الكبير والتداخل الذي جمع بين الاسلامي والوطني في معظم المناطق العربية.

وما خرج عن هذا التصور، كان في بروز بعض التيارات الفكرية، او الشخصيات التي تأثرت بالبداية الخجولة للتيار القومي في اواخر الدولة العثمانية او بداية الانتداب البريطاني. او تلك الشخصيات التي تأثرت بالغرب الرأسمالي الليبرالي او بالافكار الاشتراكية على اثر ثورة اكتوبر الاشتراكية في روسيا عام ١٩١٧.

ان انتقال العديد من الشخصيات ذات التوجه الاسلامي الى العمل الوطني الفلسطيني من خلال تنظيمات اكثر انفتاحا واكثر جماهيرية (فتح مثلا)، كان مؤشرا

على ان تلك الشخصيات شعرت ان التنظيم الايديولوجي العقائدي يكبلها اكثر مما يعطيها مجالا للعمل، فانطلقت مساهمة في انشاء حركات وطنية فضفاضة، معتبرة ان تلك الحركات اقرب الى تحقيق اهدافها الوطنية العامة.

حتى عام ١٩٤٨ بقيت فروع الاخوان المسلمين في مختلف المدن الفلسطينية متفرقة، تعمل دون ان يجمعها تنظيم مركزي واحد، وسيطرت عليها الهلامية السياسية، حيث لم يتعدى دورها تأييد الاخوان المسلمين في مصر، بالرغم من ان بعض المصادر تشير الا انها اكتسبت اعدادا كبيرة من الاعضاء(٢).

وبعد ذلك التاريخ، وقيام دولة اسرائيل، كان لا بد من انقسام الاخوان المسلمين الفلسطينيين بين الضفة الغربية وقطاع غزة حيث حلت فروع الاخوان في المدن التي وقعت تحت السيطرة الاسرائيلية.

حافظ قطاع غزة على طابعه الفلسطيني تحت الادارة المصرية، وكذلك عمل الاخوان المسلمون في القطاع، استمروا فلسطينيين، ولكن مصيرهم ارتبط بمصير الاخوان المسلمين في مصر سلبا وايجابا خلال الفترة التي كان يدار فيها قطاع غزة من قبل المصريين بين ١٩٤٨-١٩٦٧، مرورا بالفترة الملكية ومن ثم عهد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢.

اما في الضفة الغربية فقد اندمج الاخوان المسلمون الفلسطينيون بتنظيم الاخوان الملسمين الاردنيين واصبحوا اخوانا اردنيين تماما كما جرى لباقي التنظيمات الفلسطينية التي بقي لها مؤيدين في الضفة الغربية.

لقد ترك الوضع الجغرافي السياسي الجديد لكل من الضفة الغربية وقطاع غزة، بصماته على سلوك التنظيمات السياسية في كل منهما ومن ضمن ذلك بالطبع، الاخوان المسلمون. فمن ناحية الاخوان في قطاع غزة، فقد شكلوا تواجدا نشطا لا يستهان به في كثير من المواقف اثناء الفترة الناصرية، فكانوا ومعهم القوى القومية واليسارية الاخرى ضد مشروع توطين اللاجئين وكذلك ضد تدويل القطاع.

أما الاخوان في الضفة الغربية، والذين اتحدوا كما اسلفنا مع اخوانهم في ضفة الاردن الشرقية ليصبحوا تنظيما واحدا، فقد تمتعوا في ظل الحكم الاردني بالكثير من الحرية بعكس التنظيمات السياسية الاخرى.

لقد كان هناك الكثير من المشترك بين الحكم الاردني والاخوان المسلمين في الاردن. فمن ناحية استراتيجية لم يشكلوا في لحظة من اللحظات تهديدا للملك، بل لم يرغبوا في ذلك ابدا(٣)، حيث اتخذوا من الاردن قاعدة لالتقاط الانفاس كلما تعرضوا لضغط نظام آخر كما حدث معهم في كل من مصر وسوريا وغيرها.

من ناحية اخرى فان ارتباط الملك الحسين الديني معروفا. فعائليا ينحدر من سلالة الهاشميين القرشية، وشخصيا حيث حرص الملك وما زال على القيام بالكثير من الواجبات الدينية الرسمية. ان العلاقة الوطيدة بالدين هي احد الوسائل التي يستخدمها النظام الاردني لكسب شرعيته.

وغني عن القول ان مصلحة النظام الاردني والاخوان المسلمين قد تلاقت في حالات كثيرة في الوقوف امام الحركة الوطنية الفلسطينية والحركة القومية الاردنية. لقد تصدى النظام الاردني لهذه الحركات من باب "العمل الوقائي" ضد الاعداء المفترضين، في حين قام الاخوان المسلمون بذلك على قاعدة العداء الايديولوجي لهذه الحركات.

الا ان ذلك لا يعني ان العلاقة بين الطرفين، الاخوان والنظام في الاردن، قد استمرت ايجابية طوال الفترة ما بين ضم الضفة الغربية للاردن، وما بين انسحاب الاردن منها اثر حرب حزيران ١٩٦٧. فكثيرا ما وصلت الامور بينهما الى حد القطيعة، حيث اعتقل المراقب العام للاخوان اكثر من مرة.

وكان لهذه القطيعة (او الجفاء) ما يبررها سواء من ناحية سياسية حيث الموقف المعادي للغرب الذي يتخذه الاخوان المسلمون بعكس الملك، او من ناحية اجتماعية حيث يحرص الملك على الظهور شخصيا وكذلك ظهور الاردن في المحافل الدولية بمظهر عصري غربي في حين يرفض الاخوان المسلمون ذلك(٤).

واستمرت علاقة الاخوان المسلمين في الضفة الغربية بالنظام الاردني حتى بعد احتلال الاسرائيليين للضفة، كان ذلك في الاغلب على قاعدة التنافس مع منظمة التحرير الفلسطينية على النفوذ في الاراضي المحتلة. واذا كانت الحركة الوطنية الفلسطينية قد تبنت مسألة استقلالية القرار الفلسطيني كأحد استراتيجياتها، فان حركة الاخوان المسلمين قد ركزت على الامتداد الاسلامي للقضية وعلى مسألة الوحدة مع البلدان المجاورة وخاصة الاردن.

بل وصلت الأمور بالاخوان المسلمين، سواء كان ذلك في الاردن او في الضفة الغربية، الى الاعلان عن معارضتهم لفك الارتباط الذي اعلنه الملك حسين بين الاردن والضفة الغربية. كان ذلك في الوقت الذي اعتبرت فيه الحركة الوطنية الفلسطينية ذلك على انه من الانجازات الهامة للانتفاضة، وتأكيدا لوحدانية منظمة التحرير في تمثيلها للفلسطينيين.

فبالنسبة للاخوان المسلمين في الاردن، اعلن المهندس زياد ابو غنيمة في حينه، والذي كان ناطقا اعلاميا بلسان حركة الاخوان المسلمين في الاردن، بأن الاخوان سيعملون على اعادة الارتباط بين الضفة الغربية المحتلة والاردن، وقال ان اعادة ربط الضفتين سيكون احد المواضيع الهامة التي سيعمل نواب الاخوان مع غيرهم عليها(٥).

أما بالنسبة للضفة الغربية فقد وقف الشيخ حامد البتياوي خطيب المسجد الاقصى في الجمعة التي تلت قرار الملك بفك الارتباط، واعلن خطورة هذا القرار وناشد الاردن والمنظمة والدول العربية اعادة النظر فيه، كما تحدث عن ان القضية الفلسطينية هي قضية اسلامية في اعناق المسلمين ومن الخطورة تحويلها الى قضية فلسطينية فقط(٦).

استمر وضع الاخوان المسلمين في الاراضي المحتلة دون تغير يذكر في المواقف، حتى بعد أن طرأت زيادة كبيرة على حجم مؤيديهم وعلى مؤسساتهم من خلال الكتل الاسلامية التي انتشرت في مختلف المناطق المحتلة، بعد ما اصطلح على تسميته بالصحوة الاسلامية التي ابتدأت في أواخر السبعينات وبلغت اوجها في الثمانينات.

فاستمرت مواقف الاخوان وشعاراتهم التقليدية فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية وكيفية التعامل معها، وفيما يتعلق بمقاومة الاحتلال الاسرائيلي. فكان التركيز على البعد الديني الاصلاحي للفرد والمجتمع، وضرورة الوصول الى المجتمع المسلم الذي يمثل القاعدة للقيام بأي عمل آخر. كما اخذت القضايا "الاخلاقية" والقضايا الاسلامية الخارجية مثل قضية افغانستان اهتماما بدى وكأنه مبالغ فيه على حساب القضية الوطنية الذاتية.

الا ان انطلاقة الانتفاضة الفلسطينية في اواخر ١٩٨٧، ومشاركة الاخوان المسلمين بها من خلال تشكيلهم لحركة حماس كجناح صدامي لحركة الاخوان، قد مثل تغيرا كبيرا وجادا في توجه الاخوان نحو القضية الفلسطينية ان لم يكن النظري فالسلوكي، وخلط اوراق اللعبة بين مختلف القوى السياسية الفاعلة في الارض المحتلة.

صحيح ان الاخوان المسلمين قد اشتركوا في حرب عام ١٩٤٨، خاصة الاخوان المسلمين في مصر، وصحيح انهم أقاموا بعض القواعد العسكرية في الاردن قبل قيام معارك ايلول ١٩٧٠ بين الاردن ومنظمة التحرير وخروج الأخيرة من الساحة الاردنية، الا ان انشاء حماس كان المؤشر الاوضح على اتخاذهم مواقف جديدة تجاه المسألة الوطنية.

لقد جاء انشاء حماس نتيجة لظروف ذاتية واخرى موضوعية جرت. فان الاعداد الكبيرة من الشباب التي دخلت الكتل الاسلامية في الجامعات والمعاهد والمدارس، واحتكاكها اليومي بالطلبة الوطنيين والمعتقلين السابقين، ودخولهم في جدال يومي معهم حول المسألة الوطنية، ترك اثرا كبيرا في ضرورة التعامل بصورة اخرى حيال تلك المسألة. لقد اشارت بعض المصادر الى وجود بعض الخلافات في صفوف الاخوان حول ضرورة انشاء حركة حماس والدور الذي تلعبه(٧)، كما اشارت بعض المصادر الاسرائيلية الى وجود خلافات بين القيادات "المعتدلة والمتطرفة" في صفوف الحركة، الا انها - أي حماس - نفت ذلك(٨).

اما من ناحية موضوعية، فقد كانت الانتفاضة محكا جماهيريا لاي تنظيم، واصبحت مصداقية اي تنظيم سياسي فلسطيني تقاس بمدى مشاركته وتضحياته في

الانتفاضة، حيث ادرك الاخوان المسلمون ذلك منذ البدء ودخلوا من باب الانتفاضة الى ساحة العمل الوطني العام.

كان ذلك بالاضافة الى وجود تنظيم اسلامي آخر، هو حركة الجهاد الاسلامي في فلسطين، والتي انطلقت نحو العمل الوطني من قاعدة دينية، كان على الاخوان ان يشعروا بخطورة امكانية جذب هذه الحركة للجمهور الديني الوطني، وكان ذلك باعتقادنا محفزا للاخوان المسلمين للتعجيل بانشاء حماس.

حملت حركة حماس نفس الايديولوجيا الدينية العامة لحركة الاخوان، وتبنت شعار الحركة العامة من حيث ان "الله غايتها، والرسول قدوتها، والقرآن دستورها، والجهاد سبيلها، والموت في سبيل الله اغلى امانيها"(٩)، كما انسجمت اهداف الحركة العامة مع اهداف الاخوان فيما يخص اتخاذ الاسلام منهج حياة وتأسيس دولة الاسلام(١٠).

الا ان البعد الوطني لحركة حماس، وحقيقة وجودها في قلب المعركة مع الاسرائيليين، حتم عليها الخروج على الشعارات العائمة والفضفاضة السابقة وتبني تفاصيل مطلبية وعملية اكثر، والا لما كان هناك داع لانشائها اصلا.

ومن هنا تبنت الحركة اهدافا مرحلية تمثلت في "اطلاق سراح المعتقلين ورفض الاستيطان وسياسة الابعاد والاعتقال الاداري والممارسات الهمجية ضد السكان المدنيين وضد المعتقلين، وسياسة المنع من السفر والمضايقات ونشر الرذيلة والفساد والاسقاط في شباك المخابرات ومنع جمع الشمل والضرائب الباهظة وغير ذلك من ممارسات الاحتلال البغيض"(١١).

أما ما اسمتها حماس بالاهداف "الكلية" فتمثلت في "رفض الحلول الاستسلامية، قطع الخط المنحرف لكامب ديفيد ورفض مشروع الحكم الذاتي، ورفض فكرة المؤتمر الدولي والعمل الدائم لطرد الاحتلال وتحرير الوطن والمقدسات من دنسة وارجاسة وكيل الصاع صاعين لليهود الجبناء"(١٢).

وعند الحديث عن موقف الاخوان المسلمين وحركة حماس تجاه القضية الفلسطينية، فلا بد لاي باحث منصف ان يقر بأن اهتمام حركة الاخوان المسلمين الام في مصر بالقضية الفلسطينية كان مبكرا، حيث اشترك المتطوعون الاخوان في الحرب الفلسطينية عام ١٩٤٨، رغم ان الباحثين اختلفوا في تفسير دوافع اشتراك الاخوان المسلمين في تلك الحرب.

بعد ذلك انشغل الاخوان المسلمون، سواء في قطاع غزة او في الضفة الغربية تماما مثلما انشغلت معظم التيارات السياسية الاخرى بالظروف الجديدة، وتعاملت مع واقعها الجديد الذي ابعدها عن القضية الفلسطينية، خاصة اولئك الذين تواجدوا منهم في الضفة الغربية واتحدوا مع الحركة في الاردن، الى ان جاءت الانتفاضة حيث انطلقت حركة حماس، وشكل ذلك نقلة نوعية عملية في الموقف الاخواني تجاه القضية الفلسطينية.

واليوم ما زالت المنطلقات الفكرية العامة للاخوان المسلمين حيال القضية الفلسطينية هي نفسها التي تتبناها حماس والحركات الدينية الاخرى اجمالا، اما الذي تغير فهو الموقف العملي اليومي ازاء القضية وازاء الاحتلال.

فالقضية الفلسطينية بالنسبة للاخوان المسلمين، كما هي بالنسبة لغيرهم من الحركات الدينية السياسية الفلسطينية، قضية دينية اسلامية تهم جميع المسلمين وليس شعبا واحدا، وهي رد على المشروع الصهيوني الذي انطلق ايضا من مبادىء دينية وبالتالي يجب ان يحارب بنفس الاسلوب. وما دامت القضية كذلك فليس من حق احد من المسلمين، ولا جماعة منهم، التنازل عن فلسطين او عن اي جزء منها. وبرأي الاخوان ان القوى الاستعمارية حرصت على زرع اسرائيل ككيان سرطاني غريب في جسم العالم الاسلامي ليكون ضمانا لشرذمته وتسهيلا لعملية السيطرة عليه ونهب ثرواته(١٣).

ان فلسطين كلها من البحر الى النهر مطلب رئيسي للحركات الدينية الاسلامية، وهي تعتبر من قبل هذه الحركات ارض وقف لا يجوز التنازل عنها من قبل احد او حتى من قبل منظمة او مجموع المنظمات سواء كانت فلسطينية او عربية(١٤). لذلك

فان اية محاولة لايجاد حل وسط سواء عن طريق المفاوضات او المؤتمرات او اي وسيلة لا تضمن خروج اسرائيل وانشاء فلسطين المسلمة يفترض ان يكون مرفوضا.

لم تكن القضية الفلسطينية بالنسبة للاخوان المسلمين الفلسطينيين القضية المركزية طوال الفترة ما بين ١٩٤٨-١٩٧٨، بل اهتموا بامور تربوية واجتماعية، او بامور سياسية تتعلق عادة بقضايا بعيدة عن المسألة الفلسطينية مثل قضية افغانستان. ومن هنا كان اهتمام حماس بالقضية الفلسطينية وكأنه وضع الاخوان في مكانهم الطبيعي كتنظيم فلسطيني له اهتماماته الوطنية المحلية بالدرجة الأولى.

وتعتبر حركة حماس ان الصراع مع الاسرائيليين ليس صراعا على الحدود بل "على الوجود"، وهو صراع عقائدي وتاريخي وحضاري(١٥) وبالتالي فعلى الأمة الاسلامية ان تستثمر جميع قواها وامكانياتها من اجل مقاتلة اعدائها.

حزب التحرير الاسلامي

يعتبر حزب التحرير التنظيم السياسي الاسلامي الثاني من حيث القدم في فلسطين، تأسس في مدينة القدس عام ١٩٥٣ بواسطة الشيخ تقي الدين النبهاني وهو احد خريجي الازهر الفلسطينيين. فهو اذا تنظيم فلسطيني النشأة بعكس الاخوان المسلمين، ولم تكن امتداداته أبان الانتداب البريطاني لفلسطين بل تأسس كلية اثناء الحكم الاردني للضفة الغربية.

نشط الحزب في شمال الضفة الغربية وجنوبها، واتخذ الشيخ النبهاني القدس مقرا لقيادة الحزب ثم انتقل الى عمان وبعدها الى دمشق وبيروت حتى وفاته عام ١٩٧٧، حيث ترأس الحزب الشيخ عبد القديم زلوح احد القادة التاريخيين للحزب.

وطوال فترة وجوده لم يستطع الحزب الحصول على ترخيص للعمل قانونيا في الاردن(١٦)، رغم المحاولات المتكررة التي بذلها من اجل ذلك، واضطر للعمل بصورة شبه علنية مثله مثل معظم التنظيمات السياسية الاخرى على الساحة الاردنية في ذلك الوقت.

وضمن هامش الحركة الذي سمح للحزب بالتحرك فيه اثناء الحكم الاردني للضفة الغربية، شارك الحزب في الانتخابات البرلمانية الاردنية عامي ١٩٥٤ و ١٩٥٦ حيث فاز الشيخ احمد الداعور وهو احد القادة التاريخيين للحزب بمقعد عن منطقة طولكرم. ان تأثير الشيخ الداعور وقوة شخصيته تركت تأثيرا لا بأس به لحزب التحرير في تلك المنطقة حتى أيامنا هذه، وهي نفس الاسباب التي أدت الى طرد الداعور من البرلمان الاردني عام ١٩٥٨.

الا ان هامش الحركة هذا كان بسيطا جدا ولفترات قصيرة من الزمن، فطالما اتهم الحزب بأنه وراء محاولات انقلابات ضد الحكم الاردني مما حدى بملاحقة اعضاء الحزب والزج بالعديد منهم في السجون. ان الاعلان عن محاولات الانقلاب هذه لم تكن صحيحة بالضرورة، بل ان ذلك كان يعني ان الحزب قد تجاوز الخط الاحمر الذي حدده النظام مثل اهتمام الحزب بتنظيم ضباط وجنود في الجيش الاردني.

يركز حزب التحرير على القضايا الفكرية الاسلامية، ويعتمد افكارا وايديولوجيا ليس من السهل على الشخص العادي ان يفهمها بسهولة، كان ذلك - بالاضافة الى ملاحقة النظام له - من الاسباب التي جعلته حزبا للنخبة، وليس حزبا جماهيريا كما هي عليه حركة الاخوان المسلمين.

نادى حزب التحرير طوال وجوده بضرورة احياء الخلافة الاسلامية(١٧) التي انتهت بانتهاء الخلافة العثمانية، ويفتخر اعضاء الحزب بان هذا المبدأ الذي نادوا به وحيدين اولا قد بدأ يردده المسلمون في كافة مواقعهم وفي مختلف تنظيماتهم.

ويعتبر الحزب ان مرجعه الوحيد هو العقيدة الاسلامية ممثلة في القرآن الكريم والسنة النبوية، وان لا مبدأ غير الاسلام يمكنه النجاح، فهذه المبادىء والتي يحددها الحزب بالرأسمالية والشيوعية والاشتراكية كلها فاسدة وتتناقض مع فطرة الانسان وان لا مبدأ من صنع البشر يمكنه ان لا يكون فاسدا ويستطيع مراعاة فطرة الانسان(١٨).

أما بالنسبة للسنة النبوية فقد فهمها الحزب بطريقته الخاصة. فعندما يتحدث

الحزب عن السنة فانه لا يعني فقط اخذ العبر العامة مما جرى مع الرسول في حياته بل تعني التقيد بكل ما حدث مع الرسول وكأن ما حدث معه في تلك الايام سيحدث مع المسلمين في اي وقت. ان حياة الرسول بالنسبة للحزب جاءت على هذا الشكل لحكمة الهية مع اجل ان يحذو المسلمون حذوها.

ويفهم حزب التحرير عمله في الفترة الحالية، اي مرحلة ما قبل قيام الدولة الاسلامية، على اعتبار انه شبيه بعمل الرسول في الفترة المكية التي يجب الاقتداء بها الآن. وبعد قيام الدولة الاسلامية يبدأ الاقتداء بالفترة المدنية من حياة الرسول.

ان عملية اختلاف الزمان والمكان ليست ذات اهمية بالنسبة لحزب التحرير "فيجب ان تحمل الدعوة الاسلامية اليوم، كما حملت من قبل، ويسار بها اقتداء برسول الله (ص) دون ان يحاد عن ذلك قيد شعرة في كليات الدعوة وجزيئاتها، ودون ان يحسب لاختلاف العصور اي حساب لان الذي اختلف هو الوسائل والاشكال، وأما الجوهر والمعنى فلم يختلف ابدا، ولن يختلف مهما تعاقبت العصور واختلفت الشعوب والاقطار"(١٩).

أما الضعف الذي تمر به الامة الاسلامية هذه الايام، فللحزب تفسيره الخاص بذلك. فهذا الضعف ليس مرده بالاساس واقع اقتصادي او اجتماعي او سياسي، بل هو حالة ذهنية حيث يرجع الى "الضعف الشديد الذي طرأ على اذهان المسلمين في فهم الاسلام وادائه من جراء عوامل التغشية على فكرة الاسلام وطريقته منذ القرن الثاني الهجري حتى الان"(٢٠). اما عوامل التغشية هذه فيلخصها في نقل الفلسفات الهندية والفارسية واليونانية ولمحاولة بعض المسلمين التوفيق بينها وبين الاسلام مع وجود التناقض بينهما، دس الحاقدين على الاسلام افكارا واحكاما ليست من الاسلام لتشويهه وابعاد المسلمين عنه، اهمال اللغة العربية في فهم الاسلام وادائه وفصلها عن الاسلام في القرن السابع الهجري مع ان دين الله لا يفهم بغير لغته، وأخيرا الغزو التبشيري والثقافي ثم السياسي من الدول الغربية الكافرة في القرن السابع عشر الميلادي لحرف المسلمين عن الاسلام وابعادهم عنه بغية القضاء عليه(٢١).

وحتى قبل زوال الاتحاد السوفياتي اعتبر حزب التحرير ان الصراع الاساسي على

المستوى العالمي يدور بين الولايات المتحدة من جهة وبريطانيا من جهة اخرى حول مناطق النفوذ في العالم، وان كل الصراعات الدائرة والانقسامات في اطراف المعمورة ما هي الا ضمن ذلك الصراع.

أما على المستوى العقائدي فان العالم عند حزب التحرير يقسم الى "دار الاسلام" "ودار الكفر"، وان دار الاسلام لا يمكن ان توجد الا اذا جاء خليفة اسلامي وحكم البلاد بواسطة الشريعة الاسلامية، وعلى هذا الاساس فان الدول العربية والاسلامية الحالية هي جزء من دار الكفر حتى تتغير الانظمة الموجودة بها حاليا نحو الخلافة.

ان حزب التحرير لا يتبنى الاصلاح الفردي للناس حتى يصلح المجتمع ككل مثلما فعل الاخوان المسلمون لفترة طويلة وما زالوا يفعلون غالبا، بل يرى الحزب ان تطبيق الشريعة الاسلامية لا يمكن ان تكون بغير قيام الدولة الاسلامية، تلك الدولة يكون من واجبها اعادة بناء المجتمع على اسس اسلامية صحيحة ونقل الدعوة الاسلامية الى غير المسلمين في العالم(٢٢).

ومن هذا المنطلق، وعلى اعتبار ان الدولة ستفعل كل شيء جعل الحزب مهمة تغيير الحكم على رأس اولوياته، واعلن انه حزب سياسي، ومن هنا لم يهتم كثيرا "بالاصلاح" الاخلاقي والديني لافراد المجتمع، ولم يعر انشاء المؤسسات والاهتمام بها اي انتباه، فهذه بالنسبة للحزب امور ترقيعية لا تساعد كثيرا بل هي تحرف الحزب عن هدفه الاسمى وهو تغيير الحكم.

وعودا الى تمسك الحزب بالسنة النبوية الشريفة، فان عدم اهتمام الحزب ببناء مؤسساته الخاصة، كلبنات اولية في بناء دولة الاسلام، لم تكن نابعة فقط من انها لا تصب في الطريق الصحيح وان ذلك من واجب الدولة الاسلامية، بل ايضا يتخذ الحزب من سنة الرسول قدوة له في ذلك، فالرسول لم يهتم ببناء مؤسسات في مكة قبل ميلاد الدولة الاسلامية، بل ان ميلاد الدولة هو الذي كان مقدمة لبناء تلك المؤسسات، وبناء عليه فان الحزب لا يمكنه الا ان يسير بنفس الطريقة التي سار عليها الرسول.

ان عدم اهتمام الحزب ببناء المؤسسات، بغض النظر عن مدى صحته من ناحية

ايديولوجية، افقد الحزب الكثير من وسائله لتثبيت نفسه ولنشر ارائه ولاكتساب مزيد من المؤيدين. لقد اثبتت تجربة العمل السياسي في الاراضي المحتلة، ومنها تجربة التيارات الدينية كالاخوان المسلمين، ان بناء المؤسسات والاهتمام بها هي خير وسيلة لتثبيت ركائز التنظيم ومتابعة اعضائه.

وحزب التحرير حزب تفاصيل ولا يكتفي بالعموميات. واذا كان لهذا ايجابيات الوضوح فله سلبيات فتح المجال الكبير امام الاختلاف مع الآخرين وامام التعثر السهل امام المستجدات. ان تمسك الاخوان المسلمين مثلا بالشعار العريض "الاسلام هو الحل" رغم مطالبة كافة القوى لهم بوضع برنامج تفصيلي لذلك هو دليل ذكاء سياسي مع انه هروب من مواجهة المتطلبات اليومية للحياة.

ومن الامثلة على التفاصيل التي خاضها حزب التحرير، مع انه حزب لا يطمع الى الوصول الى السلطة كحزب، وحتى اذا ما اصبح احد اعضائه خليفة للمسلمين وقائدا للدولة فانه سيعتبر خارج الحزب ما دام في ذلك الموقع، ودور الحزب في ذلك الحين سيقتصر على كونه رقيبا على اجهزة الحكم. من الامثلة تلك ان الحزب رسم للدولة الاسلامية المقبلة تفاصيل سياستها الداخلية والخارجية وموقفها من الامم المتحدة ومع من يجب ان تقيم علاقاتها الدبلوماسية، وكيفية اعطاء اشارات المرور للسياح الذين سيزورونها مستقبلا.

ومن مبادىء حزب التحرير انه يرفض التعاون مع اي تنظيم آخر. ولم يحدث ان مر معنا بيان وقع عليه حزب التحرير مع اي تنظيم آخر، رغم ان ذلك كثيرا ما تم بالنسبة للاخوان المسلمين والجهاد الاسلامي.

ويعتبر الحزب اشتراك المسلمين في احزاب لا تقوم على الشريعة الاسلامية "حرام"، حيث يحظر على المسلمين ان "يتكتلوا على اساس رأسمالي او شيوعي او اشتراكي، او قومي او وطني، او طائفي او ماسوني، ويحرم عليهم الانتساب اليها او الترويج فهي احزاب كفر وتدعو الى الكفر"(٢٣).

إن التعددية الحزبية محصورة عند حزب التحرير في الاحزاب القائمة على

العقيدة الاسلامية، حيث يحق للمسلمين شرعا "اقامة احزاب سياسية لمحاسبة الحكام، او للوصول الى الحكم عن طريق الامة"(٢٤). ومع ان هذه الاحزاب جائزة من ناحية شرعية الا ان حزب التحرير يفترض انه وحده الذي فهم الاسلام فهما صحيحا، وهو الحركة الاسلامية التي استوعبت الاسلام فكرة وطريقة، وان من واجبه العمل على استئناف الحياة الاسلامية في اي قطر من الاقطار الاسلامية حتى يكون نقطة ابتداء وانطلاق(٢٥).

ان ايمان حزب التحرير بالتعددية السياسية الاسلامية لم يحمله على الدخول في حوار مع الاحزاب الاسلامية المتواجدة على الساحة خاصة فيما يتعلق بالاخوان المسلمين. ان المراقب ليندهش عندما يرى الفتور القائم بين التنظيمات الاسلامية نفسها، الا ان هذا الفتور مرده اسباب تاريخية وتنظيمية اكثر منها اسباب ايديولوجية.

من ناحية اخرى فان تحريم حزب التحرير على المسلمين دخول الاحزاب الاخرى، أي العلمانية، لم يجعل الحزب يقدم على محاربة تلك الاحزاب في غير ساحة الفكر. فتاريخ حزب التحرير لم يسجل له انه استعمل العنف ضد خصومه السياسيين مهما بلغوا في بعدهم عن الدين او قربهم منه.

في حين يختلف الوضع بالنسبة للاخوان المسلمين الذين يتعاونون مع الكثير من التنظيمات العلمانية، وينسقون في بعض المجالات مع بعض القوى اليسارية كالجبهتين الشعبية والديمقراطية، ويوقعون العرائض حتى مع الحزب الشيوعي الفلسطيني الثوري، الا انهم كثيرا ما اصطدموا مع انصار هذه التنظيمات ومع غيرها بطريقة كانت تبدو مأساوية.

لا يهتم حزب التحرير، وهو الحزب الفلسطيني المنشأ والمؤسس، كثيرا بالقضية الفلسطينية، الا بالحدود التي تسمح له ايديولوجيته بذلك، أي كون القضية جزءا من الهم الاسلامي العام. واذا كان هذا الهم الاسلامي العام يتطلب قيام الدولة الاسلامية وعلى رأسها الخليفة وهي التي ستقوم عندها بحل كل الاشكالات القائمة، فان المشكلة الفلسطينية ستكون من ضمن هذه الأمور التي ستحلها الدولة.

الا ان ذلك لا يستبعد وجود موقف نظري للحزب من القضية الفلسطينية ومن الاحتلال الاسرائيلي، فيشارك الحزب التنظيمات الاسلامية الاخرى كون القضية الفلسطينية قضية اراض مقدسة يجب تحريرها من الاحتلال، ولكن بواسطة الدولة الاسلامية والمسلمين من الخارج حيث ليس باستطاعة المسلمين في الداخل عمل اي شيء، تماما كما فعل الرسول عندما فتح مكة.

وعلى هذا الاساس فان حزب التحرير لا يؤمن بضرورة الاعمال السلبية المقاومة للاحتلال في الوقت الحاضر كالمظاهرات والاضرابات وغير ذلك ولم يشارك بها بل يعتبرها في كثير من الاحيان مصطنعة. كذلك لم يشارك الحزب في الانتفاضة بصورة رسمية ولم يحدث ان تبنى اعمالا مسلحة ضد الاحتلال الاسرائيلي. كل ذلك ستقوم به دولة الاسلام الآتية من مكان ما في وقت ما في الشرق.

ان النصر الاسلامي، بالنسبة لحزب التحرير وللحركات الدينية الاخرى امر مفروغ منه، وهو امر "رباني" وعد به الله المؤمنين وأكده الرسول، وعلى هذا الاساس فحزب التحرير ايضا يرفض الحلول الوسط مع الاسرائيليين، ويرفض قرارات الامم المتحدة واية عملية سلمية، ويرفض حتى اقامة دولة فلسطينية مستقلة في الضفة الغربية وقطاع غزة.

حركة الجهاد الاسلامي

رغم مضي الكثير من الوقت الا ان دراسة حركة الجهاد الاسلامي ما زالت مصدرا للحيرة، حيث انه يبدو ان عدة تنظيمات تحمل اسماء متقاربة ان لم تكن متطابقة. فهناك حركة الجهاد الاسلامي في فلسطين ويبدو انها التنظيم الأكبر والأقوى وهي المقصودة في هذه الدراسة، وهناك حركة الجهاد الاسلامي - بيت المقدس التي يتزعمها الشيخ أسعد بيوض التميمي، كذلك يوجد تنظيم سرايا الجهاد والذي تشير بعض المصادر الى انه جزء من حركة فتح(٢٦).

لقد كان تأسيس حركة الجهاد الاسلامي في اواخر السبعينات واوائل الثمانينات "كأول محاولة حديثة لاعادة "الوحدة" بين الديني والوطني على الساحة الفلسطينية

منذ ان غابت تلك الوحدة عام ١٩٤٨، وكانت بذلك اول تنظيم خارج اطار الوطنية الفلسطينية يضع مقاومة الاحتلال على رأس اهدافه ويقوم بذلك عمليا"(٢٧).

هناك اجتهادات كثيرة حول نشأة الجهاد الاسلامي في فلسطين، بل وحتى نشأته في مصر. الا انه بات واضحا الآن التأثير الكبير لحركة الجهاد المصرية في تأسيس حركة الجهاد الاسلامي الفلسطينية، رغم انهما يختلفان برأيي الى حد بعيد فكريا وسلوكيا. فنستطيع ان نعتبر ان الجهاد الاسلامي في مصر يعتمد بصورة عنيفة اسلوب الاخوان المسلمين من حيث ضرورة تذليل العقبات التي يعتقد انها تقف امام الوصول للهدف العام وهو انشاء الدولة الاسلامية، ومن هنا نلاحظ حوادث العنف الكثيرة التي يشترك بها الجهاد في مصر. في حين ان الجهاد الاسلامي الفلسطيني الذي وضع نصب عينيه القضية الوطنية الفلسطينية كقضيته المركزية، اقرب الى تكتيك حزب التحرير من حيث كونه يناضل من اجل الهدف العام وهو تحرير فلسطين واقامة الدولة الفلسطينية الاسلامية، دون الالتفات الى تفاصيل جانبية يخوض فيها معارك تبعده عن الهدف العام.

لقد كان تأثير حركة الجهاد الاسلامي المصري على الجهاد الفلسطيني عمليا اكثر منه فكريا، وذلك عن طريق بعض الطلبة الفلسطينيين الذين تلقوا علومهم في مصر من امثال الدكتور فتحي الشقاقي الذي ابعدته السلطات الاسرائيلية في تموز ١٩٨٨، والدكتور عبد العزيز عوده الذي عمل محاضرا في جامعة غزة الاسلامية واماما لمسجدين هناك وابعد ايضا من قبل سلطات الاحتلال. ومما يجدر ذكره ان الدكتور الشقاقي يعتبر الآن المسؤول الأول في حركة الجهاد الاسلامي في فلسطين.

ومع ان العلاقة التي حكمت الجهاد الاسلامي الفلسطيني بالتيارات الاسلامية الاخرى وخاصة الاخوان المسلمين لم يغلب عليها الدفء دائما، فقد حاولت الحركة اثبات انها امتداد طبيعي للبدايات الاخوانية التي تمثلت في فكر حسن البنا وسيد قطب. فأكدت الحركة انه مثلما "كانت حركة الجهاد الاسلامي استجابة حسينية لدماء القائد الشهيد عز الدين القسام والامام الشهيد حسن البنا فهي ايضا استجابة واعية لاطروحة المعلم الشهيد سيد قطب الذي يعتبر بحق القائد الروحي للمشروع الاسلامي الثوري المعاصر والذي دشنه بدمه . . ."(٢٨).

ومع ان حديث الدارسين يدور دائما حول تأثير الاخوان المسلمين على انشاء حركة الجهاد الاسلامي، الا اننا لسنا مدركين حتى الآن لماذا يتم تجاهل تأثير حزب التحرير الاسلامي على حركة الجهاد. ان ذلك عائد باعتقادي لسببين، الأول : ان كون حركة الجهاد الاسلامي قد نشأت في مصر اولا حيث لا يتواجد حزب التحرير بصورة واضحة يضعف امكانية احتمال وجود تأثير للحزب على الجهاد الاسلامي. الثاني : ان حزب التحرير قد ابعد نفسه بنفسه عن ساحة العمل السياسي اليومي لدرجة يستبعد معه الدارس ان يكون له تأثير في انشاء حركة متميزة كحركة الجهاد.

الا اننا نعتبر ان تأثير حزب التحرير على فكر حركة الجهاد كان واضحا مع ان ذلك قد لا يكون قد تم بصورة مباشرة. فمن ناحية تنظيمية كان كل من صالح سريه ومحمد سالم الرحال الذين قيل انهما اسسا حركة الجهاد الاسلامي في مصر اردنيا الجنسية وعضوان في حزب التحرير، ومن ناحية فكرية فان افكار حزب التحرير الانقلابية والمعادية اجمالا للانظمة، والداعية بصراحة الى ضرورة عودة الخلافة الاسلامية هي الاقرب الى الجهاد حيث تعتبر حركة الجهاد الاسلامي نفسها "جزء من خط ممتد في التاريخ الاسلامي وفي التراث الاسلامي . . . خط الثورة الرافض للاستبداد السياسي والاجتماعي . . . الرافض للانحراف عن خط الخلافة الرائدة"(٢٩). والفرق بينهما ان حزب التحرير يؤيد الجهاد الا انه يعتبره من واجبات الدولة الاسلامية، بينما اعتبر الجهاد ان حركة الاخوان المسلمين قبلت بالأمر الواقع وهادنت الانظمة فجاءت الحركة "لتزيح عن فكرنا الاسلامي ما دان عليه في سني التخلف من افكار المساومة والتنازل والقبول بالاوضاع الجاهلية القائمة"(٣٠).

وعند الحديث عن الامور التي تركت بصماتها على حركة الجهاد الاسلامي لا بد من الحديث عن تأثير الثورة الاسلامية في ايران بقيادة اية الله الخميني، حيث تعتبر الحركة ايران القاعدة الأولى للعمل الاسلامي الصحيح. ان الذي جرى في ايران برأي حركة الجهاد هو "انتصار المشروع الاسلامي في موقع استراتيجي، حيث حققت اطروحة الامام الخميني تقدما فذا على صعيد الفكر والواقع وهكذا تحررت احدى قواعد الامة الهامة في مواجهة المشروع الغربي . . . ومدى تأثير انتصار الثورة الاسلامية على منظومة افكار العمل الاسلامي بشكل عام وعلى تجذير رؤى الخط الاسلامي الثوري"(٣١).

ومن هذا المنطلق شاركت حركة الجهاد الاسلامي ايران في هجومها الدائم على الولايات المتحدة معلنة انها "الشيطان الأكبر"، كما ان الحركة وقفت طوال الثماني سنوات التي جرت خلالها حرب الخليج الأولى بين العراق وايران الى جانب ايران، واعتبرت ان ما يجري هو عدوان عراقي على قاعدة الثورة الاسلامية الأولى. ومن هذا المنطلق ايضا تتعاطف الحركة مع حركة المقاومة الاسلامية في لبنان خاصة مع حزب الله ومع حركة الجهاد الاسلامي هناك في تصديهما للاحتلال الاسرائيلي للجنوب اللبناني.

وعلى الرغم من صغر تنظيم الجهاد الاسلامي في فلسطين، الا ان الحركة نالت احترام الكثيرين من سكان المناطق المحتلة، يفوق بكثير عدد اعضائها ومؤيديها. فمن المتعارف عليه لدى الفلسطينيين في الارض المحتلة ان الجهاد الاسلامي يتكلم قليلا ويعمل بصورة ناجعة، ويركز على العمل ضد الاحتلال وليس على الاختلاف على السيطرة على المواقع والمؤسسات كما تفعل معظم التنظيمات الاخرى. لقد بدى على اعضاء الجهاد الصدق والاخلاص من خلال عملياتهم وسكوتهم، وهذا ما يفتقده الفلسطينيون في الارض المحتلة غالبا.

لقد جلبت العمليات العسكرية التي تبناها الجهاد الاسلامي اهتمام الفلسطينيين والاسرائيليين على حد سواء. وكانت هذه العمليات، بالاضافة الى مجموع عوامل اخرى مقدمة لانطلاق الانتفاضة الفلسطينية في كانون الأول ١٩٨٧. وعلى هذا الاساس، فان حركة الجهاد الاسلامي تعتبر ان السادس من كل شهر هو ذكرى انطلاق الانتفاضة، وهو اليوم الذي استشهد فيه اربعة من اعضائها في اشتباك مع الاسرائيليين في مخيم جباليا، ومن ثم فهي تدعو الى اضراب عام في ذلك اليوم يستجيب له السكان في كثير من المناطق.

ومن حيث اهداف حركة الجهاد الاسلامي وغاياتها فهي تتفق في نهاية الأمر مع اهداف وغايات أية حركة دينية اسلامية اخرى في الاراضي الفلسطينية المحتلة، وكما لخصت حركة الجهاد اهدافها وغاياتها، فالغاية القصوى لها هي "مرضاة الله"، والغاية الدنيا "احداث البعث الاسلامي في كل الارض"، اما الاهداف فتتمثل في الهدف البعيد

الذي يعني مواجهة ازمة التحدي الحضاري الغربي الحديث انطلاقا من العقيدة الاسلامية، والهدف القريب المتمثل باقامة الخلافة الراشدة(٣٢).

هذه الاهداف والغايات هي كما قلنا نفس اهداف وغايات الاخوان المسلمين في فلسطين وكذلك حزب التحرير، الا ان الأمر يتخذ منحى آخر عندما يتعلق الأمر بالقضية الفلسطينية، فتحقيق هذه الغايات يجب ان يمر من خلال العمل على تحرير فلسطين باعتبارها قلب العالم الاسلامي وليس كما يرى حزب التحرير بأن العالم الاسلامي هو المقدمة لتحرير فلسطين، او كما كان يرى الاخوان بأن المجتمع الاسلامي هو المقدمة لتحريرها.

وكما سبق وقلنا فان حركة الجهاد الاسلامي تجنبت الى حد بعيد - وحتى الآن - اي صدام مع التنظيمات الفلسطينية الأخرى. وان كان قد حدث مثل هذا الصدام فقد تم مع القوى الدينية وليس مع القوى العلمانية. واعلنت الحركة ان خلافها مع القوى العلمانية هو في الجانب الايديولوجي فقط، وان هذا الخلاف "ليس مبررا للاقتتال او الصراع . . . والموقف ازاء هذه القوى يحدده اقترابها وبعدها من صفقات التسوية التساومية للقضية واقترابها وابتعادها عن خط التماس المشتعل ضد العدو الصهيوني"(٣٣).

لقد اشارت بعض المصادر الى ان حركة الجهاد الاسلامي سوف تستخدم العنف من اجل الاطاحة "بالانظمة المتعفنة وتنظيف المجتمع الاسلامي من اليسار والماركسيين المرتدين وتخليص الارض الاسلامية من القوات الاجنبية"(٣٤)، الا ان هذا الحديث فيما يتعلق بالقوى السياسية الفلسطينية الاخرى ان صح نظريا فهو لم يتخذ منحاة العملي طوال السنوات التي عمل فيها الجهاد الاسلامي في ساحة الارض المحتلة، وانحصر صدام الجهاد مع قوات الاحتلال الاسرائيلي.

اما بالنسبة للانظمة الحاكمة في البلدان العربية والاسلامية فلم تحظ بثقة حركة الجهاد الاسلامي في يوم من الايام، فهي بالنسبة للحركة "دمى الغرب المستعمر والكافر"(٣٥). لقد حذرت حركة الجهاد الانظمة العربية من مغبة الصلح مع اسرائيل واكدت ان حربها مع هذه الانظمة لن تكون حرب شعارات، وقالت "ان الرصاصة التي

اجهزت على حاكم مصر السابق جاهزة في جعبة حركة الجهاد الاسلامي لتجهز على كل من يوقع صفقة مع العدو . . . وهذا اقل ما يمكن ان يكون عليه الرد الاسلامي"(٣٦).

وفي حين تتعامل حركة الجهاد مع التنظيمات الفلسطينية العلمانية ضمن حدود الاختلاف الفكري بين الطرفين دون الوصول الى استخدام العنف، الا انها لم تسع الى الاتحاد معها في يوم من الايام ضمن اي تشكيلة جبهوية، رغم ان بعض المصادر الاجنبية اشارت الى استعداد حركة الجهاد للوحدة فقط مع الفصائل الاسلامية الاخرى بل ومع التنظمات الوطنية باستثناء الشيوعيين(٣٧).

يبدو لنا ان هذا الكلام يخلط بين حركة الجهاد الاسلامي وبين الرأي الذي تبناه الاخوان المسلمون الفلسطينيون في فترة من الفترات، وهو امكانية التنسيق مع الجميع باستثناء الشيوعيين. فالجهاد الاسلامي لا يسعى الا للاتحاد مع التنظيمات الاسلامية الاخرى، الاخوان المسلمون وحزب التحرير وجماعة "الدعوة والتبليغ" والمجموعات "السلفية" واصحاب "الطرق الصوفية" كما اعلنتها الحركة(٣٨). الا انه من ناحية اخرى فان الجهاد الاسلامي لا يرى لنفسه موقعا مع التنظيمات العلمانية التي لا يتفق مشروعها الوطني مع المشروع الاسلامي لحركة الجهاد.

لقد سارعت حركة الجهاد الى الاعلان عن عدم عضويتها في تشكيلة القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة رغم ان القيادة الموحدة المشكلة من بعض التنظيمات الوطنية العلمانية قد لمحت الى اشتراكهم فيها(٣٩)، الا انه تبين فيما بعد ان المقصود باعلان القيادة الموحدة عن اشتراك الجهاد كان في اعمال مقاومة جنود الاحتلال وليس في تركيبة القيادة نفسها. وتجدر الاشارة الى ان حركة الجهاد الاسلامي وكذلك الاخوان المسلمين قد اشتركوا مع التنظيمات الوطنية الاخرى بمن فيها الشيوعيين، في التوقيع على بيانات مشتركة تدين العملية السلمية الجارية الآن مع الاسرائيليين واشتراك منظمة التحرير فيها.

وفي وقت لاحق اكدت حركة الجهاد الاسلامي وبصورة واضحة ان ليس لها ممثلا في القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة، وان ليس لها نوايا مستقبلية للعمل سوى على

ارضية الجبهة الاسلامية الموحدة، واعلنت : "هدفنا الاستراتيجي والمرحلي هو العمل لترسيخ المشروع الاسلامي الوحدوي - ولذا فاننا ندعو لقيام القيادة الاسلامية الموحدة المرتكزة على عقائدية الصراع مع العدو"(٤٠).

ان حركة الجهاد الاسلامي كما اعلنت لا ترى تناقضا بين رفض الاتحاد او التنسيق او التحالف مع التنظيمات الوطنية مركزيا وبين التعامل مع افراد التنظيمات الاخرى على مستوى الميدان، فحركة الجهاد ترى ان مشرعها "مشروعا آخر غير مشروع م.ت.ف. وان كان يتقاطع معه في مسألة محاربة المؤسسة الصهيونية الا ان مشروعنا سيعتمد بلا شك مؤسسات اخرى تنسجم مع رسالته . . . الا ان ذلك لا ينسحب على التعامل اليومي مع الافراد فنحن نكبر كل جهد باتجاه القضية ونجل كل قطرة دم من اجل فلسطين ونحنو بحب واخوة على كل المعتقلين"(٤١).

أما بالنسبة لموقف حركة الجهاد الاسلامي من القضية الفلسطينية، فان الحركة ترى ان هذه القضية هي القضية المركزية التي تواجه الامة الاسلامية(٤٢). وضمن هذا الفهم للقضية الفلسطينية ينتقد انصار حركة الجهاد بشدة الحركات الاسلامية الاخرى الذين يصفونهم بالمسلمين التقليديين، ويصنفونهم الى فئتين، فئة تتجاهل القضية الفلسطينية "وكأنها كقضية سياسية - لا تتجاوز الخلاف بين عمان ورأس الخيمة . . . ويتصورون - وكطريقتهم المعتادة في التصور - ان قيام دولة اسلامية في المنطقة سينهي المشكلة تماما وسيحسم الصراع الطويل ويعيد فلسطين لاهلها خلال ساعات"(٤٣)، وغالبا ما يقصدون هنا حزب التحرير. والفريق الآخر الذي يتبع الموقف "اللاتحليلي والعاطفي الذي يرى ان فلسطين هي ارض المقدسات الاسلامية وان الايدي الاسلامية المتوضئة هي التي ستحررها وكفى الله المؤمنين شر الدراسة والوعي والتحليل"(٤٤)، والاغلب ان المعني هنا الاخوان المسلمين.

ان اهمية فلسطين بالنسبة لحركة الجهاد الاسلامي تنبع من ابعاد ثلاث، اولها ديني حيث ان فلسطين ارض مقدسة فيها المسجد الاقصى وقبة الصخرة، وهي ارض الاسراء والمعراج. ثانيها البعد التاريخي حيث شكل احتلال فلسطين من قبل اليهود راس رمح في الهجمة الغربية على العالم الاسلامي كما تسميها الجهاد، والتحدي

الغربي هو اهم الاخطار التي يواجهها العالم الاسلامي. ثالثها الخطر المباشر الذي تمثله اسرائيل للشعب الفلسطيني ولوجوده ولمستقبله.

ان اسرائيل بالنسبة للجهاد تجمع استيطاني في المنطقة الاسلامية، كما ان الجهاد الاسلامي تشارك ايران موقفها من ان اسرائيل حارسة لمصالح "الاستكبار العالمي وعلى رأسه الشيطان الأكبر امريكا"(٤٥)، وان صراع المسلمين معها هو امر حتمي يمثل تصدي الحق للباطل.

ان التصدي للاحتلال مسألة يراها الجهاد الاسلامي غير قابلة للتأجيل، ويجب ان تبدأ في اللحظة التي يقع فيها الاحتلال دون انتظار انشاء دولة اسلامية او مجتمع اسلامي. ويركز الجهاد انتقاداته للحركات الاسلامية الاخرى حول هذه المسألة من حيث ان مواجهة اسرائيل لا تتم الا بعد اقامة الدولة الاسلامية، وكأنه نفس موقف الرسول الذي لم يؤذن له بالقتال الا بعد قيام الدولة الاسلامية(٤٦). على اية حال فلقد جاء انشاء حركة حماس من قبل الاخوان المسلمين ليضع حدا لاتهام الاخوان بتأجيلهم مواجهة الاحتلال بينما استمر حزب التحرير في نفس مواقعه.

ان تأسيس حماس هو النقطة التي جعل انتقاد موقف الاخوان المسلمين من القضية الفلسطينية مسألة تاريخية تنحصر خاصة في سنوات الستينات والسبعينات، وهي تلك الفترة التي اشتعلت فيها "الساحة الفلسطينية بالنار والدم، وقفت اجنحة الحركة الاسلامية موقفا بعيدا وكان التبرير ان قيادة الصراع لم تكن بأيد اسلامية"(٤٧).

وتشن حركة الجهاد الاسلامي هجوما عنيفا على الانظمة في البلدان العربية والاسلامية، وتعتبر ان ذلك بالاضافة الى مهاجمة اسرائيل هما الوسيلتان الرئيسيتان لمواجهة المشروع الغربي الاستعماري في المنطقة، وهم بهذا انما يقتربون من المواقف التقليدية لحزب التحرير ويبتعدون عن تلك التي يتبعها الاخوان المسلمون عادة.

وعلى اعتبار ان الاردن هو اقرب بلد الى فلسطين جغرافيا وسياسيا فيحظى النظام

الاردني بنقد حركة الجهاد اللاذع وكذلك علاقة الاخوان المسلمين بذلك النظام وسياستهم تجاه الاردن، وتؤكد الحركة انه في "الاردن الذي وجدت فيه الحركة الاسلامية التقليدية على مدى اربعين عاما بشكل رسمي، وما زالت الحركة في مكانها قانعة بعضو او عضوين في البرلمان الاردني وبعض المؤسسات الاجتماعية ووظائف وصلت احيانا الى مرتبة وزير، ولم يشكل هذا اي تأثير او ثقل سياسي في مواجهة النظام الهاشمي، بل وارتفعت منذ نهاية السبعينات ورغم الصحوة الاسلامية التي هزت العالم ومنه الاردن، ارتفعت نغمة لم تكن مألوفة فيه من قبل تقول (ان الاردن لا يصلح لاقامة دولة اسلامية فيه الا اذا قامت اولا في العراق وسوريا)، وهكذا بعد ثلاثين عاما من تأجيل الموضوع الفلسطيني (اسلاميا) وعلى امل اقامة دولة اسلامية مجاورة كالاردن مثلا او غيره، اصبح اقامة دولة اسلامية في الاردن مؤجلا على امل قيامها في العراق او سوريا"(٤٨).

ان القضية الفلسطينية برأي الجهاد الاسلامي قد تجاوزت كونها قضية محلية فلسطينية او حتى كونها قضية عربية واصبحت قضية اسلامية عامة، وعلى هذا الاساس فان الحل لا يمكن ان يكون بيد احد، لا المنظمات ولا الجمعيات والاحزاب، ولا الحكومات بينما الحل يكمن في الاسلام(٤٩).

* * *

الفصل الثاني

واقع العمل الاسلامي الفلسطيني في الفترة الحالية

(١) المزيد من الاسلمة

ما زالت عملية الاسلمة في الاراضي الفلسطينية المحتلة قائمة على قدم وساق، وفي جميع المجالات. ان الاسباب الكامنة وراء هذه العملية في الفترة الحالية هي نفس الاسباب التي ادت الى بروز الصحوة الاسلامية في النصف الثاني من سنوات السبعينات(١) وامتدادها حتى الوقت الحاضر، مضافا اليها ثلاثة عوامل جديدة.

الأول : هو ما جرى في الاتحاد السوفياتي السابق ودول ما كان يسمى بالمنظومة الاشتراكية من انهيار للتجربة الاشتراكية هناك، وتوجيه ضربة عنيفة للفكر الاشتراكي واليساري عامة في العالم وفي فلسطين ايضا، وذهاب الكثير من الشيوعيين السابقين للبحث عن ضالتهم أما في الفكر القومي او الفكر الديني او في خليط منهما. ان ذلك يصح سواء ما يتعلق منه بالتنظيمات اليسارية، او بعضها، او ما يتعلق بالافراد. انه عودة للبحث عن الذات داخل الذات، بعيدا عن "الاقتداء" الخارجي، ويبدو ان اول ما يجد الانسان الفلسطيني المسلم العادي داخل ذاته ثقافته التي يردها الى الاسلام عادة.

الثاني : حرب الخليج وتداعياتها حيث اثرت تلك الحرب على منظمة التحرير الفلسطينية بشكل سلبي للغاية، فمن ناحية توقفت الاموال الخليجية سواء المساعدات الحكومية الرسمية من بلدان الخليج لمنظمة التحرير، او المساعدات التي كان يقدمها الفلسطينيون المقيمون في تلك البلدان الى المنظمة وانقطعت نتيجة فقد الكثيرين منهم لاعمالهم خاصة في الكويت، او نتيجة توقف الحكومات عن اقتطاع تلك المساعدة من رواتب الموظفين الفلسطينيين.

من ناحية اخرى فان الموقف الذي اتخذته الدول الغربية وخاصة الولايات المتحدة من منظمة التحرير على ضوء ما قيل عن موقفها المؤيد للعراق أبان الازمة حاصر

منظمة التحرير سياسيا وجعل موقف الاسلاميين، وهم البديل المرشح موضوعيا، يبدو وكأنه الموقف الأكثر عقلانية.

الثالث : عدم انجاز اي تقدم يذكر في العملية السلمية الحالية التي ابتدأت بمؤتمر مدريد، يكسب الجهات التي رفضت دخول الفلسطينيين للمؤتمر، وفي مقدمتهم الاسلاميين مصداقية اكثر، ويضع المنظمة التي راهنت على تحقيق بعض المكاسب في وضع حرج. وكلما تقدم الوقت بالمسيرة السلمية دون ان تنجز شيئا ملموسا سيبقى ذلك بالنسبة للاسلاميين دليلا على صحة الموقف الذي اتخذوه بينما يعتبر فشلا للجانب الآخر وهو في هذه الحالة، ويبدو انه سيبقى في كل حالة، منظمة التحرير الفلسطينية.

ان نظرة سريعة الى مظاهر الاستمرار في عملية الاسلمة في الاراضي المحتلة بعد انقضاء اربعة اعوام على الانتفاضة، ترينا ان هذه المظاهر استمرت في الازدياد افقيا على مستوى الاستمرار في خلق المؤسسات والبنى التحتية الدافعة لعملية الاسلمة والمشكلة لمظاهرها ايضا، وكذلك تعمقت هذه المظاهر رأسيا على مستوى الطرح السياسي الاسلامي والمشاركة السياسية الاسلامية.

ومن زاوية المظاهر الخارجية للاسلمة، نرى ان اعداد الشبان الملتحين والفتيات المحجبات اخذة في الازدياد، بل واخذت في الظهور والازدياد ايضا ظاهرة ارتداء الخمار على الوجه بأكمله. من ناحية اخرى، ورغم الاوضاع الاقتصادية السيئة في المناطق المحتلة، ما زالت ظاهرة بناء المساجد تسير بوتيرة عالية وفي كافة المناطق المحتلة.

وازدادت اعداد اولئك الشبان الذين يرتادون المساجد لاداء الشعائر الدينية بشكل كبير خاصة بعد حرب الخليج، كذلك ازداد عدد الراغبين باداء فريضة الحج رغم الاحتجاجات الكثيرة التي ترددت حول وجود قوات "الحلفاء" في الاراضي الحجازية، وضرورة تأجيل الحج الى ما بعد انسحاب تلك القوات.

وما زالت الكتب الدينية او المتعلقة بالدين هي الأكثر رواجا في اسواق كل من

الضفة الغربية وقطاع غزة، ويتصف الاقبال على تلك الكتب بالديمومة بينما تجد بعض الكتب السياسية رواجا موسميا مثل تلك التي تعلقت بحرب الخليج وشخصية صدام حسين . . . وما شابه.

وعلى الرغم من تبعات حرب الخليج عل المناطق المحتلة في المجال الاقتصادي، فلقد استمر عمل لجان الزكاة والجمعيات الاسلامية الاخرى بل وزاد عملها واخذت هذه اللجان طريقها لكي تصبح الوحيدة التي تقوم بالاعمال الخيرية باستثناء بعض المؤسسات الاجنبية، حيث عطل الوضع الاقتصادي السيء العديد من اللجان الاخرى. ومن الملاحظ توسيع نشاط لجان الزكاة نحو مشاريع تعتبر كبيرة بمقاييس الارض المحتلة مثل مشروع اقامة مستشفى في مدينة قلقيلية.

كما توسعت العلاقات الداخلية والخارجية لتلك اللجان، واصبح لها علاقات وطيدة مع الجاليات والجمعيات الاسلامية ليس فقط في البلدان العربية بل وفي اوروبا والولايات المتحدة ايضا. وعن طريق تلك العلاقات ذهب بعض المتخصصين في الدراسات الشرعية الاسلامية الى الولايات المتحدة لاعطاء محاضرات دينية اثناء شهر رمضان الماضي.

واستمر الاهتمام الاستثنائي للاسلاميين بالتعليم وضرورة ان يكون اسلاميا، فواصلت رياض الاطفال التي تعتمد ما تعتبره الطريقة الاسلامية في الانشاء. صحيح ان معظمها انشىء اساسا من اجل الربح، ولكن اعتمادها على الطريقة الاسلامية يساعد من ناحية ايديولوجية ويساعد ايضا في الهدف الاساسي الذي انشئت من اجله.

وكامتداد لرياض الاطفال الاسلامية واصل التعليم الاسلامي بمجمل فتراته سواء في المدارس الاسلامية او الجامعات والمعاهد العليا نشاطه، ويفترض ان تكون الكثير من المعاهد العليا التي تقوم بتدريس الدراسات الاسلامية والتي انشئت في معظمها في اواخر السبعينات قد خرجت الان الاف "المشايخ".

لقد بلغت نسبة طلبة الدراسات الاسلامية في المعاهد العليا التي تدرس تلك الدراسات (جامعة غزة الاسلامية ومعهد الازهر هناك وجامعة الخليل، معهد ابو ديس

الديني، كلية الدعوة واصول الدين في القدس، المعهد الديني الشرعي في قلقيلية وجامعة النجاح الوطنية في نابلس) في العام الدراسي ١٩٨٦/١٩٨٧ حوالي ١٤,٥٪ من مجموع طلبة التعليم العالي في الاراضي المحتلة أي حوالي ٢٥٠٠ شخص يفترض انهم تخرجوا الآن جميعا بالاضافة لاولئك الطلبة الذين يتخرجون في نفس المواضيع في الخارج خاصة في الاردن.

ومن الناحية السياسية، حيث يتميز الوضع في الاراضي المحتلة حاليا بسيطرة الشكل السياسي للاسلمة اكثر من العمل المؤسساتي السلمي الذي ميزها في الحقبة السابقة. فما زالت الاضرابات التي تدعو لها حركة حماس تنفذ على مستوى الاراضي المحتلة كلها، وتصدر الحركة بياناتها بشكل منتظم تقريبا، وتجري حماس استعراضات لاعضائها بين الفينة والاخرى في مناطق عديدة وتملأ شعاراتها الجدران في كافة المناطق.

أما فيما يتعلق بالجهاد الاسلامي فيبدو ان نشاطها في هذه المجالات اقل حيث تلتزم معظم المناطق بدعوتها للاضراب وليس جميعها، وللحركة شعاراتها وبياناتها ايضا ولكن ليس بكثافة حماس، وذلك يبدو انه راجع لطبيعة الحركة العسكرية اكثر وكثافة الملاحقات التي تطالها من وقت لآخر.

اما حزب التحرير فاستمر على اسلوبه بعدم الايمان بضرورة الدعوة للاضراب او كتابة الشعارات، كما استمر في طريقته في الدعوة لمبادئه عن طريق كتابة المنشورات وتوزيعها وهو نشيط في هذا المجال، ويصدر حزب التحرير الكراسات والكتيبات بوتائر عالية نسبيا، كذلك تصدر مجلة مؤيدة للحزب في الخارج توزع في الاراضي المحتلة، ويجري ذلك ايضا بالنسبة لكل من حماس والجهاد.

كما ان كثيرا من العمليات العسكرية او العنيفة التي حدثت ضد الاسرائيليين مثل عمليات الطعن، قد حملت الطابع الاسلامي اما من خلال تبني الجهاد او حماس لها او من خلال الشكل الذي تتم فيه كأن يصرخ الشخص قائلا "الله اكبر" او يحمل مصحفا . . . وما شابه.

كما ان من اهم مظاهر الاسلمة على المستوى السياسي تعامل الحركات الاسلامية السياسية خاصة حركة حماس والجهاد الاسلامي مع التنظيمات والقوى السياسية الاخرى خاصة في محاولة تصديهم لاشتراك منظمة التحرير في العملية السلمية، وكذلك اشتراك حماس في الانتخابات التي تجري في المؤسسات الفلسطينية في الارض المحتلة التي اثبتت من خلالها انها واقعا موجودا لا يمكن تجاهله كما سيرد بعد قليل.

(٢) ديناميكية العلاقة مع التنظيمات الوطنية في الظروف الجديدة

العلاقة بين التنظيمات الفلسطينية بعضها ببعض، وخاصة بين الحركات الاسلامية والحركات الوطنية تأخذ اهمية كبيرة في الوقت الحاضر، بل هي الشغل الشاغل لمختلف الاطراف، وربما لا نبالغ ان قلنا ان التنظيمات الفلسطينية تدرس بعضها بعضا وتنشغل ببعضها البعض اكثر مما يشغلها الاحتلال الاسرائيلي.

والعلاقة هذه لم تكن دائما على وتيرة واحدة، بل تراوحت بين الود والتنسيق والمجاملة احيانا وبين التهديد والصراع والقتل في بعض الاحيان. لقد اعتمدت العلاقة تلك في الاغلب على مستوى الصراع مع الاحتلال، اي مدى تقدم الانتفاضة او تخلفها، ففي اللحظة التي تتصاعد فيها الانتفاضة نشهد على الاقل سكوتا للتصارع بين الطرفين وفي فترات انحسار الانتفاضة تفتح الابواب امام الاقتتال الداخلي.

لقد كان دخول الاخوان المسلمين ساحة العمل الوطني بتشكيلهم لحركة حماس سببا مباشرا في تأجيج الصراع بينهم وبين منظمة التحرير الفلسطينية وخاصة حركة فتح. صحيح ان الجانب الوطني كان لا يكف عن توجيه النقد للاخوان المسلمين بأنهم بعيدون عن ساحة العمل الوطني، ولكن ما ان دخل الاخوان هذه الساحة، حتى بدأ الصراع في "نفس الملعب" وبنفس المقاييس وعلى نفس الاهداف، وبالتالي ربما وجدت بعض الاطراف الوطنية نفسها تلعن اللحظة التي كانت تحث فيها الاخوان على دخول ساحة العمل الوطني المباشر.

سبب أخر لازدياد حدة التوتر بين الحركات الاسلامية والمنظمة ممثلة عادة

بحركة فتح، كان العملية السلمية حيث افرزت وضعا غريبا بعض الشيء. فالذين يؤيدون العملية السلمية الحالية وجدوا انفسهم في موقع المدافع ولن يسعفه في دفاعه الا تحقيق شيء ملموس، هذا على المستوى الشعبي بينما قد يجدون نوعا من التفهم على مستوى المثقفين. والذين يرفضون العملية السلمية اصبحوا في موقع الهجوم من دون ان يكون عليهم هم انفسهم ان يحققوا شيئا من الرفض.

هكذا هو الوضع، صراع ايديولوجي غير متكافىء حول عملية السلام، مع انه - حتى الان - لا حقق القابلون شيئا ويدافعون بشدة، ولم يحقق الرافضون شيئا ويهاجمون بشدة، دون ان يبدو ان احدا من الطرفين يكلف نفسه بالنظر الى عملية السباق تلك، ليرى انه ليس هناك اية مباراة. السبب الهام الآخر الذي يبدو برأينا انه يشعل الاقتتال الداخلي بين الحركات الفلسطينية خاصة الاسلامية والوطنية، وأكثر خصوصية حماس وفتح، هو انه في كل مرحلة من مراحل الصراع العربي-الاسرائيلي، تبدو ان هناك خطوة انتقالية قادمة، كالحكم الذاتي او الحكومة في المنفى او المجلس التشريعي مثلا، حيث تتطلب تلك الخطوة الانتقالية، انتخابات او سيطرة على المؤسسات حتى تأتي تلك المرحلة ويجد التنظيم نفسه في موقع المسيطر، او على الاقل في موقع افضل.

يفوت الوقت، ويتبين ان ذلك الذي انتظرناه كان مجرد اوهام، ونكون قد استنفذنا جهدنا في التمهيد له على حساب وحدتنا الوطنية، ثم تأتي خطوة انتقالية اخرى نستعد لها . . . وهكذا.

وللحديث عن العلاقة بين منظمة التحرير الفلسطينية وخاصة فتح وبين التنظيمات الفلسطينية الاسلامية، لا بد من التطرق ليس فقط الى حركتي حماس وفتح رغم انهما تأخذان معظم الدور في هذا المجال، بل لا بد من التطرق الى موقف التنظيمين الاسلاميين الآخرين، الجهاد الاسلامي وحزب التحرير، وكذلك حركة حماس.

(أ) حركة الجهاد الاسلامي ومنظمة التحرير الفلسطينية

ان الحديث عن العلاقة بين اي تنظيم فلسطيني ومنظمة التحرير يعني بالضرورة الحديث عن ذلك التنظيم وعلاقته بحركة فتح الحركة المسيطرة والمقررة في المنظمة. ان الحديث عن العلاقة بين حركة الجهاد الاسلامي والتنظيمات الفلسطينية الاخرى التي تشكل منظمة التحرير الفلسطينية كالجبهة الشعبية والديمقراطية وحزب الشعب مهما كانت تلك العلاقة ايجابية ام سلبية، سوف لن تؤثر من قريب او بعيد على العلاقة بين حركة الجهاد ومنظمة التحرير ما دامت العلاقة مع فتح تختلف.

على اية حال فان علاقة الجهاد الاسلامي مع التنظيمات الفلسطينية الاخرى يحكمها بالاساس موقفها من العملية السلمية الجارية حاليا، ومن هنا نرى ان علاقة الحركة مع الجبهة الشعبية مثلا موجودة ايجابيا من خلال اشتراكهما في التوقيع على الوثائق الرافضة لتلك العملية، رغم اختلافهما كليا في المواقع الايديولوجية.

وعودة الى علاقة حركة الجهاد بفتح، فهناك الكثير مما يقارب بين الحركتين، فالجهاد الاسلامي اعتمدت العمل الوطني وخاصة العسكري منذ نشوئها وهي تشبه في ذلك نشوء حركة فتح، كما ان فتح رغم كونها تنظيم علماني بشكل او بآخر، الا انها لم تكن في يوم من الايام تنظيم له موقف سلبي من الدين، بل ان الجذور الدينية لمعظم رموز فتح جعلتها اقرب الى اعتماد الفكر الديني من الفكر العلماني.

ولكن الأهم من ذلك في تقريب العلاقة بين الطرفين، ان فتح لم تشعر في يوم من الايام بأن حركة الجهاد الاسلامي منافسا حقيقيا لها. فالجهاد تنظيم صغير عسكري اكثر منه سياسي، وقد يكون مؤهلا للتنافس مع حماس المنافس الحقيقي والرئيسي لحركة فتح.

وغنى عن القول ان حركة الجهاد الاسلامي، وكما سبق وقلنا، تعتمد اسلوبا آخر للعمل غير الاسلوب الحالي الذي يعتمد على وجود مؤسسات منظمة التحرير، فهي - اي الجهاد - تناضل بفكرها الخاص وباسلوبها الخاص المختلف تماما عن اسلوب فتح،

وبالتالي فليست هناك اية امكانية لايجاد شيء مشترك للتنافس عليه. وعلى هذا الاساس فانه لم يحدث ابدا ان تصادمت حركة الجهاد الاسلامي مع اي من التنظيمات الوطنية، في حين انها اصطدمت مع الاخوان في جامعة غزة مثلا. ان الغريب في الموضوع ان الصراع بين التنظيمات الفلسطينية - ويصدق ذلك على العربية الى حد بعيد - عادة ما يبدأ عندما تتفق في الرؤيا وليس عندما تختلف فيها.

ان الامور الموجبة للتقارب واوجه الشبه في كثير من الامور بين حركة الجهاد الاسلامي وفتح لم يكن بالضرورة مصحوبا بتنسيق فعلي بينهما، بل لقد كانت حركة الجهاد حريصة على اعلان تمايزها عن فتح بعد ان دأب الاعلام الاسرائيلي والغربي على وصفها بانها جناح عسكري لحركة فتح، وبالتالي فقد ركزت في اكثر من بيان لها ونددت بمحاولات استخدام اسمها واحتوائها وحذرت الجهات التي تعمل ذلك واعلنت ان "الجهاد الاسلامي في لبنان وفلسطين والاردن ينفي اي علاقة له بمنظمة التحرير الفلسطينية ويرفض ان يكون الجهاد الاسلامي غطاء للحوارات والتصالح مع الكفر الصهيوني"(٢).

وعلى الرغم مما سبق ذكره من الامور التي يشترك فيها الطرفان، او قد تكون عوامل تقريب بينهما، الا ان هناك عوامل كثيرة يختلفان بها أيضا، فحركة الجهاد الاسلامي ومنذ البداية اخذت على منظمة التحرير الفلسطينية وعلى فتح وقوفها مع العراق ضد ايران في حرب الخليج الاولى، تلك الحرب التي اعتبرتها حركة الجهاد عدوانا ضد القاعدة الاسلامية الاساسية. واخذت عليها كذلك "مهادنتها" للانظمة العربية التي تعتبرها حركة الجهاد الاسلامي جزءا من المشروع التصفوي للقضية الفلسطينية وحلقة من حلقات التآمر بالاشتراك مع القوى الغربية واسرائيل(٣).

وكانت كل محاولة للتقارب بين فتح والولايات المتحدة الامريكية، او اقتراب فتح من اية عملية سياسية كافية لاتخاذ موقف مضاد لها من قبل الجهاد الاسلامي. فكتب احد انصار الحركة متسائلا بمرارة انه قد يكون للانظمة ما تجنيه من الولايات المتحدة، ولكن هل يوجد للفلسطينيين مبرر واحد للسعي لان يصبحوا زبائن للسوبرماركت الامريكي(٤).

لقد عملت الانتفاضة خاصة في بداية انطلاقتها، والتضحيات العديدة التي قدمت اثناء ذلك الى ايجاد نوع من التقارب بين جميع التنظيمات الفلسطينية على اختلاف منطلقاتها، ومن بينها حركة الجهاد الاسلامي وفتح. الى ان جاءت العملية السلمية الجارية حاليا وموافقة منظمة التحرير الفلسطينية عليها على اثر الاجتماع الأخير للمجلس الوطني الفلسطيني الذي عقد في الجزائر، حيث ادت الى ازدياد شقة الخلاف بين الجهاد وفتح. لقد اضطرت حركة الجهاد الاسلامي الى الاعلان عن ان الشيخ اسعد بيوض التميمي لا يمثلها على اثر حضوره اجتماع الجزائر، وكان لحركة الجهاد موقفها الخاص من العملية السلمية كما سيتبين فيما بعد.

الا ان ما ميز خلاف الجهاد الاسلامي مع اي تنظيم أخر قد بقي مسيطرا عليه حتى عندما بلغ الخلاف مرحلة خطيرة بعد العملية السلمية الحالية، فاستمر الصراع ضمن حدوده الاعلامية والسياسية والاخلاقية عموما بعكس الذي جرى بين تنظيمات اخرى كما سنرى.

(ب) حزب التحرير ومنظمة التحرير الفلسطينية

العلاقة بين حزب التحرير ومنظمة التحرير الفلسطينية لم تتغير منذ انشاء المنظمة عام ١٩٦٤ حتى الآن، ويبدو انها لن تتغير. تماما مثلما لم تتغير نظرة حزب التحرير الى المنظمة وتقييمه لها منذ ذلك التاريخ. فعندما انشئت منظمة التحرير الفلسطينية اصدر حزب التحرير بيانا عن هدف انشائها جاء فيه : "فقد ثبت بما لا يقبل الشك ان الغاية من ايجاد هيئة التحرير الفلسطينية، التي يرأسها الشقيري، هي فصل الضفة الغربية عن الاردن، واقامة كيان مستقل فيها، يكون دولة ثانية لا تحوي القدس ولا بيت لحم، وهذا العمل ولا شك تمزيق لبلد اسلامي الى ثلاثة كيانات. دولة فلسطين، وكيان القدس المدولة، ودولة شرق الاردن. وهو عكس ما أمر الله به من وحدة البلاد الاسلامية، وعين ما جاءت الاحاديث الصحيحة بالنهي الجازم عنه. وقد كان على هيئة التحرير - والقائمون عليها مسلمون - ان يعملوا ما يجب ان يعمله المسلمون، وهو هدم الكيان الاردني كله، ودمجه في بلد اسلامي أخر كمصر او كالعراق او كسوريا مثلا، لا ان يمزقوه الى ثلاثة كيانات احدها القدس المدولة تحت يد الكفار. لذلك كانت غاية هيئة التحرير هذه هي ارتكاب اثم كبير، والقيام بفعل

حرام، والاقدام على اجرام فظيع. ومن هنا كان حراما على كل مسلم ان ينتسب لهذه الهيئة، وكان حراما عليه ان يشتغل معها لهذه الغاية ولو بأجر، وكان حراما عليه ان يتبرع لها بالمال او بالجهد او بأي شيء، وكان حراما عليه ان يبذل لها اية مساعدة، وكل من يفعل شيئا من ذلك فقد عصى الله، وعصى رسول الله"(٥).

بقي حزب التحرير مصرا على مواقفه الايديولوجية الأولى من ناحية كون العالم مقسما الى نفوذ امريكي وآخر بريطاني، وان منظمة التحرير هي "تخطيط من الدول الغربية"، وان الدولة الاسلامية هي التي ستقوم بطرد الاحتلال الاسرائيلي (اليهود) من فلسطين، وعلى هذا الاساس استمر الحزب في العمل الفكري (اصدار البيانات والمجلات والكراسات) للدعوة لقيام دولة الخلافة، دون ان يفكر في لحظة من اللحظات في القيام بأي اجراء عملي سواء مع الاحتلال او مع التنظيمات الفلسطينية الاخرى.

ولم يشارك الحزب في الانتفاضة، الا انه ايدها كما جاء على لسان أحد اعضاء الحزب، كما "حذر الامة من استغلالها وتجييرها لصالح المؤتمر الدولي"، ولم يكن من الممكن ان يدور في خلد ذلك الشخص ان الامور ستسير باتجاه ما هو اقل من المؤتمر الدولي(٦).

ورغم ما يجري من صراع حميم على مراكز النفوذ والسيطرة على المؤسسات في الاراضي المحتلة، فان حزب التحرير بقي بعيدا عن كل ذلك، ويرفض استخدام الرموز الوطنية مثل العلم وغيره لتحقيق امور تعبوية كما تعمل حركة حماس مثلا، وعلى هذا الاساس فان العلاقة مع منظمة التحرير الفلسطينية لا تخرج عن اطار النقد الذي يوجه لها وللعملية السلمية في الادبيات التي يصدرها الحزب.

(ج) حركة حماس ومنظمة التحرير

مرة اخرى يدور الحديث عن العلاقة مع فتح عندما نتحدث عن منظمة التحرير. ان هذا لا يعني عدم اهمية التنظيمات الاخرى على الساحة الفلسطينية، ولا يعني ان علاقة حماس بالحركات اليسارية الفلسطينية لم يطرأ عليها ان تغيير، بل يعني ان حركة فتح والعلاقة معها هي التي تصبغ بصبغتها العلاقة مع منظمة التحرير عموما.

ان التأريخ للعلاقة بين حركتي حماس وفتح منذ انشاء الأولى هو تأريخ لجزء هام من العمل الفلسطيني في الاراضي المحتلة، وهو الموضوع الأهم والأخطر على الساحة السياسية الفلسطينية الداخلية.

يبدو ان توقعاتنا قبل عامين من الآن حول العلاقة بين فتح وحماس قد اصابت، عندما قلنا انه "حيث ان الجو الذي ساد العلاقة بين التيارات السياسية الاسلامية والتيارات الوطنية في فلسطين هو جو المنافسة الشديدة حتى الآن، فان المرحلة المقبلة ستشهد مزيدا من التنافس في حالتين، الأولى في حالة ضرب الانتفاضة الفلسطينية ضربة شديدة وتراجع مقاومة الاحتلال بشكل يسمح بالصراع الداخلي . . . والثانية في حالة حدوث تقدم كبير نحو حل القضية الفلسطينية وادراك الجهات المتنافسة ان وقت "الاستثثار" بالنتائج قد دنى"(٧). ان التقييم الموضوعي يرينا ان الامرين قد حدثا بشكل او بآخر.

لقد سادت السلبية مجمل العلاقة بين فتح وحماس، في بعض الاحيان بهدوء، وفي احيان اخرى بتوتر وصراع عنيفين. وقبل انشاء حماس، ومع بداية الحديث عن الصحوة الاسلامية في فلسطين في النصف الثاني من السبعينات، راهنت فتح على الاسلاميين عندما كان "الخطر" اليساري موجودا وسعت لان تكون علاقتها معهم جيدة، وتحسنت العلاقة اكثر عندما خرجت منظمة التحرير من بيروت وحدث الاقتتال الفلسطيني وساءت العلاقة بين منظمة التحرير وسوريا، تلك العلاقة التي هي مع الاخوان المسلمين سيئة تاريخيا، ولذلك وقف الاخوان المسلمون ضد انشقاق حركة ابو موسى عن فتح، لا لشيء الا لان ابو موسى كان قريبا من سوريا فوصفوا ابو موسى وجماعته بانهم خونة(٨)، مع العلم انهم الان يوقعون معا على بيانات مشتركة.

وتحسنت العلاقة بين الاخوان وفتح بعد الخروج من بيروت على اثر تحسن العلاقة بين المنظمة والاردن، حيث وقف الاردن الى جانب فتح بقيادة ياسر عرفات، واستضاف المجلس الوطني الاصعب في حياة فتح في عمان، حيث العلاقة التاريخية بين الاردن والاخوان المسلمين جيدة. لقد كانت العلاقة مع الاردن بالنسبة لفتح مقياسا للعلاقة مع الاخوان المسلمين الى ان انشئت حماس فتغيرت قوانين اللعبة بعض الشيء.

الا ان عوامل الاختلاف بقيت تتنامى رغم كل ما يقرب التنظيميين، ففتح رغم جذور معظم قادتها الدينية هي اولا وأخيرا تنظيم علماني مع ان هذا وحده لا يكفي فحماس لا تهتم كثيرا بهذا الموضوع حيث نستطيع القول ان علاقتها الان بالجبهة الشعبية مثلا افضل من علاقتها بحزب التحرير او حتى بالجهاد الاسلامي. الا ان الخلفية الفكرية لحماس تفترض ان القضية الفلسطينية قضية اسلامية يجب ان يحلها المسلمون أنفسهم. لقد كتب احد المقربين من حماس قائلا : "وما النضال الذي تخوضه الفئات العلمانية في الاراضي المحتلة وخارجها الا شكلا من اشكال تثبيت ضياع الهوية الاسلامية لفلسطين والجماهير الاسلامية، وما النتائج التي يتمخض عنها هذا النضال الا تلك المتمثلة بازدياد محاولات تطبيع العلاقات بين المسلمين والدولة العبرية، بهدف تحويل هذه الدولة المصطنعة الى امر واقع مقبول نفسيا، ثم معترف بها جغرافيا. ان التناقض الواضح والصريح بين الواجب الشرعي الذي يفرضه الدين الاسلامي على المسلمين نحو ارض الاسراء والمعراج، وتناولات القيادات التي اغتصبت حق الكلام باسم الشعب المسلم في فلسطين، ووعي الجماهير المسلمة في فلسطين لهذا التناقض، وضع التيار الاسلامي المتنامي في مواجهة مباشرة ليس مع العدو الصهيوني فحسب، بل مع التيارات العلمانية التي تتبنى الخط الاستسلامي ايضا"(٩).

لقد وقف الاخوان المسلمون ضد قرارات المجالس الوطنية الأخيرة التي عقدتها منظمة التحرير، سواء كان ذلك القرار الذي اعلن عن انشاء دولة فلسطينية في الضفة والقطاع على اعتبار ان تلك الدولة ليست اسلامية(١٠)، كذلك القرار الذي وافق عليه المجلس الوطني بالدخول في المسيرة السلمية الأخيرة.

وأخذ الاخوان على منظمة التحرير محاولاتها للتقرب من الولايات المتحدة، ورأت حماس ضرورة قطع الاتصالات التي تجريها المنظمة معها(١١)، وحذرت من الاعتماد على امريكا وطالبت منظمة التحرير "بالتراجع عن خطتها للمصالحة مع دولة العدو ووقف التنازلات"(١٢).

وكانت مسألة تقييم الفئات والقوى المختلفة داخل المجتمع الاسرائيلي محل خلاف بين منظمة التحرير والاخوان المسلمين، ففي حين تفرق المنظمة بين "اليسار واليمين" وبين قوى "تقدمية ومحبة للسلام" واخرى "عنصرية وفاشية" فان الاخوان

لا يرون اي فرق بين كل سكان اسرائيل اليهود، فالرأي الديني واضح بالنسبة لليهود بغض النظر عن الشعارات التي يطرحونها او الاحزاب التي ينضمون اليها او الاشكال التي يتخذونها.

ويقترب كاتب مؤيد للاخوان المسلمين عند الحديث عن انشاء منظمة التحرير من رأي حزب التحرير في ذلك، فمنظمة التحرير برأيه انشئت من قبل الانظمة العربية، ولم يكن الهدف من انشائها مساعدة القضية الفلسطينية والعمل على تحرير الاراضي بل كان الهدف منه "كشف ظهر الثورة التي كانت تعترم في صدر الشعب المسلم الفلسطيني وكافة الشعوب المناصرة له، وكذلك كان يهدف الى تكريس سيطرة الاتجاهات العلمانية المدجنة التي تتمتع بقابليات التفاهم مع الانظمة العربية بخصوص التسويات السلمية والاستسلامية للقضية الفلسطينية"(١٣).

ومن الامور التي اججت الصراع بين الاخوان المسلمين ومنظمة التحرير هي عدم اعتراف الاخوان بالمنظمة كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني بصريح العبارة، رغم محاولات التطمين التي حاولت حركة حماس ان توصلها للمنظمة. فلقد اعلنت حماس رسميا انها لن تكون منافسا لاحد ولن تسعى لاخذ مكانة احد(١٤) (والاحد هنا هو المنظمة بالطبع)، الا ان بعض التصريحات التي يدلي بها بعض القادة الاسلاميين من وقت لاخر تشكل مصدر ازعاج لقيادة المنظمة حيث تستبعد امكانية اعتراف الحركة الاسلامية بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني. ففي احدى المقابلات مع الشيخ احمد ياسين صرح بأنه لا يمكن القبول بمنظمة التحرير كممثل الا اذا اصبحت اسلامية(١٥). مع العلم ان حركة حماس وحدها هي التي يمكن ان تكون مسألة اعترافها بالمنظمة قابلة للنقاش، حيث انها تتنافس للسيطرة على مؤسسات المنظمة بينما حزب التحرير وحركة الجهاد الاسلامي لا تعنيها مسألة الاعتراف بالمنظمة من قريب او بعيد.

ان حركة حماس مستعدة لدخول اجهزة منظمة التحرير، حتى القيادية منها، ضمن شروط معينة ليس منها ان تكون المنظمة اسلامية. وملخص تلك الشروط كما ورد في مذكرة رفعتها الحركة للشيخ عبد الحميد السائح رئيس المجلس الوطني الفلسطيني بتاريخ ١٩٩٠/٤/١٦، هو رفض التفريط بأي جزء من فلسطين، ورفض الاعتراف

الاسلامية في الاراضي المحتلة جزء من تيارات الحركة الوطنية، وانه اقام معها علاقات منذ البداية(١٩).

الا ان القيادة الموحدة حاولت منذ البداية جذب حركة حماس لصفوفها من اجل العمل المشترك، حيث اعتقدت ق و م ومنظمة التحرير ان عمل حماس المنفصل يمس بوحدانية المنظمة في تمثيل الشعب الفلسطيني وهو الذي تعتبره المنظمة من اهم انجازاتها ولا يبدو انها ستفرط فيه بأي ثمن.

ورغم عمل حماس المنفصل الا انها استمرت في الاعلان بين الفينة والاخرى عن استعدادها للتنسيق وواضعة بالطبع شروطها لذلك، مثل عدم التنازل عن ثوابتها الفكرية والعقائدية وشريطة حل مشكلة السجون العالقة(٢٠).

بقيت الأمور حتى الآن في نطاقها المقبول وضمن الصراع السياسي الذي يكون بين تنظيمين متنافسين وكأنه تنافس في جو ديمقراطي بين السلطة والمعارضة المشروعة، الى ان جاءت حرب الخليج، والقت بظلالها السلبية على منظمة التحرير، على مستوى قطع علاقات كثير من الدول العربية الخليجية علاقاتها بها. ثم ابتدأت العملية السلمية التي ايدتها منظمة التحرير وشاركت بها بوفد من داخل الاراضي المحتلة، ومع ان تلك المشاركة جاءت بموافقة المنظمة، وبتكليف منها في كثير من الاحيان، الا انها شعرت ايضا ان دورها يقضم رويدا رويدا، وان هامش المعارضة الداخلية اذا اتسع فسيعني المزيد من قضم دورها، فكان ان انحسر هامش تحملها للمعارضة وقررت المنظمة وخاصة حركة فتح الابقاء على سيطرتها على مؤسسات الارض المحتلة او على الأقل عدم السماح بخسارتها لاي موقع موجودة فيه.

ومن الجانب الأخر فربما قد تكون حركة حماس قد شعرت بدورها ان كل المتغيرات التي جرت عالميا وعربيا ومحليا كانت لصالحها، وبالتالي قررت ان هذه هي الفترة الانسب لاحراز مزيد من التقدم، والمزيد من التقدم هذا لا بد وأن يكون على حساب منظمة التحرير وخاصة على حساب حركة فتح.

وهنا اخذ الصراع بين الجانبين في الازدياد كميا من حيث تسارع الاحداث بين

الطرفين وكيفيا من حيث حدتها ومستوى "التقنية" المستخدمة فيها. فبعد ما يقارب الشهر من بدء مؤتمر السلام في مدريد، اصدرت حركة حماس بيانا اكدت فيه على حرية الرأي وضرورة احترام الرأي المخالف، وقالت اننا "نرفض رفضا قاطعا استخدام العنف والقوة او اللجوء الى الصدام والاقتتال كوسيلة من وسائل فرض الاراء والمواقف"(٢١) . . . واضافت "واننا ننظر بخطورة بالغة الى حوادث العنف والصدام واستخدام الاسلحة النارية وغيرها، ونحذر من هذه الممارسات الخطيرة، ونؤكد لجماهير شعبنا واهلنا ان الحوار الهادىء المخلص والنقاش الموضوعي البناء هو السبيل الوحيد لحل المشاكل والخلافات"(٢٢).

وكان ان حدثت قبل ذلك، اي قبل بدء مؤتمر مدريد بأيام قلائل مشاكل في قرية تلفيت ادت في ١٩٩١/٩/٢١ الى مقتل احد شباب حماس، حيث وجهت الحركة اصابع الاتهام الى "ملثمي حركة فتح" واحتجت حركة حماس في البيان الذي اصدرته حول ذلك الحادث على "الطريقة التي تم فيها استقبال الجرحى في مؤسساتنا الطبية الوطنية"(٢٣).

وبعد ذلك بفترة وجيزة اصدرت كل من حركة حماس وحركة فتح بيانا مشتركا حول احداث تلفيت ومقتل الشاب محمود محمد الحاج محمد او اوضحتا فيه انهما جادتان في التحقيق لكشف ملابسات الحادث، وأكدتا انهما تسيران على "عهد وثيقة الشرف المبرمة يوم ١٩٩٠/٩/٢١ التي وحدت جهود الحركتين، ووضعت قواعد واسس التعامل الواضح والثابت والموحد ضد العدو المحتل الذي يسفك دماء ابنائنا، ضد العدو الذي يحتل ارضنا ويستبيح حرماتنا ومقدساتنا"(٢٤).

بعد هذا البيان المشترك بشهر واحد اصدرت حركتي حماس وفتح بيانا آخر اكدتا فيه حرية الرأي لكافة الاطراف وحذرتا من ترويج اجهزة الاعلام الاسرائيلية لكل خلاف او احتكاك بينهما وقالتا : "اننا من القرب من بعضنا لدرجة تسمح بمتابعة وحل كل اشكال يحدث او اختلاف يقع، فرفض الاحتلال يشملنا وندعو كل العناصر والكوادر للالتزام بهذه التوجهات واللجوء للحوار والاحتكام للحقائق"(٢٥).

في ذلك الوقت، كان الوضع يزداد سوءا بين معتقلي فتح وحماس داخل السجون،

وكانت هذه المشكلة قد طال عليها الزمن كما مر معنا، وكان وضع معتقلي حماس دائما شرطا من اجل التنسيق بين الجانبين. فبعد البيان الذي اصدرته حماس حول حرية الرأي وعدم اللجوء الى العنف بأقل من شهر وجهت حماس بيانا آخر دعت فيه ابناء الشعب "الى الوعي التام لمحاولات العدو المتكررة لشق صف وحدتنا الوطنية في هذه المرحلة الخطيرة، وتفويت الفرصة على المخططات الصهيونية"(٢٦). كذلك دعت "الاخوة في حركة فتح الى احترام الاتفاقيات المبرمة معهم بشأن المعتقلين، واتفاقات الشرف بين الطرفين والتي كان آخرها ١٩٩١/١١/١٦ خصوصا فيما يتعلق بالتجاوزات الخطيرة التي جرت مؤخرا في معتقلي النقب والمجدل. ونحملهم مسؤولية ما قد يترتب على ذلك مسؤولية كاملة فمن غير المعقول ان يحرم ابطالنا في السجون من الطعام بينما يقذف العدو المحتل باغصان الزيتون"(٢٧). وذلك تلميحا للمظاهرات التي خرجت على اثر مؤتمر مدريد وخرج فيها مؤيدو المؤتمر باغصان الزيتون حيث وضعت بعض الاغصان على دوريات الجيش الاسرائيلي.

وفي نفس الشهر ايضا صدر عن حماس بيان شديد اللهجة، جمع بين الدين والسياسة وبين السلام والوطن والعلمانية ضد ما ادعته انه تصرف لافراد فتح. جاء في ذلك البيان : "في الوقت الذي تباع فيه المقدسات في مدريد وواشنطن على ايدي حفنة من الاذناب المأجورين (المقصود اعضاء الوفد الفلسطيني المفاوض)، وفي الوقت الذي يعاني فيه شعبنا الويلات من اعداء الله المحتلين ورغم كل هذا، فقد قامت فئة حاقدة من العلمانيين ابناء فتح الاشاوس الذين لم يأبوا بأن يقدموا للاحتلال اغصان الزيتون ويضغونها على فوهات البنادق ودوريات المخابرات والجنود. هذه الفئة التي تخلت عن دينها ووطنها وارتمت في احضان امريكا حتى تحل لهم القضية"(٢٨).

في هذا الكلام السابق الصادر عن حماس، خليط من اللغة القديمة للاخوان المسلمين الذين دأبوا على اتهام منافسيهم بالعلمانية والكفر وما الى ذلك من اوصاف مضادة للدين، مضافا اليها لغة حماس، اللغة الجديدة التي تعتمد على نقد الموقف السياسي اكثر منه الحديث عن المسائل الدينية والاخلاقية. انه لمن الواضح انه في ساعات الشدة تجد حركة الاخوان المسلمين، وحماس بالطبع، ان مسألة "الطعن" في دين الطرف الآخر غالبا ما تكون مجدية.

ولكن، ما الذي فعلوه ابناء "فتح الاشاوس" كما جاء في البيان؟ "ان هذه الفئة الحاقدة، قامت بعد صلاة العشاء يوم الثلاثاء ١٩٩١/١٢/٢٤ (أي قبل اصدار البيان بساعات) بالاعتداء على مسجد الفاروق (ابو ديس الجديد)، وقاموا بالاعتداء على المصلين بالعصي والهراوات ورشق المسجد بالحجارة والاعتداء على الشباب المسلم الطاهر الذي ابى ان يرضخ للذل والعار، وان هذه الفئة وما قامت به من اعمال دنيئة سابقا ولاحقا عجز عنها الاحتلال طيلة سنواته، بل انهم قدموا له خدمات جليلة بالاعتداء على المساجد وهذه ليست الأولى والأخيرة فقد احرقوا المساجد في غزة اثناء مؤتمر مدريد من اجل عيون بوش، وقبلها احرقوا مساجد بيرزيت ونابلس واعتدوا على الشباب المسلم(٢٩). وفي النهاية حذرت حركة حماس قائلة "ان الحركة تحتفظ في الرد على هذا العمل الجبان وان يدها ستصل الى كل الجبناء الذين شاركوا في هذا العمل الذي ان دل على شيء فانما يدل على عداء هذه الفئة لله ولرسوله وللمؤمنين(٣٠). وكانت حركة حماس قد اعلنت قبل ذلك مباشرة "ان ضبط النفس الذي تمارسه نابع من حرصها الأصيل والأكيد على عدم اراقة قطرة دم واحدة في غير موضعها، والا توجه الحراب الا الى صدور العدو الحاقد . . . وغني عن القول ان الرد بنفس الاسلوب الذي يمارس ضدها هو ايسر الردود، لكنه الاسلوب الذي نترفع عنه ونرجو الله الا نضطر اليه"(٣١).

وبعد ذلك بأيام قلائل، وعلى اثر اجتماع جماهيري تكلم فيه فيصل الحسيني في مدينة طولكرم واعتدي فيه على الحسيني من قبل من وصفوا في حينه بانهم من انصار حماس، اغتيل احد انصار حماس في مخيم طولكرم واسمه جبر ضميري واتهمت حركة حماس انصار فتح باغتياله. فلقد جاء في بيان للحركة في طولكرم : "لا زالت فتح في هذا البلد الطيب تأخذها العزة بالاثم وتراوغ وتدفن رأسها في الرمل هروبا من الحقيقة والواجب . . . بدلا من الاذعان لنداء العقل والشرع والمصلحة الوطنية . . . فالغرور القاتل لا يزال يعمر قلوبهم، فها هي فتح تستنكر جريمة اغتيال الشهيد جبر ضميري وفي نفس الوقت تحمي المجرم وترفض اعلان براءتها من الجريمة والمجرم؟ وتخطف شباب المساجد وتتهم الشرفاء وتطلق الرصاص على بيوت المواطنين، وتهدد رجال الخير والاصلاح في هذا البلد لانها لا تريد الا الفتن والخراب"(٣٢).

مرة اخرى يعتبر بيان حركة حماس مطلبها مطلب "العقل والشرع والمصلحة الوطنية"، وتعتبر الصراع مع اعضائها صراعا مع "شباب المساجد"، وهذا كما قلنا هو الاسلوب الذي تلجأ اليه عادة الحركات الدينية السياسية في دمج المسائل الوطنية بالمسائل الدينية.

ونحن في هذه الدراسة لا نسعى الى معرفة ما اذا كانت هذه الاتهامات صحيحة ام لا، ولا نسعى لنصرة احدة على أخر بل الهدف دراسة العلاقة بين حماس وفتح من وجهة نظر حماس، وهي موضوع الدراسة، دون التطرق الى وجهة نظر الطرف الآخر.

ثم تحدث البيان عن خطف "أحد شباب المساجد" وتعذيبه على أيدي "عصابات فتح"، وعن قيام تلك "العصابات" بالاعتداء على بيوت "رجال الخير والاصلاح"، واضاف "اننا نملك حقا ولا يملكه من يدعون للصلح في النهار ويترنحون سكارى في الطيبة وغيرها في الليل"(٣٣). مرة اخرى تدخل المسائل الاخلاقية في الموضوع.

وفي نفس البيان نفت حماس ما اشيع عن مسؤوليتها "عن حرق بيوت او غير ذلك لا اساس له من الصحة"(٣٤) وحملت فتح مسؤولية ما قد يحدث في المستقبل.

وكانت حركة حماس قد اصدرت بيانا قبل ذلك تشرح فيه ملابسات مقتل جبر الضميري حيث كان ذلك في اليوم التالي لندوة الحسيني في طولكرم حين قام احد افراد من اسماهم البيان "النمور السود" بطعن المذكور وكان ذلك بتاريخ ١٩٩١/١٢/٣١. وكذب البيان ما جاء في بعض الصحف بأن اغتيال الضميري كان على خلفية عائلية، واستهجن "تصريح السيد ياسر عرفات في المقابلة التي اجريت معه في راديو مونت كارلو يوم اول امس الخميس ١٩٩٢/١/٢ والذي حاول من خلاله تضليل الرأي العام في الداخل والخارج باعتبار المشكلة بسيطة وحالة فردية ومنتهية"(٣٥). وأكدت حماس بأن المشكلة لم تنتهي ولن تنتهي الا بعد قتل القاتل، ودعت حركة فتح الى مراجعة حساباتها، وان لا تبقى اسيرة الماضي "فقد ولى عهد الاستبداد وفرض الاراء على الناس"(٣٦).

بعد ذلك بوقت قصير اصدرت حماس بيانا أخر شكت فيه من "افتعال المشاكل

مع القوى الشعبية الاسلامية وحرمانها من حقها المشروع في حرية الرأي"(٣٧) ودعت جميع ابناء الشعب "وجميع القوى والفصائل الى تفويت الفرصة على المشبوهين المتدثرين برداء الوطنية، الذين يبيتون الشر ويهدفون الى شق الصف الفلسطيني وضرب وحدة شعبنا في مواجهة عدونا الغاشم"(٣٨).

ثم جاء بيان مشترك آخر لحماس وفتح هذه المرة في مدينة نابلس حيث "اتفقت الحركتان على تشكيل لجنة تحقيق من كلا الطرفين لدراسة اسباب المشكلة، ومعاقبة كل من تسبب في اشعال هذه الفتنة"(٣٩). وبعد ذلك عادت حماس واعلنت عن "تذكير اخواننا في (فتح) الالتزام بمواثيق الشرف الموقعة معهم"(٤٠).

وهكذا كان بين كل ميثاقي شرف مشكلة او بين كل مشكلتين ميثاق شرف في فترة تكاد تكون محصورة بين ايلول ١٩٩١ والوقت الحاضر (آب ١٩٩٢) حيث تحدثت الانباء عن اشتباكات في قطاع غزة بين الطرفين. مرة اخرى ليس هدف هذه الصورة العامة عن العلاقة بين التنظيمين الفلسطينيين الكبيرين الكشف عن المخطىء والمصيب، ولكن الهدف تبيان ان عدم الوضوح السياسي من ناحية، وعدم الارتقاء بالفعل الديمقراطي الى المستوى المطلوب قد ساهما في تطوير المشاكل.

كذلك لا يجب الاستنتاج من خلال هذا السجل الحافل ان العلاقة بين التنظيمات الاخرى كانت دائما هادئة، فحدثت مشاكل بين الجبهة الشعبية وفتح، وبين الديمقراطية وفتح حيث وقعت بعض الضحايا.

ان الفعل الديمقراطي على ساحة الوطن المحتل ما زال مخيبا لآمال الكثيرين، فالجهة الفاعلة قلما تتحدث عن الديمقراطية وحرية الرأي بينما تكثر من هذا الحديث الجهة موضوع الفعل وتنقلب الصورة عندما تنقلب ادوار الفاعل والمفعول. ففي الوقت الذي اكدت فيه حركة حماس مثلا رفضها "القاطع لاساليب الهيمنة وتكميم الافواه واغتيال الرأي الآخر او تجاهله ومحاولة طمسه والتقليل من شأنه، فلا يحق لاي طرف كائن من كان ان يفرض رأيه على الآخرين او يدعي الوصاية على الناس"(٤١)، عادت بعد فترة لتعلن موقفها من الرحلات التي كانت ستقوم بها قوى اخرى في نابلس

قائلة : "ونؤكد ثانية بأننا لن نسمح لاي باص ان يسير رحلة مختلطة او الى داخل الخط الأخضر، كائنا من كان القائمون على مثل هذه الرحلات"(٤٢).

الا ان كل هذه الاحداث لم تمنع حماس من ابقاء الخطوط مع فتح مفتوحة طيلة الوقت، ففي خضم الاحتكاكات بين الطرفين، وعلى اثر الحادث الذي تعرضت له طائرة ياسر عرفات في الصحراء الليبية، ارسل ممثل حماس في الاردن ابراهيم غوشه برقية جاء فيها "وانني ومعي جميع الاخوة في حركة المقاومة الاسلامية حماس وقيادتها وانصارها في الداخل والخارج لندعو الله عز وجل ان يحفظكم سالمين ويعينكم على حمل امانة قضيتنا المقدسة بما يحفظ حقوق شعبنا وامتنا وحرمة ارضنا المباركة"(٤٣).

وفي وقت لاحق، وعلى اثر تصاعد الموقف بين الفصيلين بصورة خطيرة في قطاع غزة جرى اجتماع بينهما في عمان في بداية آب الماضي بدعوة من حركة الاخوان المسلمين في الاردن، حيث مثل حركة فتح السفير الفلسطيني في عمان الطيب عبد الرحيم ومثل حركة حماس الناطق باسمها في الاردن ابراهيم غوشه. في ذلك الاجتماع اكد الطيب عبد الرحيم ان اللجنة المركزية لحركة فتح اتخذت قرارا على اعلى المستويات بفتح حوار مع حماس على اعتبار انها "فصيل وطني فلسطيني"، ودعا حماس الى وقف ما اسماه "التحريضات ضد ياسر عرفات وضد منظمة التحرير الفلسطينية وضد حركة فتح" وطالب حماس بأخذ موقعها "داخل اطار منظمة التحرير الفلسطينية. اما ممثل حماس فقد دعا الى حرية التعبير والحوار "كسبيل وحيد لتكتيل القوى في الاراضي المحتلة"(٤٤).

(٣) الانتخابات في الاراضي المحتلة . . . مجال آخر للتنافس

تجري بين الفينة والاخرى انتخابات للمؤسسات الفلسطينية في الارض المحتلة، كشكل ما ولو بدائي "لسعة صدر" الاحتلال من جهة ولهامش الديمقراطية الداخلية الذي لا بد من وجوده من وقت لاخر.

ومهما تكن الانتخابات التي تجري في الارض المحتلة صغيرة ام كبيرة، هامة ام

غير هامة، فانه يحشد لها قوميا وسرعان ما تأخذ الطابع السياسي، وغالبا ما يكون هذا الطابع تنافسا بين الاسلاميين ممثلين اساسا بحركة حماس وبين الوطنيين وفي مقدمتهم حركة فتح.

وان دل هذا على شيء، فانما يدل على ان تطور الوعي عند الفلسطينيين يمشي على رأسه، فلقد كان من البديهي تاريخيا ان يبدأ الوعي في المؤسسات نقابيا ومن ثم يرتقي الى شكله السياسي، بينما نجد عند الفلسطينيين ان "الوعي" يبدأ سياسيا وغالبا ما ينتهي كذلك. ومن هنا جاءت تراجيديا العمل النقابي الفلسطيني.

وتقفز الشعارات العريضة والكبيرة الى واجهة الشعارات الانتخابية في كل مؤسسة، ففي انتخابات الاطباء والمحامين والمهندسين والمعلمين والطلبة والتجار وغيرهم ترتفع يافطات مكتوب عليها بالخط العريض "منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني"، ويافطات مقابلة مكتوب عليها وبالخط العريض او الاعرض "الاسلام هو الحل".

وضمن هذا الخط العريض للتنافس تفسر الأمور من قبل الطرفين المتنافسين بصورة فيها برأينا من التفاؤل الكثير، مما يوجب توخي الحذر فيما لو اريد استخدامها كمقياس على مدى تأييد سلوك ومواقف هذا الطرف او ذاك. فعندما تفوز الكتلة الوطنية يخرج علينا الوطنيون بقولهم ان ذلك هو استفتاء على سياسة منظمة التحرير الفلسطينية وخاصة موقفها من العملية السلمية الأخيرة واشتراكها بها، وعندما تفوز الكتلة الاسلامية يخرج علينا الاسلاميون بقولهم ان ذلك دليل على تأييد تطبيق الشريعة الاسلامية في المجتمع وسقوط للعلمانية . . . وغير ذلك.

وحقيقة الأمر ان الطرفين انما يتجاهلان المزاج الآني للجماهير حسب ظروف كل انتخابات، وظروف كل مؤسسة، وكيفية ادارتها، والمطلب اليومي لاعضائها، فالاختلافات بين جماهير شعبنا من مكان لآخر ومن وقت قريب لآخر يفترض ان تكون قليلة جدا. فلا يعقل مثلا ان يكون تجار رام الله قد "نفضوا ايديهم" من العلمانية بينما يراها تجار نابلس الحل الوحيد.

ان قلة قليلة من الناس المنظمين او القريبين من التنظيم ربما تذهب من اجل التصويت على الشعار العريض او على السياسة العامة، بينما تذهب الجموع من اجل مصلحتها الشخصية في كثير من الاحيان.

واذا ما اردنا اخذ صورة توضيحية وان كان فيها الكثير من الملابسات الخاصة، فان فلسطينيي الداخل لم يذهبوا ليصوتوا لحركة شاس عن قناعات بشعاراتها، ولم يصوت ٢٠٪ منهم لحزب العمل كونه يمثل طموح فلسطينيي الداخل، فلا يمكن ان يكون درعي افضل من ميعاري سياسيا بأي شكل من الاشكال، ولكن الكثيرين يعرفون انهم سيحققون من وجود درعي شيئا شخصيا لن يحققوه بوجود ميعاري.

هذا المثال لم يقصد به تشبيه تنظيماتنا بالاحزاب الاسرائيلية، ولكن المقصود ادراك ان الشعارات العامة لها ايضا تاريخ للانتهاء (expire date)، فلم يكن اجمل من شعارات الحزب الشيوعي السوفياتي في يوم من الايام، ولكن جاء اليوم الذي القيت فيه تلك الشعارات الى الشوارع حتى من قبل اولئك الذين تكلمت تلك الشعارات عنهم. ان الشعار ذاهب والذي يبقى هو احساس الجماهير ومعاناتها ومصلحتها الآنية والمستقبلية التي هي دليلها الابدي.

ان الوعي السياسي وخاصة الوعي الديمقراطي والانتخابي للجماهير الفلسطينية يتطور باستمرار، ومن هنا تنبع معاناة الشعارات والنمطية المسبقة. لقد كانت مرحلة السبعينات وخاصة ما جرى اثناء الانتخابات البلدية في عام ١٩٧٦ هي مرحلة اثبات الذات الوطنية الفلسطينية، وبالتالي فان اي مرشح في تلك الانتخابات كان يكفيه رفع شعار ان منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني حتى تحمله الجماهير على الاكتاف وتوصله الى مقاعد المجلس البلدي. اما الان فقد تبدلت الأمور، واصبحت مسألة الهوية الفلسطينية على الأقل بالنسبة للفلسطينيين انفسهم مسألة غير خاضعة للنقاش، وعلى هذا الاساس لم يعد يكفي وقوف المرشح مع منظمة التحرير حتى ينتخب تلقائيا بل اصبحت الجماهير تميز بين مرشح وآخر من نفس الاتجاه.

وهكذا أيضا بالنسبة للجانب الديني، فلم تعد تكفي الشعارات ذات المرجعية

الدينية لكي تقود الجماهير ولا حتى المتدينين منهم، بل تاريخ المرشح وسلوكه ومواقفه والمتوقع منه اخذت تأخذ دورها في حسابات المنتخبين.

ورغم عدم استطاعتنا نفي العامل الايديولوجي في الانتخابات بصورة قطعية، ولا نفي الموقف السياسي من العملية السلمية كذلك، الا انهما لم يكونا المقررين في التحالفات التي جرت اثناء الانتخابات. فحزب الشعب المؤيد للعملية السلمية لم يتفق مع فتح المؤيدة لها في بعض المواقع مثلما جرى في مستشفى المقاصد بالقدس، والجبهة الشعبية ايدت التحالف الوطني في غرفة تجارة نابلس والذي تزعمته فتح رغم ان الشعبية مناهضة للعملية السلمية الأخيرة بعكس فتح. كما ان التيارات اليسارية المناهضة للعملية السلمية لم تتحالف في اي انتخابات مع حماس المناهضة لتلك العملية ايضا. فالانتخابات انما تجرى اساسا على خلفية التنافس المزمن والحاد على مراكز القوى بين حماس وفتح، وأما التنظيمات الاصغر فتقرر موقفها غالبا حسب الموقع والظروف وفي ضوء قياسات براغماتية اكثر منها ايديولوجية.

لقد اخذت الخارطة السياسية في الاراضي المحتلة شكلا ثنائي القطبية مثل فيه الجانب الوطني بزعامة فتح احد القطبين ومثل اليسار الديني ممثلا بحماس القطب الآخر حيث اصبحت حماس كما يصفها الباحث الفلسطيني مهدي عبد الهادي مؤسسة اجتماعية منتشرة، كبيرة الحجم، لكن ليس بالضرورة "حضورها" ينسجم مع توجهات القيادة(٤٥). اما التنظيمات اليسارية فلقد عانت بعد انهيار الاتحاد السوفياتي والانشقاقات التي حدثت بها وتحولت الى مؤسسات اكثر منها تنظيمات جماهيرية باستثناء الجبهة الشعبية التي يبدو انها حافظت على توازنها خلال هذه الازمات.

وقبل الدخول في تفاصيل العمليات الانتخابية الأخيرة واستخلاص العبر من نتائجها، لا بد من الاشارة الى ظروف تلك الانتخابات والاجواء التي سادت اثناءها وطبيعة الحملات الدعائية التي رافقتها. انه لمن الملاحظ انه على الرغم من حدة العملية الانتخابية في هذا العام، نظرا لان الطرفين الاساسيين فيها ينظران اليها على انها ذات مردود سياسي هائل، ونظرا لان طرفا يشعر ان قوى عالمية وعربية ومحلية تسعى لاستئنافه بل والاطاحة به والطرف الآخر يشعر ليس فقط "بشرعية" هذه الاطاحة بل وبامكانيتها في الوقت الحاضر، ونظرا لانها جرت في فترة بلغ فيها

الصراع بين الطرفين حدا وصل الى وقوع ضحايا، الا ان الانتخابات كانت تجري عادة في جو من الحرية والهدوء، والمقصود هنا سير العملية الانتخابية نفسها.

لقد لوحظ اقترابا في شعارات الطرفين الاساسيين في الانتخابات، فتح وحماس، في الفترة الأخيرة، بل ان هناك تداخلا في الشعارات. لقد كان على الشخص ان يقرأ بضع كلمات من الاعلان حتى يعرف لاي تنظيم يتبع، أما في الانتخابات الأخيرة فلقد كان على الفرد ان يقرأ حتى التوقيع ليعرف لمن.

لقد ابتدأت الكتل الاسلامية قبل انشاء حماس، وتحديدا في بداية الثمانينات، في اظهار البعد الوطني في شعاراتها وتعمق هذا الطرح بعد انشاء حماس. بل وكما سبق وقلنا كان انشاء حماس نفسها من قبل الاخوان المسلمين هو ابراز للجانب الوطني. وعلى اثر تصاعد المد الديني وتحقيق حماس لبعض النجاحات في الانتخابات الأخيرة خاصة في انتخابات الغرفة التجارية في رام الله، اخذت فتح باستخدام البعد الديني في شعاراتها بصورة مكثفة، حيث ظهر ذلك واضحا في انتخابات الغرفة التجارية في مدينة نابلس.

فلقد جرى تعديل باسم القائمة الوطنية في انتخابات الغرفة التجارية في نابلس حيث اضيفت كلمة المسلم وأصبح "الائتلاف التجاري الصناعي الوطني المسلم" هو الاسم الجديد للكتلة. وفي دعايته استخدم الائتلاف الكثير من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية وجرت اسلمة واضحة للشعار الوطني. لقد عزى احد مرشحي الكتلة الاسلامية في تلك الانتخابات في مقابلة تلفزيونية نجاح الكتلة الوطنية لتبنيها شعارات اسلامية.

من ناحية اخرى فلقد حدثت عملية انقلاب في استخدام الشعارات والتهم اثناء الحملات الانتخابية، فلقد دأبت الحركة الاسلامية على "وصم" معارضيها بالشيوعية، الا ان عملية التقارب التي جرت بين حركة حماس وبعض الكتل اليسارية على اثر العملية السلمية جعلت انصار فتح في جامعة النجاح مثلا يشنون هجوما على الشيوعية "التي انهارت" وعلى التقارب "الغريب" بين القائلين بأن "الدين افيون الشعوب" ويقصدون الماركسيين وبين القائلين أن "الاسلام هو الحل" ويقصدون حركة حماس.

انه تبادل للمواقع ولكن فر ظروف مختلفة، ظروف ادركت فيها شعوب العالم الثالث كم كانت "الشيوعية" تمثل درعا واقيا لهم أمام تسلط القطب الواحد، كذلك فقد دأب الاسلاميون على مهاجمة الشيوعية عندما كانت قوة عالمية مؤثرة، وعندما "ماتت" اخذ يهاجمها انصار اكبر تنظيم وطني!

ان هذا يشكل اكبر الادلة على اسلمة الشعار الانتخابي الفلسطيني بمجمله بل وعلى سلفيته ايضا حيث تتبنى اكبر حركة وطنية فلسطينية الشعارات والطروحات الاسلامية التقليدية بالاضافة الى اتخاذ الشكل الاسلامي والاسم الاسلامي للكتل التي تتبناها تلك الحركة. انها البراغماتية المتبادلة بين حركتي فتح وحماس. على ان ذلك يجب ان لا يعني بأي شكل من الاشكال التفكير في ان حركة حماس قد تخلت عن شعارها الاسلامي بل ما زالت تتمسك به، وتعتبر ان التصويت لها هو تصويت للمشروع الاسلامي ككل، وان المنتخب "مسؤول عن صوته امام الله ورسوله".

ان النظرة الى نتائج الانتخابات التي جرت في الأشهر القليلة الماضية في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة، تدل على مدى بروز التيار الديني فيها بغض النظر ان كانت النتائج قد أدت الى فوز ذلك التيار في هذه المؤسسة او تلك ام لا. مع انه برأينا لا يمكن النظر الى نتيجة الانتخابات في مكان ما كدليل اكيد على قوة ذلك التيار حيث يتضح في كثير من الحالات ان الشخص لا ينتخب الذي لا يريد، اي ينتخب عكس الذي لا يريده، بمعنى انه ينتخب التيار الديني لانه "سئم من الاتجاه الوطني" او ينتخب الاتجاه الوطني لانه "لن يسمح بأن يأتي التيار الديني" . . . وهكذا.

ومن خلال متابعتنا لنتائج الانتخابات يتبين انه في قطاع غزة حازت الكتلة الوطنية على الاغلبية البسيطة في كل من نقابات المهندسين والاطباء والجمعية الطبية وعلى اغلبية اكبر في نقابة المحامين (٦٥٪) في حين فازت الكتلة الاسلامية في الغرفة التجارية(٤٦). وهذا يعتبر تطورا لصالح الكتل الوطنية في قطاع غزة.

اما في الضفة الغربية فقد حصل الاسلاميون على الاغلبية في الغرفة التجارية في الخليل، وفي مجلس طلبة معهد البولتيكنيك في المدينة وفي جامعتها وكان الاستثناء في مدينة الخليل هو جمعية الهلال الأحمر حيث فازت الكتلة الوطنية.

وفي مدينة رام الله حصل الاسلاميون على فوز كبير في الغرفة التجارية في المدينة، ويبدو أن هذا شكل ضوء احمر بالنسبة للجانب الآخر الذي كان يستبعد ان يفوز الاسلاميون في مدينة رام الله في اي مجال، حيث تتواجد نسبة من المسيحيين في المدينة وكذلك فهي مدينة محسوبة تاريخيا على الوطنية والعلمانية واليسار.

كذلك حصل الاسلاميون على جميع مقاعد مجلس الطلبة في معهد المعلمين في المدينة، وعلى المقاعد في اللجنة الفرعية لرابطة خريجي معاهد الوكالة في حين حصل الوطنيون على مقاعد مجلس الطلبة في معهد قلنديا المهني للاجئين.

وفي طولكرم حصل الوطنيون على الأغلبية في نقابة اطباء الاسنان وفي الغرفة التجارية وحصل الوطنيون ايضا على جميع مقاعد مجلس طلبة بيت لحم، رغم ان الاسلاميين حصلوا على حوالي ثلث الاصوات وهذا يعتبر تقدما في مكان كبيت لحم.

وفي مدينة نابلس حصل الوطنيون على اغلبية مقاعد الغرفة التجارية ولكن بفارق ضئيل عن الاسلاميين (٤٨٪ للوطنيين و ٤٥٪ للاسلاميين)، وكذلك حصل الوطنيون على جميع مقاعد نقابة العاملين في جامعة النجاح بينما حصل الاسلاميون على ٨٠٪ من اصوات رابطة خريجي معاهد الوكالة في المدينة.

أما في مدينة القدس فقد حصل الاسلاميون على ٤٣٪ من الاصوات في انتخابات شركة الكهرباء في حين حصل الوطنيون على ٤٧٪ منها، وكذلك حصل الجانب الوطني على جميع المقاعد في مستشفى المطلع في حين حصل الاسلاميون على اغلبية المقاعد في نقابة موظفي مستشفى المقاصد وعلى جميع المقاعد في مجلس طلبة كلية الامة في القدس.

ان هناك العديد من الملاحظات العامة التي يمكن ان يستنتجها المرء من هذه النتائج رغم انها - مرة اخرى - ليست مقياسا دقيقا على مدى شعبية كل تيار، واهم هذه النتائج ما يلي :

١. لقد احرز الجانب الوطني بعض التقدم في قطاع غزة على حساب الجانب

الاسلامي في حين حصل الاسلاميون على بعض التقدم في الضفة الغربية على حساب الجانب الوطني. واذا اخذنا بعين الاعتبار ان الاسلاميين يمثلون "السلطة" في غزة في حين يمثل الوطنيون "السلطة" في الضفة الغربية -ان جاز لنا استخدام هذا المفهوم، بمعنى ان مفاهيم التنظيم ومقاييسه هي السائدة- فانه يعني ان هناك بعض الاستياء من بعض ممارسات السلطة حيثما وجدت وأيا كان الشكل الذي اتخذته، ومن هنا احرزت المعارضة بعض التقدم في المنطقتين.

٢. لقد سيطر الاسلاميون على مختلف فروع رابطة خريجي معاهد وكالة الغوث وعلى معظم معاهد الوكالة ايضا، مما يدل على مدى التأييد الواسع الذي يتمتع به الاسلاميون في المخيمات وفي اوساط اللاجئين عامة، فيما يبدو انها مسألة تاريخية حيث تواجد الاخوان المسلمون في مخيمات اللاجئين بشكل لا بأس به في زمن الحكم الاردني(٤٧).

٣. رغم عدم قدرة الاسلاميين الفوز في انتخابات بعض الغرف التجارية الا انهم يحرزون تقدما كبيرا في ذلك، كما ان الشخصيات التي تفوز عادة في مثل هذا النوع من الانتخابات بغض النظر عن الكتلة التي يخوضون الانتخابات تحت يافطتها يفترض ان يغلب عليها الطابع الديني وتكون شعاراتها "مؤسلمة" الى حد بعيد. يبدو أن الفكر الديني ما زال الأقرب الى تحقيق مصالح فئات التجار.

٤. يلاحظ غياب الاسلاميين عن الحركة العمالية وعدم اهتمامها بها بالقدر الكافي، ان هذه مسألة تاريخية من ناحية حيث اتخذ الاخوان المسلمون في مصر مواقف ضد الاضرابات العمالية، ومن الناحية الاخرى فان الاخوان بعيدين كل البعد عن اعتماد المنهج الطبقي الذي قد يقربهم الى الطبقة العاملة(٤٨).

تشكل نتائج الانتخابات احدى الدلائل على امتداد الصحوة الاسلامية في فلسطين، وهي نتاج لتلك الصحوة. وان كانت هذه الانتخابات ليست معبرة تماما عن الواقع فهي في بعض المؤسسات اقرب الى الواقع من مؤسسات اخرى. والمقصود بذلك الكلام ان المؤسسات "المفتوحة" مثل الغرف التجارية والاطباء والمحامين والمهندسين حيث لا

يستطيع اي من التنظيمات فرض توجهاته على شروط الدخول فيها تكون نتائج الانتخابات اقرب الى الواقع منها في المؤسسات المغلقة حيث يتحكم احد التيارات عادة في مسألة التوظيف كما يحصل في بعض الجامعات والمستشفيات والمؤسسات الاخرى.

ان الاقتراب من التيار الديني يتم ببطء شديد في الاراضي المحتلة، وان دل ذلك عل شيء فانما يدل على تخوف الجماهير من امكانية التغيير الحاد لصالح ذلك التيار وما قد يتبعه من دخول في دائرة "الحكم المطلق" على الأمور، بمعنى الصح المطلق والخطأ المطلق، بينما تميل تلك الجماهير الى وجود اجواء "معتدلة" للعيش فيها. ورغم ذلك فنتائج الانتخابات تعكس بعض الاستياء من الكتل الوطنية ممثلة في بعض الاشخاص المحسوبين عليها في الاراضي المحتلة، وبالتالي فالجماهير في موقف لا تحسد عليه، ضمن هذه الخارطة السياسية الثنائية القطبية (وكأنما في الولايات المتحدة)، فلا هي قادرة على الابقاء على رضاها بالقديم، ولا هي واثقة من ان البديل سيكون بديلا ايجابيا، ومن هنا التردد الفظيع الذي تعيشه.

*　　*　　*

الفصل الثالث

(١) النظام العالمي الجديد . . . اسلاميا

(أ) مواصفات النظام

يبدو انه لا توجد اختلافات كبيرة بين الاسلاميين الفلسطينيين والاسلاميين عامة، ويشاركهم في ذلك معظم العلمانيين الفلسطينيين فيما يتعلق بوجهة النظر في ماهية النظام العالمي الجديد، حيث تبدأ وجهات النظر باتخاذ مسارات مختلفة عند الحديث عن الاهداف العامة لهذا النظام وعن القوى "المستهدفة" منه وردود الفعل عليه وضرورة مواجهته او عدم مواجهته، وان كان الاختيار طريق المواجهة فكيف؟

هناك اجماع على ان اهم مظاهر ما يسمى بالنظام العالمي الجديد، انه عالم احادي القطبية حيث وعلى اثر انهيار الاتحاد السوفياتي انتهى العالم الثنائي القطبية الذي تشكل بعد الحرب العالمية الثانية لصالح تفرد الولايات المتحدة "بقيادة" دفة السياسة العالمية بصورة عامة، وهدف هذه القيادة الامريكية هو اولا وأخيرا رعاية المصالح الامريكية وحفظ ما يسميه الاسلاميون عادة النظام "الاستكباري" العالمي، اي النظام الاستعماري الذي يشكل المرتكز الاساسي الذي يقوم عليه النظام الدولي "فاذا انهار انهارت معه اوروبا والغرب الاستكباريان"(١).

لقد اعتبر حزب التحرير انه في ظل هذا النظام الجديد اصبحت امريكا "تعمل على مصادرة ارادة الدول والامم والشعوب وصارت تعامل العالم وكأنه اصبح مزرعة امريكية"(٢).

واعتبر الحزب كذلك ان اهم مظاهر النظام العالمي الجديد هو "الطغيان" الامريكي الذي تجسد في فرض امريكا "لديكتاتوريتها" على العالم حيث اعطت لنفسها "صلاحية المحقق الذي يصدر الاتهام، وصلاحية القاضي الذي يصدر الحكم وصلاحية الشرطي الذي ينفذ العقوبات والعالم كله (بما فيه الدول الكبرى) لا يجرؤ على مخالفة اوامرها"(٣).

كما ان البعض اضاف مظاهر اخرى لما سمي بالنظام العالمي الجديد اضافة للسيطرة الامريكية شبه المطلقة. فتطرق حزب التحرير الى الدور الاوروبي في هذا النظام، فأكد أن "اندحار" الشيوعية وانحسار دور الاتحاد السوفياتي ادى الى "تمدد اوروبا وعلى راسها بريطانيا لملء الفراغ، والى العودة الى بعض مراكز نفوذها التقليدية"(٤). وبالاضافة الى الدور الاوروبي، السياسي والاقتصادي، المتزايد الذي يراه احد الكتاب الاسلاميين، حيث اعتبر ان اوروبا اخذت تمثل اكبر قوة اقتصادية في العالم ومن ناحية سياسية لها مقعدان في مجلس الامن وقد تصبح ثلاثة مقاعد فيما لو انضمت اليها روسيا، هناك دور جديد للامم المتحدة حيث اصبح واضحا "تدخل الامم المتحدة بشكل اكبر في الشؤون الداخلية للدول كما حصل في قرار مجلس الأمن الدولي الصادر في ٥ ابريل ١٩٩١ بشأن ادانة الحكومة العراقية (للقمع الذي تمارسه ضد المدنيين) ومطالبة العراق بالسماح للهيئات العالمية (للقيام بعمليات الاغاثة في داخل العراق)، وكذلك هناك ظاهرة تطور تكنولوجيا الاسلحة التقليدية وخاصة سلاح الطيران والقذائف الموجهة بشكل يعزز دور التدخل العسكري للولايات المتحدة بدل اللجوء الى الوسائل السلمية"(٥).

من زاوية اخرى تحدث البعض ليس فقط عن الجانب السياسي والعسكري المباشر للنظام العالمي الجديد بل عن الجانب السياسي والاجتماعي منه، فهو من ناحية ليس ديمقراطيا بمعنى انه لم يأت عبر استفتاء لكافة المعنيين به أي لكافة دول العالم وشعوبها، ومن الناحية الاخرى فهو يمثل الظلم الاجتماعي من حيث انه نظام استعماري يراعي مصلحة دول معينه على حساب مصالح دول اخرى.

يسهب كاتب اسلامي في الحديث عن هذين الجانبين للنظام الدولي الجديد، فهو - اي ذلك النظام على حد تعبير ذلك الكاتب" اسم على غير مسمى، فلم يحمل صفته الدولية لانه يمثل التقاء الارادات الحرة لدول العالم، بل حمل هذه الصفة لان قلة من الدول الاستكبارية تجد ان مصالحها وكلمتها تمتد الى مساحات العالم والكون كله، فتتحكم بتعسف واستغلال بمصائر الامم"(٦).

ومن ناحية اجتماعية فالنظام الدولي برأيه "ما هو في النتيجة سوى انتقال انظمة العبودية والقنانة من مستوياتها المحلية الى مستويات عالمية، ومن اطر فردية الى

اطر جماعية، اي ان تستعبد امة امما اخرى . . . فالنظام الدولي ليس هو التوسع التدريجي للحالة المحلية، اي انه ليس نتيجة لتمدد الغرب. بل ان النظام الدولي هو الشرط الأول لقيام الغرب بمعناه الاستكباري. فهو القاعدة اللازمة والضرورية لتوفير القدرة والقوة والرفاه الذي يتمتع به الغرب (او الشمال) على حساب فقر وضعف واستكانة الشرق (او الجنوب)"(٧).

ان العالم في ظل النظام العالمي الجديد مقسم الى قسمين برأي الكاتب، اصحاب العبيد والعبيد، البيض والعبيد، وان رفاهية "البيض" لا يمكن ان تتم الا على حساب "العبيد"، كما ان النظام الجديد، ومن اجل خدمة الغرب مستعد لعمل اي شيء، فهو "نظام عدواني بالتعريف الأول، فهو لا يكتفي بالتهام حقوق ومكاسب وارض الآخرين، بل يلتهم ايضا وبسرعة هائلة مقومات الحياة والتكاثر كما وضعها الله سبحانه وتعالى في الانسان والاشجار والمياه والهواء والارض وما في باطنها وخارجها"(٨).

اذا يتلخص رأي الاسلاميين - وغيرهم - سواء في الاراضي الفلسطينية المحتلة ام في الخارج بأن هدف النظام العالمي الجديد هو خدمة المصالح الغربية وخاصة الامريكية منها. الا ان ما يميز الاسلاميين عن "غيرهم" انهم يفهمون ان المستهدف الاساسي بالنظام الجديد هو الاسلام والحركات الاسلامية. بل يذهب احد الكتاب الى اعتبار ان النظام الدولي جديده وقديمه قد جاء خصيصا للتصدي للاسلام، فبرأي هذا الكاتب ان بداية التكتل الدولي الاوروبي تكون كرد فعل على فتح العثمانيين للقسطنطينية عام ١٤٥٣م، وان اول مؤتمر لوضع قواعد ما سمي بالقانون الدولي كان مؤتمر وستفاليا عام ١٨٤٦، وبعد الحرب العالمية الأولى جاء نظام عالمي جديد تقسمت على اثره الدولة العثمانية (المسلمة) باتفاقية سايكس-بيكو ووعد بلفور، وبعد الحرب العالمية الثانية جاء نظام جديد قفزت على اثره امريكا لتصبح الدولة الأولى والتقت مصالحها مع روسيا لانهاء الاستعمار القديم وتحول الموقف الى وجود قطبين روسيا وامريكا، وأخيرا كان مؤتمر الأمن الاوروبي الذي عقد في ١٩٩٠/١١/١٩ حيث حضره رؤساء ٣٤ دولة اوروبية شرقية وغربية بالاضافة الى الولايات المتحدة وكندا ووقعوا معاهدة تخفيض الاسلحة التقليدية في اوروبا، وانهاء

الحرب الباردة بين المعسكرين حيث اعتبر ذلك بداية للنظام العالمي الجديد الحالي(٩).

لقد شكلت الاحداث الدولية التي تبعت اعلان بوش عن النظام العالمي الجديد، سواء ما جرى منها عالميا مثل الاجهاز على بقية الاتحاد السوفياتي او ما جرى عربيا في الخليج وليبيا وفلسطين، شكلت هذه الاحداث وسائل لتثبيت اركان النظام العالمي الجديد. ففيما يتعلق بذلك اعلنت حركة حماس ان "النظام الدولي الجديد الذي تريد ان تصنعه امريكا وتقود العالم على هداه قد ظهرت اولى بوادره في الحرب الشرسة التي قادتها امريكا واوروبا وغيرها من الدول الحليفة والعميلة في المنطقة ضد الأمة العربية والاسلامية ممثلة بالعراق شعبا وجيشا وقوة وعلما. وكانت الخطة الامريكية لحل ازمة الشرق الأوسط والصراع العربي-الاسرائيلي اركان اساسية في هذا النظام الجديد الذي انشىء خصيصا ليرعى مصالح امريكا واوروبا واسرائيل دون ان يكون لامتنا وشعبنا ومصالحه اي اعتبار في هذا النظام وان ما نراه من تحركات ليس الا السيناريو المعد لتثبيت هذا النظام الاستعماري الظالم"(١٠).

واعلن الكاتب الاسلامي د. محمد عبيدات بدوره ان امريكا قد استغلت حرب الخليج للترويج للنظام العالمي الجديد، وقال انه في آب ١٩٩٠ تحدث بوش عن ضرورة التحرك المسلح الى الخليج للدفاع عن نمط الحياة الامريكية، وعن المصالح الامريكية، وقال بوش في ١٩٩١/١/٢٩ "ان الامال الانسانية تتجه الينا، ومن بين دول العالم فان الولايات المتحدة وحدها تملك من المستوى الاخلاقي ومن الامكانيات ما يكفي لخلق نظام عالمي جديد"(١١).

أما كاتب اسلامي آخر فقد توقع انه من اجل ان تثبت امريكا نظامها الجديد في المنطقة ومن اجل احتوائها وتطويقها، فانها سوف تعمد الى عمل وحدات اقليمية او انظمة اقليمية جديدة، كما انها ستعمل على حل مشكلة فلسطين جزئيا وستلجأ الى اعطاء دولة اسلامية وجود شكلي في مجلس الامن وقد تكون هذه الدولة تركيا(١٢).

يحتل العالم العربي موقعا مهما في حسابات النظام العالمي الجديد لا من حيث رغبة قيادة هذا النظام - الولايات المتحدة - بدمج العالم العربي ضمن اطاره، بل من

حيث اهمية الوطن العربي الاستراتيجية لتدعيم ركائز هذا النظام، ومن حيث جعله للوطن العربي مسرحا لفرض سيطرته على المنطقة ولتصفية اثار الحرب الباردة، و"مثالا" لدول العالم الثالث التي قد تفكر في "الخروج" على ارادة ذلك النظام، بالاضافة الى اهمية العالم العربي نفسه من حيث كونه متاخما لاوروبا ومخزنا للثروات الطبيعية الهائلة.

وبالاضافة الى ذلك، فانه بعد زوال الاتحاد السوفياتي والخط الايديولوجي الشيوعي فان "الاسلام"، او ما يسمى "بالاصولية الاسلامية" تبدو المرشح الأكثر حظا لان يحتل، ولو شكلا على الاقل، العدو رقم واحد للغرب، وللنظام العالمي الجديد. ويبدو ان كثيرين في منطقتنا باتوا مقتنعين بأن امريكا لكي تحقق "مصلحتها" وتبقي على دورها يجب ان تبقي على عدو دائم لها. وتأكيدا لذلك اعلن حزب التحرير انه ليس "غريبا ان تأخذ امريكا في التفتيش عن ذرائع جديدة تحقن الشعب الامريكي بها حقنا للابقاء على دورها العالمي، وأن يأخذ ساستها طواف العالم كدون كيشوت، بحثا عن خصوم للحرية والديمقراطية، وعن اعداء يهددون مصالح امريكا الحيوية التي تمس مشاعر الشعب الامريكي، مما يظهر الحاجة الماسة للابقاء على دور امريكا العالمي من غير تغيير، بل الى تعميقه وتوسيعه"(١٣).

في محاضرته في العاصمة الاردنية اكد الدكتور محمد عبيدات ان امريكا تحارب الايديولوجيات من اجل فرض ما أسمته نمط الحياة الامريكي، واضاف ان "الايديولوجية او المبدأ او وجهة النظر في الحياة الموجودة حاليا والمرشحة لان تقف في وجه امريكا هي المبدأ الاسلامي حيث يعتنقه مليار انسان ويطبق عليهم قسرا عنهم النظام الرأسمالي . . . فمبدأ الاسلام مبدأ عالمي انساني له قابلية التطبيق العالمي، وسبق ان طبق لفترة هي أطول فترة زمنية في التاريخ يطبق فيها مبدأ واحد، وكانت دولته اقوى دولة في العالم"(١٤).

وأكد كاتب اسلامي آخر انه بعد "سقوط" الشيوعية وانتصار النظام العالمي الجديد بقيادة امريكا، تغير شكل الاستعمار فلم يعد هناك مجالا في المستقبل للاستعمار الثقافي والسياسي والاقتصادي الذي جاء ليحل محل الاحتلال العسكري، واضاف ان

"المتصور ان يكون الصراع قائم على اساس افناء الدين الاسلامي حتى لا يبقى له اثر ولا يكون قادرا على تحدي الوجود المسيحي واليهودي"(١٥).

ويؤكد كاتب اسلامي آخر ان اهمية الوطن العربي لا تأتي فقط من خلال الموقع الاستراتيجي الذي يتمتع به بل أيضا من كون الاسلام موجودا فيه، فالمنطقة اذا مقصودة لاسلامها، وبالتالي فان الغرب حسب تعبير الكاتب "يشن حربا اعلامية وفكرية وحضارية سافرة وحاقدة وخالية من اي اسلوب اخلاقي على العقيدة وتعاليمها"(١٦). كما ان هدف الغرب - حسب كاتب آخر - ونتيجة لبروز الاسلام المعادي للغرب، سيكون "التصدي للحركة الاسلامية الاصولية، ومحاولة احتوائها وتحجيمها"(١٧)، بل ذهب هذا الكاتب الى التفكير بالكيفية التي قد تلجأ اليها الولايات المتحدة من اجل مواجهة الحركة الاسلامية وعزلها عن الشارع العربي-الاسلامي، حيث سيكون ذلك بتحسين الاوضاع الاقتصادية والمعيشية باموال خليجية وغربية في الدول العربية الفقيرة وذلك بهدف سحب قضية الظلم الاقتصادي-الاجتماعي من ايدي الاسلاميين، وتحسين وتعزيز وضع المؤسسات الدينية الرسمية والمجموعات الاسلامية التقليدية، وضع العراقيل البيروقراطية امام الحركة، التغلغل داخل صفوفها وأخيرا ملاحقة ممولي الحركات الاسلامية والضغط عليهم(١٨).

رد الفعل الاسلامي على النظام الجديد

لقد كان رد فعل الاسلاميين الفلسطينيين على "النظام العالمي الجديد" عنيفا، فهم من ناحية فلسطينيين، والقضية الفلسطينية هي احدى "الضحايا" المرشحة لهذا النظام كما يعتقدون، ومن الناحية الأخرى فهم اسلاميون والاسلام كما تبين يعتبره الاسلاميون المستهدف الاساسي من قبل هذا النظام. فبالنسبة لحماس ربطت الحركة بين النظام العالمي الجديد وبين العملية السلمية التي قادتها الولايات المتحدة من اجل "تسوية" القضية الفلسطينية ومشكلة الشرق الاوسط ومن اجل ذلك اعلنت الحركة رفضها لاجتماع الفلسطينيين مع وزير الخارجية الامريكي بيكر، تلك الاجتماعات التي اعقبها مشاركة الفلسطينيين في مؤتمر السلام في مدريد والعملية التي اعقبته، واعلنت كذلك : "اننا نعلنها كلمة صريحة واضحة مدوية، لا للاجتماع مع بيكر، لا للنظام الامريكي الجديد، لا للصلح مع اليهود، ولتخسأ كل الايدي التي توقع على بيع

فلسطين"(١٩). وعلى الصعيد العربي ادانت حركة حماس ما اسمته بالتآمر الاستكباري العالمي الذي تقوده امريكا، واعلنت وقوفها الى جانب الشعب الليبي في ازمته الأخيرة(٢٠). وحذرت من ان "العدوان" على ليبيا لن يكون الأخير، ودعت "كافة الدول والشعوب العربية والاسلامية الى الوقوف صفا واحدا في مواجهة الارهاب الامريكي الذي يسعى للاستفراد بامتنا دولة بعد دولة"(٢١).

الا ان لهجة حماس في بعض الاحيان تخرج عن كونها شجبا مطلقا وحسب للنظام الامريكي ولقيادته الامريكية، فتحاول بصورة اكثر دبلوماسية "تأليب" الشعب الامريكي على دعم حكومته لدولة اسرائيل. وتوضح للعرب وللفلسطينيين عدم حياد الادارة الامريكية كراع لمؤتمر السلام فتؤكد حماس "ان الثقة في وعود الادارة الامريكية لم يكن يعد لها اساس، فهذه الادارة على الرغم من ريادتها لما تسميه بالنظام الدولي الجديد، وتسليم العالم لها بذلك، لا تراعي مصلحة الشعب الامريكي حينما تنحاز لحكومة العدو الصهيوني فتمده بكل اسباب الحياة والقوة من اجل رفاهية العدو الصهيوني على حساب رفاهية الشعب الامريكي"(٢٢).

أما حركة الجهاد الاسلامي فقد اعلنت ان هدف القوى الاستعمارية الأول والاساسي ما زال يتمثل في محاولة زرع "قيم الخضوع وحس الانهزام في روح الامة وان تقتلع من دمها وخلاياها خيار المقاومة. لهذا السبب ولاسباب اخرى عديدة مرتبطة به، على امتنا بجماهيرها وزعمائها وعلمائها ان ترفض الاجواء والمناخ الذي يراد من اجتماعات العرب بالكيان الصهيوني في موسكو وغيرها ان تفرضه"(٢٣).

وفي مكان آخر، اعلنت حركة الجهاد رفضها للنظام الجديد من خلال رفضها للعملية السلمية الحالية، وقالت : "لقد رفضت امتنا الكيان الصهيوني وقاومته، ورفضت سيطرة الغرب السياسية والاقتصادية والثقافية وقاومته، في زمن كان جسدها فيه مثخنا بجراح هزائم القرن التاسع عشر ومنتصف القرن العشرين. واليوم اذ ترتفع راية الاسلام وينهض مشروع الاستقلال في بقعة تلو الاخرى من عالم الاسلام الكبير فالاجدر ان يستمر الرفض وتستأنف المقاومة"(٢٤).

وكالعادة عبر حزب التحرير عن تفاؤله "التاريخي" الديني بحتمية انتصار

الاسلام، فبعد ان حذر الحزب من ان المقصود من النظام العالمي الجديد وخاصة من قبل امريكا وحلفائها الانجليز والفرنسيين هو كل ما يتعلق بالبلاد الاسلامية حكاما وجماهير، اعرب عن قناعته بأن "ظلم امريكا لن يدوم، لان الظلم ظلمات وعاقبته وخيمة"، ودعى الحزب الى رفض قرارات مجلس الامن وعدم الانصياع لها ليس فقط لانها قرارات مذلة بل لان الاسلام يحرم على المسلمين القبول بهذه القرارات، ودعى الحزب ايضا الى هدم مجلس الامن وانشاء منظمة عالمية جديدة بل ووضع سيناريو لكيفية انشاء هذه المنظمة البديلة(٢٥).

وفي تصوره للمعركة بين الاسلام والنظام العالمي الجديد، اعلن الحزب ان الصراع القادم سيكون فكريا ومبدئيا بين الحضارةالاسلامية وحضارة الغرب وقال : "وقد اعتبر بعض المراقبين ان تدمير المعسكر الاشتراكي خلال السنتين الماضيتين هو الحرب العالمية الثالثة، اي ان الحرب العالمية الثالثة حصلت بالفعل، وتمت الغلبة فيها للمعسكر الغربي، وتمت تصفية المعسكر الاشتراكي او هو ما زال قيد التصفية. اذ بدأت الحرب العالمية الثالثة بدون سلاح، واستمرت بدون سلاح، وانتهت بدو سلاح الا سلاح الحرب الاقتصادية عن طريق سباق التسلح. والان نحن نستعد ونعد للحرب العالمية الرابعة التي بدأت بدون سلاح وستستمر بدون سلاح والتي ستنتهي بدون سلاح الا سلاح الحرب الفكرية المبدئية عن طريق الصراع الفكري الساخن بين حضارة الاسلام وحضارة الغرب، والغلبة فيها باذن الله للاسلام، وقيام الخلافة الراشدة"(٢٦).

كان هذا هو رد فعل التنظيمات الاسلامية الفلسطينية على النظام العالمي الجديد، ردا سياسيا تعبويا وايديولوجيا،الا ان رد فعل بعض الكتاب الاسلاميين كان دبلوماسيا اكثر وواقعيا اكثر وربما علميا اكثر. فالدكتور محمد عبيدات الذي نشرت محاضرته مجلة حزب التحرير "الوعي" اكد ان رفض النظام العالمي في الوقت الحاضر على الأقل، ليس امرا خطيرا فقط وانما هو امر غير عملي والمطلوب هو التوجه الى اصلاح هذا النظام وليس الغاءه. ثم تحدث عن تصوراته "لاستراتيجية" المسلمين "لمواجهة" النظام العالمي حيث كان ذلك بالعمل على تعزيز الديمقراطية والشورى في العالم العربي والاسلامي، والتنمية الاقتصادية الشاملة، والعمل على تنشيط دور العالم الثالث وبالتحديد فكرة التعاون الاسيوي الافريقي(٢٧). وضمن هذا السياق يؤكد كاتب اسلامي آخر ان الرد "على هذه التوجهات التي يحملها لنا النظام الدولي الجديد بقيادة

امريكا هو، في تعزيز جميع صيغ التعاون والتضامن بين الدول العربية والاسلامية على المستوى الرسمي وعلى المستوى الشعبي بدرجة اكبر، والسعي الى تهميش الصراعات الجانبية بين الحركات السياسية الحريصة على وحدة الامة، والعمل الدؤوب من اجل ان تبقى مشاعر التضامن والاخوة ملتهبة في نفوس الجماهير ما دام المستوى الرسمي قد رضي بالتعامل مع الواقع الامريكي، فذلك هو الضمان لعدم زعزعة ثقة جماهير الامة بنفسها وبقدرتها على تجاوز الكارثة"(٢٨).

الا ان كاتبا اسلاميا آخر هو عادل مهدي يعالج مسألة التصدي للنظام العالمي الجديد بحدة اكبر وان كان بمنهجية "علمية"، ويرصد احداثا، غالبا اسلامية، شكلت مظاهر للتصدي لهذا النظام. فهو كحزب التحرير، يتطرق الى المنظمات الدولية التي تعمل حسب رأيه لا لخدمة مجموع دول العالم بل لصالح دول معينة، وضمن هذا المنطق فان نشاط هذه المنظمات كهيئة الامم ومجلس الامن وصندوق النقد الدولي ومنظمات دولية تهتم بالتجارة والتعليم والبيئة والغذاء وحقوق الانسان والعفو الدولية كله نابع من المصالح الخاصة للبلدان الغربية، وهو موقف كما نلاحظ قريب من موقف حزب التحرير وان كان لا يدعو الى تغيير تلك المنظمات.

ويسهب الكاتب في وصفه للنظام الدولي ليبين في النهاية رد فعله تجاهه. فالنظام الدولي حسب رأيه هو "مجموع الشركات والصناعات والمصارف والبيوتات التي تخدم في النتيجة ما يسمى بالاقتصاد العالمي، او نمط الحياة الحديثة. فهو الاعلام والصحافة الدولية، وهو الجامعات، ودور التعليم، ومراكز البحث ونظام القيم والمعايير والاخلاقيات وطرق العيش والاستهلاك، التي تنتج بشكل قسري او طولي ما يسمى بالانماط العصرية للحياة، او الرجل العصري والمرأة العصرية"(٢٩). وما دام الاسلاميون يرفضون هذا النظام الجديد، فمنطقيا يجب عليهم ان يرفضوا مظاهره الذي تحدث عنها الكاتب، ومن هنا مصدر معاداة الاسلاميين لطرق "العصرنة" هذه على ما يبدو.

ومن موقع اسلامي اعرب الكاتب عن تفاؤله بهزيمة النظام الجديد، فأكد ان "وعيا متزايدا يتشكل، ومقاومات عديدة تظهر لهزم النظام الدولي في صلب بنيانه وادوات عمله الاقتصادية والفكرية والحضارية، تماما كما هزم - من قبل - النظام العبودي او الاسترقاقي على اصعدته المحلية"(٣٠).

لقد جزم الكاتب ان النظام الدولي الجديد في تراجع، وعدد بعض المظاهر التي تدل على مقاومة هذا النظام، مثل انتصار الثورة الاسلامية في ايران وقيام الجمهورية الاسلامية، واستمرار الانبعاث الاسلامي في كل ارجاء العالم، وصعود قوى اسلامية الى مركز الصدارة والقرار في بلدانها، صمود الانتفاضة الفلسطينية وتحولها الى ثورة ونمط عيش والى مرابطة ومجاهدة، نجاح الثورة الاسلامية في افغانستان في طرد اعظم واقوى جيش في العالم، وأخيرا تطور الانتفاضات والجماعات الاسلامية وتصاعد اعمال الدفاع عن الاسلام(٣١).

لم يحاول الكاتب الاستهانة بقوة النظام الجديد، فأكد ان "الخصم" ما زال مقتدرا وقويا، ولكنه يلخص المشكلة لا في قوة الخصم ولا في ضعف المسلمين المادي بل ان جوهر المشكلة عنده هو "تعطل الارادة الناتج عن ضعف التوكل على الله سبحانه وتعالى"(٣٢).

(ب) المعالجة الاسلامية الفلسطينية لازمة الخليج

لم يكن هناك ادنى شك لدى اي مواطن في الاراضي الفلسطينية المحتلة، وعلى اساس حساب ميزان القوى بالارقام المجردة، انه لا مجال للحديث عن اي تكافؤ بين القوات العراقية وبين قوات التحالف التي احتشدت في شبه الجزيرة العربية اثناء ما سمي بازمة الخليج.

ولكن كثيرين، مسيسين وغير مسيسين، من انصار الحركات الاسلامية ومن غيرهم، ومن اولئك الذين يعملون تحت لواء الاسلام السياسي او اولئك الذين بقوا في دائرة الايمان الشعبي، كانوا على يقين بأن شيئا ما، قوة سماوية ربانية ستحل، وسيخرج العراق منتصرا او سالما على الأقل.

لقد ساد الجميع، باستثناء بعض المثقفين والمجربين، ما اطلق عليه ايديولوجيا "المهدي المنتظر"، الذي سيأتي، وفي هذه الواقعة بالذات لينقذ العراق والفلسطينيين والعرب والمسلمين من محنهم السابقة واللاحقة. فنشط اسلاميون فلسطينيون

كثيرون للبحث في الكتب الدينية الاسلامية عما يمكن ان يتعلق بالمعركة الأخيرة مع "الشر"، وكذلك فعل مؤمنون مسيحيون بكتبهم الدينية.

وكالعادة، ومثلما كان الموقف من معظم القضايا التي تهم العالم العربي، لم يكن موقف المؤسسات الاسلامية في الدول العربية والاسلامية او في بقية انحاء العالم واحدا، وغالبا ما كان اختلاف المكان وموقف نظام الحكم ومقدار الشوط الذي قطعه البلد في تطبيق الديمقراطية، عوامل اساسية في الموقف الذي تتخذه هذه المؤسسة الاسلامية او تلك من الازمة.

فكان ان انعقد اثناء الازمة مؤتمر اسلامي في بغداد معلنا تأييده للعراق ولرئيسه صدام حسين ومطالبا باعلان الجهاد ضد المصالح الامريكية، وفي نفس الفترة تقريبا (١٠-١٢ سبتمبر ١٩٩٠) انعقد مؤتمر اسلامي أخر في مكة بالسعودية معلنا تأييده للملكة وادانته احتلال الكويت من قبل الجيش العراقي، كما أكد شرعية طلب السعودية للقوات الاجنبية لان ذلك "انما اقتضته الضرورة الشرعية والشريعة الاسلامية تجيز ذلك بشروط الضرورة المقررة شرعا"(٣٣).

كان ذلك في الوقت الذي انعقد فيه مؤتمر اسلامي ثالث في ليبيا وباشراف الرئيس الليبي "قائد القيادة الشعبية الاسلامية العالمية" معمر القذافي (٣٠-٣١ اكتوبر ١٩٩٠) ليعلن موقفا وسطا بين المؤتمرين السابقين، حيث طالب بانسحاب القوات العراقية من الكويت وضرورة التصدي للقوات الاجنبية في الخليج.

الا ان عوامل التشرذم في مواقف الحركات والجهات الاسلامية في العالم العربي والاسلامي، تلك العوامل التي لم تمت غالبا للايديولوجيا بصلة، لم تكن متوفرة لدى الاسلاميين في الاراضي الفلسطينية المحتلة، فبقي موقف الحركات والشخصيات الاسلامية متقاربا الى حد بعيد، ومساندا للعراق او متعاطفا معه على الاقل في وقوفه امام الولايات المتحدة وبقية بلدان التحالف، وان اختلف ذلك بعض الشيء من تنظيم اسلامي لأخر.

من المعروف ان القوى الاسلامية الفاعلة في الاراضي الفلسطينية المحتلة تتمثل

في تنظيمات سياسية ثلاث : الاخوان المسلمون وذراعهم "الفاعل" حركة المقاومة الاسلامية (حماس)، حزب التحرير الاسلامي، وحركة الجهاد الاسلامي في فلسطين. اما القوى الدينية الاخرى المتواجدة على الساحة الفلسطينية فتتشكل في معظمها من تيارات ومجموعات صوفية كمجموعة التبليغ والدعوة، لم تصل حتى مشكلة الخليج الى المستوى الكافي لدفعها للعمل السياسي.

تتمثل مهمة هذه الدراسة في القاء الضوء على مواقف الحركات الاسلامية السياسية الانفة الذكر من ازمة الخليج، وذلك برصد تلك المواقف منذ دخول القوات العراقية للكويت، مرورا ببدء الهجوم الجوي لقوات التحالف على العراق وابتداء الحرب البرية ونهايتها الدرامية.

ومن هنا لا بد من الخوض في تفاصيل الموقف الشرعي والسياسي لكل تنظيم في مسألة التواجد العراقي في الكويت وطلب السعودية للقوات الامريكية والمتحالفة (مسألة طلب الاستعانة بالكفار)، وطرق حل المسألة الكويتية، والتعامل مع احتمالات الحرب والسلام، وكيفية التعامل مع الازمة بعد حسمها لصالح التحالف.

الاخوان المسلمون والازمة

بات معروفا ان حركة حماس قد انبعثت عن حركة الاخوان المسلمين في الاراضي الفلسطينية المحتلة، تلك الحركة التي اعتبرت نفسها الذراع القوية للاخوان المسلمين(٣٤)، ومن هنا فعند الحديث عن موقف الاخوان المسلمين في فلسطين من قضية ما انما يعني تلقائيا الحديث عن مواقف حماس، وهذا باعتقادنا لا يعتبر ازدواجية حيث تصدر معظم المواقف عن حركة حماس واحيانا تصدر عن حركة الاخوان(٣٥). ان الوقائع لم تعط من الدلائل ما يكفي لمعرفة الاسباب التي تجعل بيانا ما يحمل توقيع حركة الاخوان او حركة حماس، حيث ان حركة الاخوان في فلسطين لا تصدر الوثائق باسمها الا فيما ندر.

تابعت حركة حماس ازمة الخليج منذ بداياتها، فقبل دخول القوات العراقية الكويت بأكثر من شهرين وفي رسالة وجهتها حركة حماس بتاريخ ١٩٩٠/٥/٢٥

الى مؤتمر القمة العربي الطارىء الذي عقد في بغداد في تلك الفترة، رأت حماس ان "تصعيد الحملة الاعلامية الظالمة ضد العراق الشقيق، وتأليب الرأي الدولي ضد توجهاته في التسليح والتكنولوجيا . . . لا يمكن فهمه الا في ضوء المؤامرة الصهيونية ضد وجود الامة العربية والاسلامية وعزتها وكرامتها واستقلالها"(٣٦).

وفي اول بيان للحركة صدر في اليوم التالي لدخول القوات العراقية للكويت وجهت حماس نداء الى كل من العراق والكويت لتجاوز الخلافات كما دعت الامة وحكامها لوضع حد للخلاف بين العراق والكويت(٣٧)، وذلك في اشارة مقتضبة وسريعة الى الازمة الخليجية.

لقد كان لا بد من مرور بعض الوقت حتى يتسنى لحركة حماس - ولاي جهة اخرى كذلك - ان تبدأ بالبحث بشيء من التفصيل في اسباب الازمة وجوهرها والتوقعات المرتقبة على اثرها. ففي البيان الذي اصدرته الحركة مباشرة بعد البيان السابق اعتبرت حماس دخول الامريكان الى الجزيرة والخليج بأنه "هجمة صليبية شرسة"، واعتقدت ان "الجماهير العربية والاسلامية في طول العالم وعرضه ستقف سدا منيعا امام هذا الغزو وحرمانه من تحقيق اغراضه الدنسة وتحويله الى انتصار كبير يضع كل امكانياتنا ومقدراتنا في ايدي ابناء امتنا"(٣٨).

وتطرقت حماس في نفس البيان الى الدعوة لاتخاذ خطوات عملية من اجل حل الازمة، فنادت بانسحاب القوات الامريكية وترك شؤون العرب للعرب، واهابت بالجماهير العربية والاسلامية بالتأهب لجهاد طويل، كما دعت العراق لضرب قلب تل ابيب اذا تعرض لهجوم غربي صليبي ودعت من اسمتهم كل الاحرار في العالم الاسلامي لضرب المصالح الامريكية والغربية(٣٩).

استمر موقف حماس من ازمة الخليج في التبلور مع مرور الوقت، فبعد ما يقارب الشهر من استيلاء العراق على الكويت تطرقت الحركة الى حل اكثر وضوحا فيما يتعلق بمستقبل الكويت، فكان رأي حماس "ان اي حل للمشكلة لا بد وان يقوم اولا على انسحاب القوات الاجنبية في المنطقة وانسحاب القوات العراقية من الكويت واحلال قوة عربية او اسلامية في المناطق الحدودية الساخنة"(٤٠).

لقد دعت حماس الى ايجاد حل سلمي للازمة على قاعدة عربية اسلامية تتمثل بوجوب "انسحاب القوات الاجنبية من الجزيرة والخليج واعطاء الشعب الكويتي حقه في تقرير مصيره لاختيار الحكم الذي يريده"(٤١).

اما الاخوان المسلمون في الاردن وهم المقربون الى الاخوان المسلمين الفلسطينيين بشكل كبير، فقد اوضحوا بتفصيل كبير اسباب واهداف الحشد الامريكي في الخليج والسعودية حيث كانت مشكلة الكويت مجرد ذريعة، "فالهجمة الامريكية الصليبية الجديدة ضد امتنا لم تكن فقط بسبب الدخول العراقي لاراضي الكويت"(٤٢) انما لعدة امور اخرى تتمثل كما اوردها البيان بما يلي :

١. وقف المد الشعبي الذي بدأ يجتاح المنطقة العربية متمثلا في الصحوة الاسلامية المباركة . . . حيث ان هذا المد الشعبي يعتبر ايذانا ببزوغ فجر المشروع الحضاري الاسلامي المعاصر، والذي سيجعل هذه الامة باذن الله القوة الأولى عالميا.
٢. حماية منابع النفط.
٣. تدمير اي شكل من اشكال القوة العربية التي اصبحت هاجسا مرعبا لامريكا والغرب في سعيهم لتكريس حالة التجزئة لهذه الامة وابقاء "اسرائيل" كقوة مهيمنة(٤٣).

ورغم الوضوح والتفصيل في بيان الاخوان المسلمين في الاردن حرصت حركة حماس على الخوض بتفصيل اكبر في تفسير اسباب الازمة الخليجية، حيث تحدثت الحركة عن "الثالوث العدائي للدولة الاسلامية . . . فها هي الروح الصليبية تتزعم اكبر حشد ضد اطهر مقدسات العالم الاسلامي . . . وها هي الشيوعية قد اعلنت تبعيتها المطلقة لتنفيذ المؤامرة ضد العالم الاسلامي . . . وتأتي الصهيونية العالمية لتجني ثمار هذا التآمر"(٤٤).

ان الحرب الخليجية التي برأي حركة حماس "فرضتها قوى الكفر العالمية وعلى رأسها امريكا قد جاءت بتدبير من الصهيونية العالمية للقضاء على القدرات العلمية والعسكرية للعراق الشقيق وذلك حتى يخلو الجو للكيان الصهيوني للقضاء على

الانتفاضة وفرض الحلول الاستسلامية"(٤٥). كما ان تلك الحرب ما هي الا نتاج "لتحالف صليبي كفصل من فصول الحرب ضد الاسلام (مثل الصهيونية) ولاعطاء الفرصة لمزيد من الهجرة الصهيونية"(٤٦).

في الواقع لا بد من اقرار حقيقة، وهي ان مواقف حركة المقاومة الاسلامية حماس تجاه ازمة الخليج قد اتخذت منحنيين مختلفين، احدهما معتدل فيما يتعلق بمسألة دخول الكويت ومستقبلها ومستقبل علاقتها بالعراق، وأخر حاد وحازم فيما يتعلق بدخول القوات الامريكية والمحالفة معها الى الاراضي السعودية والخليجية، ومن ثم الحرب الامريكية التدميرية ضد العراق. فالحركة لم تكن مع العراق بصورة كلية عندما تعلق الأمر باحتلال الكويت ولكنها كانت مع العراق كليا عندما قرر مواجهة امريكا.

فالاخوان المسلمون في فلسطين، وحركة حماس، مثلها مثل سائر حركات الاخوان المسلمين في العالم العربي والاسلامي، لم تشارك في المؤتمر الاسلامي الذي عقد في مكة بدعوة من رابطة العالم الاسلامي لتأييد المواقف السعودية، ولم تتحمس للمؤتمر الاسلامي الذي عقد في بغداد لنصرة صدام حسين، بل عملت على ايجاد حل وسط يقوم به وفد اسلامي شعبي يضم ممثلي الاخوان في مصر والاردن واليمن وسوريا والحركة الاسلامية في السودان وحزب النهضة في تونس والجماعة الاسلامية في باكستان وحزب الرفاه في تركيا والحزب الاسلامي في ماليزيا وحزب العمل في مصر وجمعية الارشاد والاصلاح في الجزائر وحركة حماس في فلسطين.

توجه ذلك الوفد منطلقا من عمان الى كل من السعودية حيث اجتمع بالعاهل السعودي فهد، والى العراق حيث اجتمع الى الرئيس العراقي صدام حسين ومن ثم الى ايران "لضمان" وقوفها الى جانب الحل الذي اعتمدته تلك الحركات.

لقد كان من المقرر ان يرأس وفد الاخوان المسلمين في مصر ذلك الوفد، الا ان السلطات المصرية منعت كل من المرشد العام للاخوان محمد حامد ابو النصر، مأمون الهضيبي، ابراهيم شكري ونائب المرشد العام للاخوان مصطفى مشهور من السفر الى

عمان للانضمام لذلك الوفد، فترأسه على اثر ذلك المراقب العام للاخوان المسلمين في الاردن محمد عبد الرحمن خليفة.

ومن اجل ذلك، وبالاضافة لمشاركة ممثل حركة حماس في الوفد المذكور ثمنت حماس وكما اعلنت "مواقف قادة الحركة الاسلامية العالمية التي تسعى لايجاد حل اسلامي للازمة بعيدا عن هيمنة الغرب واطماعه، واستهجنت موقف الحكومة المصرية التي منعت وفد التحالف الاسلامي من السفر وعلى رأسه فضيلة الاستاذ المرشد العام للاخوان المسلمين ودعت جميع الاطراف المعنية الى التجاوب مع توجهات الوفد الخيرة"(٤٧).

لقد دعمت حركة حماس مواقفها السياسية بموقف شرعي اتخذته حركة الاخوان المسلمين في فلسطين، يتحدث عن عدم جواز الاستعانة بالكفار شرعيا حيث "لا يجترىء بعد ذلك على تجويز دخول الكافرين ارض الحجاز الا جانح مهزوم او متخاذل خراص"(٤٨)، واكدت الحركة ان "الزعم بأن الاستعانة بالكفار لرد العدوان جائز اسلاميا زعم مردود على اصحابه"(٤٩)، وكذلك فعل الاخوان المسلمون في الاردن حيث رفضوا وجود الجيش الامريكي والغربي على "ارض النبوة" وذكروا ان الجيش الامريكي يضم نسبة من اليهود(٥٠).

كان ذلك بالرغم من ان بعض الجهات الاسلامية الموالية للعربية السعودية قد اباحت للسعوديين الاستعانة بالاجانب "لدفع الاذى عن السعودية" كما فعل الاسلاميون الذين اجتمعوا في مؤتمر مكة.

اما على المستوى الشعبي فقد اعلنت حماس تعاطفها وتضامنها مع كل من الكويتيين والعراقيين، غالبا دون الاشارة الى انظمة الحكم في البلدين. ففيما يخص الكويتيين دعت حماس الى "الشعور بمعاناة الكويتيين وان يكون لشعب الكويت حقه في اختيار مستقبل بلده"(٥١)، كما دعت الحركة الى الوقوف وبكل حزم الى جانب المهجرين من "اخوتنا" ابناء الشعب الكويتي الذين كانوا سندا للحق ودعما للخير ودعت "الاخوة" العراقيين الى احسان معاملة الشعب الكويتي والحفاظ على امواله واعراضه وحرماته(٥٢).

وبالنسبة للعراقيين وكذلك الكويتيين فقد دعت حركة حماس "الشرفاء في العالم" الى كسر الحصار الاقتصادي عن الشعبين العراقي والكويتي(٥٣)، كما حيت الحركة "الشعب العراقي الصامد"(٥٤)، ودعت ومعها الاخوان المسلمون في الاردن والعديد من الحركات الاسلامية في العالم الى "دعم صمود العراق في تصديه للعدوان"(٥٥). وبعد الحرب اعلنت حماس عن تضامنها مع العراقيين ودعت الكويتيين الى فتح صفحة جديدة والانتباه الى ان "الروابط مع شعب العراق هي روابط عقيدة ودم وجوار"(٥٦).

حماس واحتمالات الحرب

على عكس كثير من القوى الفلسطينية الاخرى، رأت حركة حماس ان نشوب الحرب في الخليج هي الاحتمال الأقوى من حيث ان تراجع العراق غير ممكن وكذلك تراجع الغرب، وبالتالي رجحت الحركة احتمالات الحرب اكثر(٥٧).

وبالنسبة للنتيجة المحتلة للحرب انقسم مؤيدو حماس على المستوى غير الرسمي بين واثق من نصر العراق والمسلمين، وهؤلاء الاغلبية، والتي تعتمد التفاؤل الديني "التاريخي" والقائل بحتمية انتصار المسلمين على "الكفار"، بينما وجدت قلة من اولئك السياسيين المجربين الذين درسوا الامور حسب القوة الموجودة "على الارض" واعربوا عن تخوفهم من نتائج المعركة منذ البداية.

أما على المستوى الرسمي فلم تقحم حماس نفسها كثيرا في النقاش حول نتيجة الحرب، رغم انها حاولت الحفاظ على "تفاؤل المؤمنين" بالنصر، فكان ان دعت المسلمين ان "اقبلوا على الله بالتوبة الصادقة واسألوه النصر والتمكين فهو اقوى من امريكيا وطائراتها ومدمراتها واقوى من اليهود ومكرهم"(٥٨). كان ذلك هو المنطق الذي ساد عند معظم الفلسطينيين منذ بداية الازمة حتى نهايتها المفجعة.

حماس - ردود فعل

عملت حماس على اتخاذ بعض المواقف العملية على الصعيد المحلي الفلسطيني،

فدعت الى اضراب شامل بتاريخ ١٩٩٠/٨/١٥ "احتجاجا على الاحتلال الامريكي الصليبي لبلاد المسلمين"(٥٩)، كما دعت الى انهاء الحوار الفلسطيني-الامريكي والى مقاطعة البضائع الامريكية(٦٠).

في بيان لاحق دعت حماس خطباء المساجد الى "استعمال خطب الجمعة (١٩٩٠/٨/٣١) للربط بين الحروب الصليبية السابقة والحملة الصليبية الجديدة في ذكرى استعادة المسلمين مدينة طبريا من الصليبيين، وفيه تحرق الاعلام الاسرائيلية والامريكية"(٦١)، كما دعت الى تحديد يوم الخميس ١٩٩٠/٩/٦ يوم صيام للتضامن مع العراقيين والكويتيين(٦٢).

واثناء اندلاع القتال طورت حماس من مطاليبها التي غلب عليها الطابع الروحي، فدعت الى "الاكثار من الصيام وقيام الليل والدعاء الى الله العلي القدير ان يثبت اخواننا في العراق على امريكا وحلفائها وعبيدها... وعدم مغادرة الارض مهما كانت الظروف ... والحذر من الترانسفير ... والخروج الى السطح والصراخ بسم الله الله اكبر مع كل صاروخ يطلقه العراقيون"(٦٣).

من ناحية اخرى دعت حماس الى اعتبار يوم الخميس ٩١/٢/٢١، ٩١/٢/٢٨ ايام صيام ودعاء الى الله على اليهود والامريكان وحلفائهم، كما ركزت على ضرورة مقاطعة البضائع الامريكية(٦٤).

وفي مجال آخر اوكلت حركة حماس "على الشعب الفلسطيني بصفة خاصة مهمة تفجير الارض لهبا تحت اقدام الغاصبين اليهود"(٦٥). وبعد انتهاء الحرب وبدء وزير الخارجية الامريكي بيكر بجولاته المكوكية الى المنطقة والاجتماع بشخصيات فلسطينية دعت حماس الى مقاطعته وعدم اللقاء به على اي مستوى ومن اي شخص كان(٦٦).

وعلى الصعيد الداخلي الفلسطيني اكدت حماس في بياناتها ضرورة الحفاظ على الوحدة الوطنية، فوقعت بيانا مشتركا مع حركة فتح لحل المشاكل الداخلية بينهما(٦٧)، الا انه يبدو ان العلاقة مع القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة خلال ازمة الخليج لم تكن على ما يرام، ففي احدى بياناتها دعت ق.و.م حماس الى الكف عن

التحرش باعضائها(٦٨)، كما قامت حماس بتوجيه تهديد للشيوعيين في قطاع غزة من اجل عدم "التعرض لها"(٦٩).

أما الاخوان المسلمون في الاردن فقد كانوا اكثر وضوحا في موقفهم من الاتجاهات الاخرى خاصة الماركسية منها، فدعت "بقايا العرب المؤمنين بالماركسية ودعاوي الالحاد الى اعلان براءتهم منها والعودة الى ربهم وقراءة الاسلام من جديد خاصة بعد ان قبل الاتحاد السوفياتي بدور التابع لامريكا"(٧٠).

لم تقتصر نداءات حماس في توجهاتها الى الشعب الفلسطيني بل توجهت كذلك نحو العرب والمسلمين لاستنهاضهم للوقوف امام العدوان الغربي، فاعلنت الحركة انه "مع اقتراب موعد الهجوم الصليبي الحاقد على شعب العراق المجاهد فاننا ندعو شعوب الامة الاسلامية والعربية الى رص الصفوف وضرب مصالح الدول المشاركة في هذا الهجوم وخاصة امريكا"(٧١).

لقد دعت حماس كافة الشعوب العربية والاسلامية الى الوقوف الى جانب الشعب العراقي، كما دعت الشعوب التي شاركت حكوماتها في قوى التحالف ضد العراق بالضغط على هذه الحكومات لسحب قواتها ودعت القوات المسلمة الموجودة مع قوات التحالف الى ضرب هذه القوات(٧٢).

ولم تغفل حماس مناشدة الشعوب الاسلامية العودة الى الاسلام، فاعلنت انه "على الشعوب الاسلامية ان تسعى حثيثا، ومن خلال الحركة الاسلامية الى رفع راية الجهاد . . . من اجل تحكيم منهج الله واعلاء كلمته وضرب مصالح العدو وقوته اينما وجدت"(٧٣).

وفي بعض المرات كانت حماس اكثر دقة في تحديدها لجهات اسلامية معينة ولخطوات معينة اتخذت من قبل تلك الجهات، فكان ان باركت حماس "دعوة الاخوان المسلمين في الاردن للجهاد ضد القوات الامريكية وحلفائها، كما باركت الدعوة المماثلة التي اعلنها مجلس العلماء في اليمن"(٧٤).

وعملت حماس على المساهمة في دفع الموقف الايراني باتجاه اتخاذ خطوات من اجل حل الازمة اسلاميا حيث اشتركت في الوفد الاسلامي الشعبي الذي زار ضمن جولته ايران ايضا كما ذكرنا، كما ناشدت الحركة "جمهورية ايران الاسلامية الوقوف بقوة الى جانب العراق في هذه المعركة ضد قوى الكفر العالمية"(٧٥).

من ناحية اخرى اعربت حماس عن تثمينها لفتوى مرشد الثورة الايرانية على خامنئي "باعتبار مقاومة العدو الامريكي جهادا في سبيل الله، والذي جاء متناسقا مع موقف الحركة"(٧٦) ودعت "الشعب والقيادة في ايران الى طي صفحة الماضي والوقوف في وجه الغطرسة الامريكية"(٧٧). لقد استخدمت الحركة في تعبيراتها المفردات "الايرانية" في وصف امريكا مثل "الشيطان الأكبر" و"قوى الكفر العالمية" عندما توجهت بالحديث الى الايرانيين.

انه لما تجدر ملاحظته ان طلبات حركة حماس من الفلسطينيين اثناء الحرب اختلفت عن طلباتها من العرب والمسلمين حكاما وشعوبا، فبالنسبة للفلسطينيين كان التركيز على الجانب الروحي الديني الذي يراعي قدرات الفلسطنيين تحت الاحتلال وفي ايام الحرب، ويتلافى ردود الفعل الاسرائيلية بينما كانت الطلبات من الاخرين عملية أكثر.

حماس - الخليج - فلسطين

حرصت حماس على ربط ازمة الخليج بالقضية الفلسطينية منذ بداية تلك الازمة، فاعلنت الحركة ان اسرائيل استغلت ازمة الخليج حتى يتسنى لها الاستمرار في اعتداءاتها ضد المسجد الاقصى(٧٨). وكانت الحركة قد اكدت، وقبل دخول الازمة الخليجية مرحلتها العنيفة وقوفها الى جانب العراق ضد حملات التشهير به.

ان الحركة الاسلامية، ومنها حماس، لم تنظر في اي وقت من الاوقات الى القضية الفلسطينية على انها قضية الفلسطينيين وحدهم، بل على انها معركة المسلمين اينما كانوا، وبالتالي سعت حماس، ولو نظريا على الاقل، الى تجنيد المسلمين من اجل تلك المعركة، فأكدت "ان المعركة في ارضنا المقدسة ليست بيننا نحن الشعب الفلسطيني

وبين عدونا المحتل فحسب، بل هي معركة بين امتنا العربية والاسلامية المجيدة واعدائها من اليهود ومن والاهم"(٧٩).

وفي محاولة منها لتجسيد الدعم العربي والاسلامي للقضية الفلسطينية عمليا، دعت حماس الزعماء العرب المجتمعين في بغداد الى "فتح الحدود امام المتطوعين للجهاد في فلسطين وانشاء القواعد والمراكز للتدريب وانشاء جيش شعبي عربي"(٨٠). كما دعت حماس الحركة الاسلامية العالمية ان تبدأ "باعداد المجاهدين تدريبا وتسليحا وتوجيهها نحو الحدود لضرب عمق العدو المجرم"(٨١).

لقد اكدت حركة المقاومة الاسلامية حماس على مركزية القضية الفلسطينية بالنسبة لها(٨٢)، وابلغت الرئيس العراقي صدام حسين "ان تحرير فلسطين امانة في اعناقكم"(٨٣). واعلنت حماس رفضها لكافة "التحركات الامريكية المشبوهة"(٨٤)، كما دعت منظمة التحرير الى الغاء مقررات الجزائر"(٨٥) ودعت الى رفض قرارات الامم المتحدة المتعلقة بفلسطين"(٨٦). وحذرت الحركة من انه بعد تدمير العراق جاء بيكر، وفي محاولة لاستثمار حرب الخليج في محاولة لانهاء الصراع في المنطقة وتقسيمه الى عربي-اسرائيلي وفلسطيني-اسرائيلي من اجل اختراقات جديدة في الموقف العربي وتعامله مع العدو(٨٧).

لقد ربطت حماس بين نتائج حرب الخليج بما أسمته التآمر على القضية الفلسطينية وعلى الصحوة الاسلامية، فاعلنت الحركة ان مساعي بيكر انما جاءت "للاجهاز على الانتفاضة ولاكمال المؤامرة، فتعلن امريكا انها تريد تطبيق النظام العالمي الجديد ولتكون هي الشرطي الامين على مصلحة اسرائيل في المنطقة العربية، ولاجهاض الصحوة الاسلامية التي هي البشائر الأولى في الطريق الى تحرير فلسطين"(٨٨).

وبعد انتهاء الحرب واحتلال جيوش الحلفاء لاراض عراقية طالبت حماس بسحب "اساطيل وجيوش الصليبيين من العراق ومن الجزيرة العربية والمنطقة بأسرها"(٨٩). وعلى صعيد العلاقات الفلسطينية-الكويتية اعربت حماس عن فرحتها -غير

الواضحة- بعودة الكويت ولومها الواضح للعراقيين وطالبت الكويتيين بالحفاظ على علاقاتهم الجيدة مع الفلسطينيين.

فأصدرت حماس بيانا جاء فيه : "ها هي الكويت تعود ويعود اهلها اليه، وكنا نتمنى ان تكون هذه العودة باستجابة عراقية لنداء حماس ولجميع المبادرات المماثلة ويكون الحل عربيا اسلاميا، اما وقد حدث ما حدث . . . فندعوا الى المحافظة على العلاقة الجيدة مع الجالية الفلسطينية"(٩٠).

لقد كان الاخوان المسلمون في مصر اكثر وضوحا في اعلان فرحتهم بعودة الكويت من الاخوان المسلمين الفلسطينيين، حيث اصدروا بيانا بتوقيع المرشد العام محمد حامد ابو النصر جاء فيه : "نسجل فرحتنا بعودة الشعب الكويتي الى اهله وارضه وديارة . . ."(٩١). وأعلن ان ما جرى في الخليج سببه "استبداد الحكام وفساد الانظمة وغياب الشورى الاسلامية وعدم مشاركة الشعوب في اتخاذ القرارات المتعلقة بمصائرها"(٩٢).

حماس والانظمة

حرص الاخوان المسلمون تاريخيا على مخاطبة الحكام والابقاء على خطوط للعلاقة معهم، كان ذلك في مصر حيث نشأت حركة الاخوان المسلمين، وكذلك في الاردن حيث وجد الاخوان المسلمون الفلسطينيون لفترة طويلة(٩٣). ومن هنا دعا الاخوان المسلمون في مصر وعلى لسان مرشدهم العام الحكومات العربية والاسلامية الى التكاتف من اجل حل القضية الفلسطينية التي وصفها بأنها قضية العروبة والاسلام الأولى، وأضاف المرشد العام انه "اذا لم تستطع الحكومات حل المشكلة فسوف يكون للشعوب العربية والاسلامية ان تجاهد"(٩٤).

لم تخرج حركة الاخوان المسلمين في فلسطين عن هذا الاطار، فقبل احتدام ازمة الخليج بفترة قامت حماس بتوجيه رسالة الى مؤتمر القمة العربي الطارىء في بغداد في ايار من العام ١٩٩٠ حثت فيها الزعماء العرب على اتخاذ قرارات على مستوى التحدي، وقالت ان القمة هذه "هي اختيار حقيقي لمدى مقدرة زعماء هذه الامة على

اتخاذ القرارات العملية الفعالة للحفاظ على عزة الامة وكرامتها"(٩٥)، وذكرت الزعماء بأن "الخطر اليهودي يهددهم ويهدد شعوبهم"(٩٦).

وفي وقت لاحق وجهت حماس رسالة الى "حكام العالم الاسلامي عامة والرؤساء والملوك العرب خاصة" حدثتهم فيها عن الاخطار المحدقة بالعالم الاسلامي ودعتهم الى الاعتصام بكتاب الله وايقاف حملة الدعاية الظالمة ضد الفلسطينيين في بعض البلدان العربية ودعتهم كذلك الى استيعاب العمالة الفلسطينية والحفاظ على مركزية القضية الفلسطينية في ساحة الصراع والتخطيط الواعي لانشاء الجامعة الاسلامية"(٩٧).

وفي خضم ازمة الخليج خاطبت حماس الانظمة العربية والاسلامية ايضا، مرة مطالبة ومرة لائمة او مؤنبة، فبعد دخول القوات العراقية للكويت وجهت الحركة رسالة الى الرئيس صدام حسين حثته فيها على تبني الاسلام بشكل واضح، وطالبته باعلان "اسلامية الصراع" على العالم اجمع ونبذ كل فكر مخالف للاسلام(٩٨)، وذلك في اشارة من حماس الى استمرار تخوفها من الفكر البعثي عند صدام على الرغم من طروحاته الاسلامية الأخيرة.

وكما سبق وذكرنا فقد توجهت الحركات الاسلامية ومن ضمنها حماس في بيانها الثاني حول حرب الخليج والذي صدر عن مؤتمر لاهور بتاريخ ١٩٩١/٢/١٧ الى حكومات البلاد العربية والاسلامية المشاركة بقوات التحالف لسحب تلك القوات، وطالبت رابطة فلسطين الاسلامية ومقرها في المانيا الغربية القادة والزعماء العرب والمسلمين بعدم "الانصياع للامبريالية"(٩٩).

وفي احيان اخرى كانت لهجة حماس اكثر حدة في مخاطبتها للانظمة، فدعت "جميع الانظمة العربية للكف عن الارتماء الرخيص في احضان اليهود والامريكان وتغليب المصلحة الاسلامية والقومية على مصالح الاستعمار"(١٠٠). وقبيل المعركة بأيام حذرت حماس قائلة : "وليعلم كل الخونة الذين باعوا ذممهم لامريكا وحلفائها ان يوم القصاص آت لا محاله فليرجعوا الى صوابهم قبل فوات الأوان، او فلينتظروا نهاية مجللة بالخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة"(١٠١).

ان هذه اللهجة العنيفة التي وجهتها حماس للانظمة في بعض الاوقات، ودون تحديد نظام بعينه كان منسجما مع موقف الاخوان المسلمين في الاردن، ذلك الموقف الذي اتخذوه في مهرجان "التصدي للعدوان الامريكي الصهيوني ضد الأمة العربية"، والذي جاء فيه "لا لكل الانظمة العميلة التي اجبرت جنودها على الوقوف جنبا الى جنب مع القوات الاجنبية الغازية، في تحد لمشاعر الأمة. ونقول لكل الذين يضعون ثروات الامة تحت تصرف "السيد" الامريكي، ويضنون بها على الملايين من الفقراء والجوعى من ابناء امتنا المسلمة . . ."(١٠٢).

في معظم بياناتها ونداءاتها المتعلقة بازمة الخليج خاطبت حماس الانظمة والحكومات سلبا او ايجابا، طالبة او لائمة كما قلنا، الا انها تجاوزت ذلك الى الاعراب عن اليأس من تلك الانظمة ومخاطبة الشعوب دون انظمتها في مرات نادرة، ففي احدى المرات استعرضت حماس ما يتوجب عمله كشعوب اسلامية "لان انظمة الحكم ميؤوس منها"(١٠٣). انه يبدو ان ذلك القول كان في لحظة انفعال نتيجة الاحداث حيث عاد الاخوان المسلمون الى طريقتهم التقليدية بعد ذلك في مخاطبة الحكام تارة سلبا وتارة ايجابا.

الجهاد الاسلامي والخليج

لم تكتب حركة الجهاد الاسلامي في فلسطين كثيرا عن أزمة الخليج مثل باقي التنظيمات السياسية الاسلامية في الارض المحتلة، الا ان الحركة استمرت في الاخلاص لمبادئها الاساسية ذات الابعاد الثلاثة في حكمها على قضية الخليج. البعد الاول هو ان حركة الجهاد الاسلامي حركة اسلامية يشكل الاسلام اساس ايديولوجيتها، البعد الثاني هو ان القضية الفلسطينية تشكل القضية المركزية لحركة الجهاد الاسلامي ويجب ان تشكل القضية المركزية لكافة المسلمين في العالم، والبعد الثالث هو ان حركة الجهاد الاسلامي ترى في الثورة الايرانية الحليف الوحيد الذي يمكن ان تحل القضية الفلسطينية بالتحالف معه(١٠٤).

ان شحة الكتابة في هذا المجال لا يعني ان موقف الجهاد الاسلامي من الازمة لم

يكن واضحا، فكانت البيانات القليلة التي اصدرها الجهاد في فترة الازمة كافية لتعبر عن وضوح وجذرية وراديكالية في مواقف الحركة.

فما جرى في الخليج برأي الجهاد "كان حملة وحشية يقودها الامريكان وحلفاؤهم على بلاد المسلمين ومقدساتهم . . . (وهذا) دليل واضح لا يقبل التأويل على حقد وكراهية الغرب والشرق الصليبي لامة التوحيد . . . فالعداء لا يمكن له ان يتوقف ضدنا ما دامت قلوبنا تنبض بالعقيدة والايمان"(١٠٥).

لقد اوضحت حركة الجهاد ان ازمة الخليج، مثلها مثل معظم الازمات التي يواجهها المسلمون، ما هي الا دليل على وجود ترابط عضوي وتحالف تام بين "الصليبية والصهيونية وكفار العرب"(١٠٦). كما ان من الاسباب الموضوعية التي أدت لوجود الازمة "هو ان امريكا ومخابراتها قد قررت ازاحة صدام حسين عن السلطة واستبداله بشخصية عسكرية اكثر تبعية لمخططات ومصالح الولايات المتحدة في الخليج والشرق الأوسط بشكل عام"(١٠٧).

الا ان الاسباب الموضوعية لم تكن وحدها وراء الازمة الكويتية والخليجية بصورة عامة حيث توجد اسباب ذاتية لذلك ايضا، فتصرفات صدام حسين ادت كما يرى الجهاد الاسلامي الى عزلته على المستوى الاقليمي "وهذا ما سيدفعه الى الدخول في المستنقع الكويتي"(١٠٨)، ذلك المستنقع الذي كان "بمثابة المخرج لصدام من ازمته الخانقة على المستوى الداخلي اولا ثم على المستوى الخارجي الاقليمي"(١٠٩)"

ولم تشكل الازمة الكويتية سببا لاخراج صدام حسين من عزلته فقط كما يرى الجهاد الاسلامي، بل ان ما جرى في الكويت هو "ضجة" مفتعلة، "فالغزو العراقي للكويت لا يمثل سوى احد الادوار التي يمارسها النظام العربي العلماني في اجهاض واستنزاف الجماهير المسلمة في معارك وهمية بعيدا عن القضية الفلسطينية المركزية"(١١٠).

لقد حدثت الازمة الكويتية في فترة تحاول فيها امريكا فرض سيطرتها على المنطقة وعلى العالم، فقبيل الازمة الخليجية تحدثت حركة الجهاد عن "تكريس حالة

التواطؤ مع امريكا"، وعن "محاولة فرز حالة عربية مؤهلة للدخول لموائد السلام العبري المدنس على البوابة المصرية العميلة"(١١١).

وعلى هذا الاساس اكدت حركة الجهاد رفضها القاطع "لكل المشاريع الاستسلامية والتصفوية الهادفة لتكريس الارتباط مع واشنطن"(١١٢)، وعلى هذا الاساس ايضا وجهت الجهاد دعوة لضرب "المصالح الامريكية والصهيونية والمصرية والسعودية ردا على الاحتلال الصليبي لخير بقاع المسلمين"(١١٣).

مخاطر الازمة

عبرت حركة الجهاد الاسلامي عن رأيها في ان للازمة الخليجية مخاطر شديدة، فمن ناحية استثمرت "الدول الغربية ازمة الكويت كورقة سياسية لتبرير التواجد العسكري الامريكي في الخليج والسعودية"(١١٤)، كما ان "الولايات المتحدة واسرائيل يعملان على اطالة مدة الحرب في الخليج وتوريط صدام حسين في حرب مستمرة باستهداف استنزافه عسكريا وتفريغ الجيش العراقي وقواه العسكرية في المستنقع الكويتي كبديل عن امكانيات تحوله للمواجهة مع اسرائيل والاتجاه الى فلسطين في حالة حدوث اي متغيرات على الوضع السياسي في العراق"(١١٥). ان التوجه الى فلسطين لم يكن من الممكن ان يكون في ظل صدام حسين برأي الجهاد الاسلامي بل كان لا بد من تغيير الوضع السياسي هناك حتى توجد مثل تلك الامكانية.

من ناحية اخرى فان مخاطر الازمة الخليجية على القضية الفلسطينية كبيرة، فترى حركة الجهاد ان اسرائيل استثمرت ازمة الكويت للتغطية على احداث الانتفاضة، كما ان اسرائيل وامريكا غطت مسألة العراق اعلاميا وبشكل مبالغ فيه من أجل "تمرير مشروع الهجرة اليهودية المليونية الى فلسطين . . . واستثمار الملف الكويتي من اجل التغطية على تسكين اليهود داخل الضفة والقطاع"(١١٦).

لقد ذهبت حركة الجهاد الى التفكير في مخاطر للازمة الخليجية ثبت ان بعضها لم يتنفذ حتّى الآن، فاعتقدت الحركة ان الغرب والصهيونية حرصا على اشغال العراق في المستنقع الكويتي من اجل تفكير اسرائيل في اعادة سيناء للسيادة الصهيونية

لتسكين مليون يهودي وذلك في غفلة الجيش المصري الذي يحارب في الخليج، بالاضافة الى التفكير باحتلال الاردن واقامة الدولة الفلسطينية هناك(١١٧).

وقفت حركة الجهاد الاسلامي بوضوح ضد احتلال الكويت من قبل العراق، حيث اعلنت الحركة ان "احتلال الكويت لا يخدم استراتيجيا سوى العدو الصهيوني وتكريس الوجود الامريكي في المنطقة"(١١٨)، كما ان ما حدث في الكويت يعتبر حربا خارج دائرة الصراع المركزي المتمثل في فلسطين(١١٩).

لقد كان موقف الجهاد الاسلامي ضد دخول العراق للكويت لا بسبب ذلك العمل في ذاته، وليس بسبب الدفاع عن استقلال الكويت او نظامها او بسبب رغبة الجهاد في الحفاظ على الوضع السياسي الذي كان متواجدا في الخليج قبيل الازمة، بل لان تلك العملية لم تخدم المسألة الاساسية والمركزية التي وضعها الجهاد الاسلامي نصب عينيه وهي القضية الفلسطينية. فالجهاد الاسلامي أعلن رفضه "ان يستثمر المستنقع الكويتي لاشغال المسلمين عن قضية فلسطين وتحرير القدس"(١٢٠)، كما ان رأي الجهاد الاسلامي كان في ضرورة التخلص من الانظمة الخليجية الموالية لامريكا ولكن ذلك "لا يتم الا بالتوجه نحو تحرير القدس"(١٢١) وتحرير القدس "يمر عبر بوابات الاردن وليس بوابات الكويت"(١٢٢).

شكلت مسألة تحرير فلسطين هاجس حركة الجهاد الاسلامي في مواقفها من أزمة الخليج، وبالتالي فلقد كان رأي الحركة واضحا من "ان اي قوة عربية لا توجه طاقاتها نحو تحرير فلسطين لا تستهدف سوى خدمة الكفر الصهيوني والافساد العبري في فلسطين"(١٢٣).

وعلى هذا الاساس لم تؤيد حركة الجهاد الاسلامي في فلسطين صدام حسين من حيث انه في البداية حارب ايران الاسلامية ولم يتوجه بقوته باتجاه فلسطين، كما انه غير مؤهل ذاتيا وموضوعيا لخوض المعركة ضد الغرب كما سيرد، وضمن هذا المنطق فقد لامت حركة الجهاد الاسلامي منظمة التحرير الفلسطينية، وياسر عرفات شخصيا في وقوفه وحيدا الى جانب صدام، فاعلنت الحركة ان ياسر عرفات بوقوفه مع صدام حسين انما "وضع برنامج سقوطه لسقوط النظام العراقي"(١٢٤).

لقد شنت حركة الجهاد الاسلامي هجوما عنيفا على صدام حسين وعلى النظام العراقي الذي يترأسه، فالغرب "استعمل النظام العراقي لضرب الثورة الاسلامية . . . وبعد تورط صدام حسين في المستنقع الكويتي يقف صدام حسين جلاد العراق ليعلن امام المسلمين في العالم اعترافه باتفاقيات الجزائر التي وقعها صدام عام ١٩٧٥"(١٢٥).

كما انتقدت حركة الجهاد الاسلامي مواقف النظام العراقي في لبنان، فاعلنت انه اثناء الازمة اللبنانية "لم يقف وقتها مع أي قوة معادية للوجود الصهيوني في لبنان .. بل وقف مع اكبر عملاء امريكا وفرنسا"(١٢٦) والمقصود به الجنرال ميشيل عون.

ان موقف النظام العراقي من الثورة الايرانية لا يفتقر بالنسبة لحركة الجهاد الاسلامي في فلسطين، فالحركة تعتبر ايران القاعدة الاساسية لتحرير فلسطين. فأعلنت حركة الجهاد قبيل دخول القوات العراقية للكويت "ان امريكا المجرمة وعملائها الخونة يدركون ومنذ انطلاقة الثورة الاسلامية في ايران عام ١٩٧٩ ان حلفا اسلاميا ثوريا بين الشعب الفلسطيني والثورة الاسلامية على قاعدة الجهاد الاسلامي هو الرقم الوحيد الذي يهدد وجود الكيان العبري ويضرب مخططات الانظمة العميلة، ان الحرب المقدسة لا يمكن تدشينها الا على ارضية جماهيرية اسلامية مجاهدة"(١٢٧).

وعلى هذا الاساس فلقد ربطت حركة الجهاد ومنذ البداية ازمة الخليج بالحرب العراقية الايرانية وقالت ان نظام صدام "العميل للغرب" حاول قمع الثورة الايرانية(١٢٨). ان النظام العراقي بالنسبة لحركة الجهاد نظام مرتبط بالغرب انما "حاول باحتلال الكويت الخروج عن قواعد اللعبة ومحاولة اكتساب مواقع اقليمية"(١٢٩). لقد تورط صدام في "حرب غير متكافئة وفي مستنقع افقده امكانيات حشد اي طاقة جماهيرية الى صفوفه خصوصا بعد تكشف الحقائق وراء دخول العراق الى الكويت"(١٣٠).

الجهاد - الخليج - الانظمة

لقد كانت حركة الجهاد الاسلامي اكثر عنفا من حركة الاخوان المسلمين وحماس في هجومها على الانظمة العربية التي اعتبرتها متآمرة على القضية الفلسطينية وعميلة للغرب، على هذا الاساس لم تدع حركة الجهاد الانظمة العربية والاسلامية وحكوماتها وزعمائها الى عمل اي شيء او القيام بأي شيء كما فعلت حماس، بل دعت "الشعوب الاسلامية والعربية الى اعلان الجهاد المسلح والانتفاضة الشاملة ضد الانظمة المتحالفة مع الغرب الصليبي الكافر حتى تحقيق الخلافة الاسلامية او الموت بعزة وكرامة"(١٣١).

وبخلاف حماس ايضا فقد ذكرت حركة الجهاد الاسلامي الانظمة العربية والاسلامية التي حملتها المسؤولية والتبعية لامريكا بالاسم وليس بصورة عامة، فبرأي الجهاد ان "الازمة الكويتية قد افرزت حالة شاملة من اجتماع عملاء امريكا ومرتزقتها في المنطقة - مصر - سوريا - المغرب - الباكستان الدول الخليجية (مجلس التعاون)، تركيا - والحكومات الغربية الموالية لها - وقد كان ذلك بغطاء مواجهة النظام العراقي، والحقيقة هو تكريس الوجود الاستعماري في المنطقة الاسلامية ومحاولات التدمير ضد الاماكن المقدسة وتجنيد آل سعود باتجاه العلاقة المباشرة مع الكيان الصهيوني"(١٣٢).

لقد كان واضحا ان النظام السعودي هو اكثر نظام تعرضت له حركة الجهاد الاسلامي بالنقد، فكثيرا ما اعلنت الحركة عن ادانتها للنظام "السعودي العميل"(١٣٣)، كما وطالبت الجهاد "بالثورة على الحكم السعودي خلال موسم الحج"(١٣٤).

حزب التحرير وأزمة الخليج

يعتبر حزب التحرير نفسه حزبا مبدئيا وليس حزبا واقعيا(١٣٥) وهذا يعني انه يلتزم بمبادئه الاساسية دون مراعاة للظروف الموضوعية المعطاة. ومن هذا المنطلق لم يخرج الحزب في تشخيصه للازمة الخليجية عن طريقته التقليدية في تفسير معظم الامور التي تهم الامة والعالم، ان لم يكن كل تلك الامور، ذلك التفسير الذي يتلخص

في ان المشاكل السياسية الموجودة في دول العالم انما هي انعكاس ونتيجة للصراع المستمر بين بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية على مناطق النفوذ، وذلك بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وخروج امريكا منتصرة وقوية واستعمارية من تلك الحرب وخروج بريطانيا ضعيفة منها.

كثيرا ما يحاول حزب التحرير تشخيص الازمات قبل وقوعها بفترة طويلة من خلال دراسته لمصالح القوى الاستعمارية المختلفة في المنطقة، وان كان هذا التشخيص يصيب احيانا ويخطىء احيانا اخرى. فبرأي الحزب ان امريكا اصطنعت ازمة الطاقة قبيل حرب اكتوبر ١٩٧٣ بين العرب واسرائيل لتسيطر على الخليج، كما توقع الحزب "ان امريكا تهيء لحريق في السعودية والخليج حيث اثار عملاء الغرب مسألة جعل بترول العرب سلاحا في المعركة ضد اسرائيل لتسهيل تدخل الغرب، وان محاولة امريكا احتلال منابع النفط ليس موجها للسعودية ولا لدويلات الخليج وانما هو موجه لانجلترا بالذات، فالتهديد الامريكي تهديد للانجليز وليس تهديدا لغيرهم"(١٣٦).

تطرق حزب التحرير في احيان قليلة الى الاسباب "الروحية" وراء الازمة الخليجية فاعلن في احد المرات ان الاحتلال العسكري للخليج وغيره انما جاء "لضرب الصحوة الاسلامية"(١٣٧)، الا ان الاسباب الاستراتيجية، السياسية والاقتصادية، هي التي تطرق لها حزب التحرير في معظم بياناته حول الازمة الخليجية.

فمن ناحية دخلت امريكا الى الخليج برأي حزب التحرير لكي تضمن دوام سيطرتها على منطقة الخليج، وبالتالي على منطقة الشرق الاوسط، ومن اجل ذلك جاءت بفكرة نظام الأمن الاقليمي، التي تسعى لتحقيقها بعد انتهاء ازمة الخليج(١٣٨). ومن ناحية اخرى فقد قامت "رأس الكفر امريكا ومعها حليفاتها الكافرات بريطانيا وفرنسا، ومن جرتهم خلفها من الدول الاخرى يعلنون الحرب على المسلمين في العراق، لا لاعادة آل الصباح الى حكم الكويت، ولا للمحافظة على آل سعود من هجوم عراقي، وانما لحفظ المصالح الامريكية الحيوية والاستراتيجية، بفرض الهيمنة الامريكية التامة على منطقة الخليج، والسيطرة على النفط فيها، والتحكم فيه انتاجا وتسويقا وتسعيرا لتبقى متفردة في رسم السياسة الدولية . . . لهذا فالحرب التي

اعلنتها امريكا على العراق هي حرب اعتداء كفار على مسلمين وعلى بلاد اسلامية لفرض تحقيق مصالح امريكا الكافرة على البلاد الاسلامية"(١٣٩).

وكأحد احزاب الاسلام السياسي في المنطقة، كان لا بد لحزب التحرير، اثناء تناوله لاسباب الازمة الخليجية ان يتطرق الى الكلام العام عن الصراع بين الكفر والاسلام، ومن ثم يعرج على تفسيره التقليدي في الحديث عن الصراع الانجليزي الامريكي في المنطقة.

فالنظام العراقي برئاسة صدام حسين برأي حزب التحرير هو نظام تابع للانجليز، والنظام الايراني سواء كان ذلك في زمن الخميني او خلفائه تابع للامريكان، ورأت بريطانيا في ازمة الخليج فرصة للتصدي للنفوذ الامريكي هناك "فدفعت بصدام حسين لاجتياح الكويت حلا لمشكلة العراق المالية ليمارس دوره القيادي في المنطقة العربية، وحلا لمشكلة الكويت التي أخذ نظام الحكم فيها يتضعضع"(١٤٠).

ان الكويت بلد يتبع للانجليز تاريخيا برأي حزب التحرير، الا ان الامريكان طمعوا بها واصبح ذلك ممكنا بعد الوهن الذي دب في الاتحاد السوفياتي . . . فرأت بريطانيا ان افضل طريقة للتصدي لذلك الطمع الامريكي هو ضم الكويت للعراق، ومن هنا طلبت بريطانيا من العراق احتلال الكويت(١٤١).

أما ما هو ظاهر للعيان من سير بريطانيا في ركب امريكا في التصدي للعراق فيفسره حزب التحرير بأنه ما هو الا تظاهر بريطاني بذلك عندما كشفت امريكا عن حقيقة نوايا بريطانيا، بينما حقيقة الأمر ان بريطانيا كانت تعمل على اشعال حرب واسعة في المنطقة ضد امريكا، يشارك فيها الى جانب العراق كل من اليمن والاردن وعمان(١٤٢).

وحتى بعد انتهاء الحرب وهزيمة العراق اصر حزب التحرير على ان افتعال الحرب كانت مؤامرة بريطانية ضد امريكا، فيعلن الحزب أنه "ومن هذا كله يتبين ان بريطانيا كانت وراء العراق في اجتياح الكويت، وأن صدام ما قام بذلك الا بترتيب منها، وبقيت مع صدام حتى آخر لحظة من هزيمته. غير انها أخطأت حساباتها، فلم

تكن تتوقع ان تكون ردة الفعل الامريكية بهذا الشكل وبهذا العنف. كما أخطأت في كل حساباتها التي رتبتها لاقامة حرب في المنطقة بواسطة عملائها، وبواسطة اسرائيل لتفسد على امريكا تحقيق هدفها"(١٤٣).

لقد استبعد حزب التحرير، ورغم الحشودات الامريكية والغربية في الجزيرة العربية، وقوع الحرب في كافة مراحل تطور الازمة قبل اندلاع المعارك، بعكس حركة حماس والاخوان المسلمين. فبعد ما يقارب الشهر من دخول القوات العراقية للكويت اعلن حزب التحرير استبعاده للحرب في الخليج، وكان لذلك اسبابه: فلا يعقل ان تقدم امريكا على حرب مثل حرب فيتنام في وقت تحاول فيه شفاء الشعب الامريكي من أخر اثار تلك الحرب، حيث قامت امريكا بعد الحرب الفيتنامية بمحاولة موضعة الصراع فلا يستخدم جيشها في الخارج، كما ان العراق كبير وليس مثل غرنادا او بنما يجتاح بنزهة من قبل المارينز، من ناحية اخرى قدر حزب التحرير ان دخول "العملاء" المسلمين الى جانب امريكا كابح للحرب وليس غطاء "شرعيا" لها(١٤٤).

لقد اعتبر حزب التحرير الحشودات والتهديدات العسكرية الامريكية بأنها "ايهام" للعالم فقط، كما اعتبر الحزب ان امريكا قد دعت لعقد لقاء بين بوش وغورباتشوف في العاصمة الفنلندية هلسنكي من أجل حل ازمة امريكا، وذلك "لاعتماد الحلول السياسية لازمة الخليج ولافساح المجال للمزيد من الحلول الدبلوماسية"(١٤٥). وبعد مضي وقت أخر واقتراب المعركة اصر حزب التحرير "على ان حرب الخليج لا زالت هي الاقل احتمالا حتى الساعة وان كانت لا زالت واردة"(١٤٦).

وبعدما اندلعت الحرب لم يطلب حزب التحرير من الفلسطينيين في الاراضي المحتلة شيئا، فهم حسب رأيه لا يملكون حولا ولا قوة ورد الفعل يجب ان يأتي من الخارج، كما انه لا يؤمن عادة بالتظاهرات والاضرابات والاعتصامات، ولم يطلب منهم الصوم او الصلاة من اجل نصرة العراق، ساعد على ذلك مركزيته الشديدة وكون قيادته في الخارج.

الا ان الحزب طالب المسلمين في الخارج بالقيام بردود فعل قوية، حيث أعلن : "يجب عليكم ايها المسلمون، ايها الضباط والجنود ان تتخذوا حيالها (المقصود امريكا)

وحيال حليفاتها من الدول الكافرة كبريطانيا وفرنسا جميع احكام الدول المحاربة فعلا، من استحلال دمائهم وأموالهم، وضرب جميع مصالحهم ومقاطعتهم وقطع جميع العلاقات السياسية والاقتصادية وغيرها معهم، ووجوب مقاتلتهم ودفعهم وافشال حربهم، وطردهم من منطقة الخليج ومن جميع البلاد الاسلامية . . . ويجب عليكم ايها المسلمون ان تدركوا ان امريكا وبريطانيا وفرنسا دول كافرة لا يجوز موالاتها ولا الاستعانة بها"(١٤٧).

وبعد توقف المعارك اعلن حزب التحرير ان امريكا عدوة حقيقية للاسلام والمسلمين جميعا، ولذلك اعلن الحزب انه يجب "ان توضع على راس قائمة اعداد الاسلام والمسلمين، وان تتخذ حيالها حالة العداء، وان يعمل المسلمون بكل ما اوتوا من قوة لقلع نفوذها ومصالحها، والحيلولة بينها وبين ان تبقى مهيمنة على منطقة العالم الاسلامي ومنه العربي . . ."(١٤٨). كما دعا الحزب المسلمين ان يساعدوا العراق "البلد المسلم" ضد امريكا "الدولة الكافرة"، فأمريكا رأس الكفر وعدوة الاسلام والمسلمين، حسب راي حزب التحرير(١٤٩).

كان العراق برأي حزب التحرير بلد واحد "يتصدى للكفر كله رغم وقوف الاقطار الاسلامية الاخرى بين محايد مكتوف ومعاد محالف للكفر"(١٥٠). وبالتالي فلا بد برأي الحزب من العمل على ايجاد وحدة اسلامية وذلك باعادة قيام الخلافة الاسلامية على منهاج النبوة، حيث سيجند ذلك كافة مقدرات المسلمين من اجل التصدي للاعداء، وسيكون "النصر الكامل للمسلمين محقق انشاء الله في الجولة التي تلي هذه والتي تكون بقيادة خليفة المسلمين"(١٥١).

الخليفة الاسلامي عندما يأتي سوف يحل كافة مشاكل المسلمين السابقة واللاحقة برأي حزب التحرير، فحرب الخليج برهنت ان المسلمين "كالايتام" لانهم بلا خليفة، كما استطاعت امريكا "الكافرة" وحلفاؤها تمزيق المسلمين لانهم بلا خليفة. ان دولة الخلافة هي الدرع الواقي من "اعتداء الكفار ومن خيانة عملاء الكفار"، ودولة الخلافة لا تعترف بالحدود ولا بالقوميات واقامتها فرض فرضه الله على المسلمين(١٥٢).

ومن اجل ذلك، وعلى الرغم من ان صدام حسين ليس هو الشخص المؤهل لكي

يصبح خليفة للمسلمين ولاقامة دولة الخلافة الاسلامية برأي التحريريين، الا ان الحزب قد ايد بقاء الجيش العراقي في الكويت لان ذلك يحقق هدف الحزب الرسمي في اقامة الدولة الاسلامية الواحدة.

ان كافة الانظمة العربية والاسلامية برأي حزب التحرير ليست اكثر من عملاء للكفار. فالبلدان الاسلامية تقسم الى "جمع المؤمنين بالاسلام واحكامه ودولته وهو السواد الاعظم من المسلمين، وجمع الحاملين للفكر الغربي الكافر اتباع الحركات القومية والوطنية والانسانية والاشتراكية، ومعهم الحكام والعملاء في هذه الدول العلمانية الكافرة"(١٥٣).

ومن هنا لم يعول حزب التحرير على اي من الأنظمة تلك الوقوف الى جانب العراق حتى ولا ايران التي راهن الآخرون عليها كثيرا. وحتى "حياد" ايران لم يكن مقبولا لدى انصار حزب التحرير حيث نشرت مجلة الوعي رسالة من أحد سكان صيدا الى علي خامنئي مرشد الثورة الايرانية يلومه فيها على حياد ايران(١٥٤).

حزب التحرير وما بعد الحرب

مع ان حزب التحرير لم يشكك في بياناته طيلة فترة الازمة الخليجية، في ان يتمكن الجيش العراقي من تحقيق انتصار كلي او جزئي الا ان الحزب ابدى تخوفه من حدوث هزيمة للعراق، وانه في حال حدوث تلك الهزيمة وعادت "امريكا ونجحت في نهاية الامر بتحطيم جيش العراق وفرض سيطرتها عليه - لا سمح الله - فانها ستفرض سيطرتها على سائر بلاد المسلمين وعلى سائر بلدان العالم، وستحكم المسلمين بنعلها، وستذلهم اكثر وأكثر، وستأخذ جميع خيراتهم، وستزداد غطرسة واستكبارا، وسيصبح الذين يصادقونها ويوالونها الآن احقر من العبيد في نظرها. وستكون سابقة دولية بتحطيم كل من يتمرد عليها، وهذا مستقبل اسود للمسلمين وللعالم"(١٥٥).

ويرى حزب التحرير ان امريكا عمدت الى اطالة عهد الازمة الخليجية قدر الامكان، فمن ناحية عملت الحرب على انقاذ شركات صنع الاسلحة الامريكية من

الافلاس(١٥٦)، ومن خلال الازمة ودور امريكا فيها بدى تفردها في التحكم بمصير العالم واضحا. فالرئيس الامريكي بوش برأي حزب التحرير "ليس متسرعا لانهاء الازمة، بل هو يعمل على اطالة امدها لان حلها يعني سحب القوات الامريكية من منطقة الخليج، وهو عازم على ابقائها في الخليج حتى تحقق الغرض الذي ارسلت الى الخليج لاجله، وهو فرض الهيمنة الامريكية التامة على منطقة الخليج، والتحكم بها وبنفطها ودولها"(١٥٧).

وحتى بعد انتهاء الحرب، وقيام المعارضة العراقية، العربية والكردية، في جنوب العراق وشماله، بمحاولة اسقاط نظام صدام حسين حرص حزب التحرير على البقاء على موقفه "التاريخي" في تفسير الامور بانها محصورة في الصراع الذي يجري بين بريطانيا وامريكا. فبالرغم من ان صدام حسين موال للانجليز حسب راي حزب التحرير فان ذلك لا يمنع الحزب من الحديث عما تفعله القوات البريطانية المشاركة في قوات التحالف في العراق. وعلى الرغم من ذلك ايضا فلقد تحدث الحزب عن ان امريكا لم تساعد المعارضة العراقية كما يجب لان المعارضة ميالة للانجليز(١٥٨). هكذا، صدام ميال للانجليز والمعارضين له كذلك!؟

لقد اوضح حزب التحرير ان امريكا اصبحت اللاعب الوحيد في المنطقة بعد حرب الخليج، واكد الحزب رفضه للتحركات الامريكية في الشرق الاوسط، وكذلك على وجوب عزل حكام المسلمين في البلاد الاسلامية والعربية ومنهم حكام العراق الذين "تسببوا فيها بزجهم العراق في الصراعات الدولية المتنافسة على السيطرة على الخليج ونفطه بتآمر مع بريطانيا، والذين اساؤا التصرف، ولم يحسنوا التقدير - لا قبل الحرب ولا اثناءها ولا بعدها - ولم يعملوا على تلافي الحرب، والحيلولة دون وقوعها . . . وبناء على ما تقدم، فواجب على الامة الاسلامية ان تعمل على عزل هؤلاء الحكام الذين يحكمونها وان تقيم مكانهم خليفة، يحكم بما انزل الله"(١٥٩).

خلاصة

مرة اخرى تغيب الايديولوجيا عن اتخاذ كثير من الاتجاهات الاسلامية لمواقفها تجاه ازمة الخليج او تجير، فعلى الرغم من ان كافة تلك الاتجاهات والحركات قد ادلت

بدلوها في حكم الشرع في الاستعانة بالقوات الاجنبية من قبل المسلمين، وتركز معظم النقاش حول من الابلغ والاسوأ احتلال العراق للكويت او استدعاء القوات الاجنبية، الا ان واقع المصلحة والمكان والعلاقة بالانظمة قد حكمت في النهاية الموقف المتخذ تجاه الازمة.

لقد حاول الاسلاميون مناقشة المسألة من باب الواقع الراهن لها وللبلدان ذات العلاقة خاصة السعودية والكويت والعراق، وكذلك من باب الواقع السياسي العالمي الراهن. وباستثناء المفكر الاسلامي منير شفيق الذي عالج القضية بمنظار تاريخي، محاولا "تطوير" او "تطويع" الشرع من اجل الهدف الاسلامي العام وهو الوحدة الاسلامية (قريبا من ذلك كان موقف حزب التحرير)، فان الاخرين عالجوها بصورة غلبت عليها البراغماتية والهدف التنظيمي والسياسي لهذا التنظيم او ذاك بغض النظر عن مدى تطابق ذلك الهدف مع الهدف الاسلامي العام او بعده عنه.

اوضح منير شفيق ان القول بأن الشرع لا يجيز الغزو والضم وتوسيع رقعة الدولة انما يعني ذلك ادانة للتاريخ الاسلامي كله قديما وحديثا، فكل من يناقش الموضوع "بانزاله على مبادىء الشرع باطلاق يقع في ورطة يظلم فيها تاريخنا وشرعنا كما قد يظلم مستقبلنا كذلك"(١٦٠).

وأوضح أيضا عدم جواز التعامل مع الواقع المفروض على الامة حاليا وكأنه واقع شرعي، وأكد انه يجب "ان نقر اننا نتعامل واوضاع غير شرعية اصلا تعاملا واقعيا واضطراريا لا تعاملا مبدئيا، والا اعطينا الشرعية لكل المخططات الاجرامية التي نفذها الاستعمار في بلادنا، واعطينا الشرعية للسياسات الاستعمارية الصليبية-الصهيونية العالمية الراهنة التي تكرس التجزئة وتقف في وجه كل وحده، بل في وجه كل تضامن وتعاون"(١٦١).

الا ان الغياب شبه الكامل للايديولوجيا والذي كرسه التفسير المتعارض في بعض الاحيان للازمة لا يعني غياب الهدف الاستراتيجي عند الحركات الاسلامية، ولا يعني كذلك تعارض المواقف التي اتخذتها تلك الحركات مع ذلك الهدف.

باختصار كانت مواقف الحركات الاسلامية من ازمة الخليج منسجمة مع اهدافها الاستراتيجية، فحزب التحرير الاسلامي يسعى اساسا الىالوحدة الاسلامية فكان ان ايد ضم الكويت للعراق. اما الجهاد الاسلامي الذي هدفه المركزي القضية الفلسطينية فقد عارض ذلك الاحتلال، في حين قام الاخوان والذين هدفهم الاساسي يكمن في عملية اسلمة المجتمع والمتمثل اساسا بالحفاظ على وجودهم وتنظيمهم وحرية عملهم فقد قاموا بمعارضة احتلال الكويت وتأييد العراق في تصديه لقوى التحالف.

لقد كان الجهاد ضد صدام وضد احتلال الكويت، بينما كان التحرير ضد صدام ومع احتلال الكويت في حين كان الاخوان نسبيا مع صدام وضد احتلال الكويت.

(٢) النظام العربي الجديد

قضيتان حدثتا في بداية التسعينات غيرتا وجه العالم والمنطقة، انتهاء الاتحاد السوفياتي الذي كرس قيادة امريكا للعالم وخلق بذلك نظاما عالميا جديدا، وحرب الخليج التي اعادت ترتيب المنطقة العربية بما يتلاءم بالطبع ومصالح النظام العالمي الجديد، فخلقت نظاما اقليميا جديدا كان وليدا للنظام العالمي الجديد ومكرسا له في نفس الوقت.

وباستثناء بعض التفاؤل عند بعض الفلسطينيين من امكانية خلق نوع من الهبوط في الاهمية الاستراتيجية لاسرائيل بالنسبة للولايات المتحدة(١٦٢)، كان الحديث لدى الافراد والتنظيمات يدور حول الجوانب السلبية لهذا النظام واثارة التدميرية على المنطقة العربية. بل من الملاحظ هنا ان التفاؤل لم يمس العالم العربي في ذاته، بمعنى ان احدا لم يتحدث عن ان الوضع العربي سيتحسن بل ان التغيير سيمس العلاقة الاسرائيلية-الامريكية فقط.

اما ما يتعلق بالوضع العربي، وبما يسمى الان بالنظام العربي، فقد تميز بعد انشاء النظام العالمي الجديد بصفتين، الاولى الانقسام والضعف الشديدين الذين اصاباه، والثانية تبعية البلدان العربية، ربما بدون استثناء اذا استثنينا بعض "المكابرة" الى الولايات المتحدة.

لقد اكد باحث اسلامي فلسطيني انه نتيجة لاحتلال صدام حسين للكويت "استغلت الولايات المتحدة الفرصة السانحة لفرض هيمنة امنية وسياسية مباشرة على منطقتي الخليج والشرق الاوسط، وخلق نظام اقليمي جديد قادر على الاستجابة السريعة لرغباتها ومصالحها"(١٦٣) وبناء على ذلك توقع الباحث ان المنطقة العربية والاسلامية ستقع لفترة طويلة تحت الهيمنة السياسية-الامنية الامريكية، وهي من اجل ذلك - اي امريكا - "تسعى وباستعجال لتشكيل توازن اقليمي جديد بترتيبات امنية جديدة للخليج العربي وبعملية سياسية سلمية ومفاوضات عربية - اسرائيلية للشرق الاوسط"(١٦٤).

وقالت حركة حماس ان احد اهم اساسات النظام العالمي الجديد هو "تكريس حالة الضعف والانقسام والتبعية في امتنا العربية والاسلامية"(١٦٥). من ناحيته توقع الباحث عادل مهدي انه "اذا استمر الخط الصاعد للصحوة الاسلامية واستمر الخط النازل للاستعمار والامبريالية، فاننا لا نرى من اثار للنظام الدولي الجديد على المنطقة سوى توقع المزيد من العدوان، كما نتوقع للمزيد من الشرائح التي كانت لا ترى الاسلام هاديا ومرشدا، ان تزداد انخراطا في المشروع الاسلامي"(١٦٦). اي انه برأي مهدي فان العنف الذي يستخدمه النظام الجديد ما هو الا تعبيرا عن انحساره وهبوطه ولجوئه الى المباشرة بعد ان فشل في الطرق الاستعمارية غير المباشرة.

اما حزب التحرير فهو من الجهات الفلسطينية القليلة التي ركزت على الدور الاوروبي وخاصة البريطاني في المنطقة، حيث كان احتلال صدام حسين للكويت جزءا من مخطط بريطاني لاعادة ترتيب النفوذ البريطاني في المنطقة، وكجزء من صراع بريطانيا "التقليدي" مع الولايات المتحدة. فاوضح الحزب ان بريطانيا عمدت "الى اعادة ترتيب اماكن تواجدها في البلدان العربية، ومنها منطقة الخليج، بعد ان لاحظت تشققا في بعضها، وتسربا لشيء من النفوذ الامريكي اليها، ولتجعل منها تكتلات اقوى، اي اعادة الحياة لبيت كان يبدو مهجورا، واعادة ترتيب ذلك البيت. فدفعت بصدام حسين لاجتياح الكويت حلا لمشكلة العراق المالية، ليمارس دوره القيادي في المنطقة العربية"(١٦٧).

لقد كان النظام العالمي الجديد آخر "مسمار في نعش" ما كان يسمى بالتضامن

العربي الهزيل، فاستكمل العرب انقساماتهم وتمحورهم الذي كان قد بدأ في الثمانينات، حيث تشكلت المجالس الاقليمية مثل مجلس التعاون الخليجي بقيادة السعودية، واتحاد بلدان المغرب العربي الذي حطمت هيكله الحركة الاصولية الاسلامية في تلك الاقطار خاصة في الجزائر وتونس، ومجلس التعاون العربي الذي ضم كل من مصر والعراق والاردن واليمن فجاءت حرب الخليج لتضع حدا لتنافس خفي بين مصر والعراق لقيادة ذلك المجلس.

ورغم ان الضعف العربي العام قد اعطى دفعة للحركة الاسلامية العربية والفلسطينية، الا ان تلك الحركة، والاسلاميين عموما لم يغفلوا عن التفكك الذي اصاب العرب والمسلمين بعد ان بدأ النظام العالمي الجديد، وربما كان ذلك الدافع الاساسي لحرصهم على ايجاد حل "عربي او اسلامي" لمسألة احتلال العراق للكويت في حينه.

فمن ناحيته اكد الباحث الفلسطيني خليل الشقاقي في دراسته حول اوضاع ما بعد حرب الخليج ان الاحتلال العراقي للكويت "لم يظهر عجز الدبلوماسية العربية فقط، وانما انهى اية ادعاءات ساذجة او بريئة حول وجود امن عربي جماعي. كذلك فان اية طموحات عربية لبناء قاعدة صناعية علمية ذات امكانات عسكرية قد اصيبت بتراجع واضح"(١٦٨)، كما انهت حرب الخليج وما سبقها من تحالفات وجود معسكرات عربية تنقسم ما بين مؤيد للولايات المتحدة ومعارض لها، وما بين "الراديكاليين" و"المعتدلين"، او ما بين دول "المواجهة والصمود" والدول الاخرى. فبعد ان وقفت سوريا الى جانب امريكا وحلفائها ضد العراق في حرب الخليج، وبعد ان تفاقمت ازمة الديمقراطية ونظام الحكم "والاصولية" في الجزائر، ثم بعد ان تفاقمت مشاكل ليبيا على اثر اتهام مواطنيها بتفجير طائرة البان ام الامريكية فوق سكوتلندا وحصارها الجوي وتراجعها المدهش امام الضغوط الغربية، وأخيرا بعد المشاكل التي حلت بمنظمة التحرير الفلسطينية بعد الحرب الخليجية وحصارها العربي والغربي وموقفها الذي اخذ بالتراجع داخليا ايضا لصالح الحركة الاسلامية، فلم يعد هناك اي مجال للحديث عن جبهة الصمود والتصدي التي كانت تقام وتقعد من حين لآخر.

أما حركة الجهاد الاسلامي فلم تتحدث فقط عن انهيار التضامن العربي بل وعن انهيار التضامن الاسلامي أيضا، والذي تجلى في فشل مؤتمر القمة الاسلامي الأخير في

دكار. فبرأي الجهاد، والتي كما سبق واشرنا تعتمد على ان القضية الفلسطينية هي القضية المركزية للمسلمين جميعا، او هكذا يفترض ان تكون، كان اسقاط فلسطين في مؤتمر دكار اسقاط للتضامن الاسلامي نفسه.

لقد تجمع المسلمون من اجل فلسطين، برأي الجهاد الاسلامي، وتفرقوا عندما اختلفوا على فلسطين، فأكدت الحركة انه "اذا كانت فلسطين وبيت المقدس هما المحفز التاريخي الاساس وراء عقد اول قمة اسلامية وقيام منظمة المؤتمر الاسلامي عقب حريق الاقصى الشريف في صيف ١٩٦٨، فان اعلان دكار جاء نهاية طريق لاسطورة التضامن الاسلامي بالوحدة على فلسطين والجهاد في سبيلها"(١٦٩).

ولكن تفرق الاسلاميين حول فلسطين لم يكن نتيجة مباشرة للنظام العالمي الجديد برأي الجهاد الاسلامي، بل كان بسبب الخط السياسي لمنظمة التحرير الفلسطينية. فأكدت الحركة ان منظمة التحرير خسرت عواطف الاسلاميين عندما اختارت التسوية، وانها - اي المنظمة - "باشتراكها في التسوية اعطت المبرر لتهاوي الوضع العربي والاسلامي الرسمي باتجاه المصالحة مع العدو الصهيوني والتنكر لمبادىء واسس الخطاب الصهيوني في التعامل مع المشروع الصهيوني"(١٧٠).

لقد تغيرت الخريطة السياسية العربية كليا خلال السنتين الماضيتين، فالمغرب العربي انكفأ على مشاكله الداخلية، الجزائر وتونس مع الاسلاميين، وليبيا مع "العالم". مصر ازداد دورها كعميل ثانوي (Sub agent) في تسويق "البضاعة" الامريكية عربيا وفلسطينيا، وهي لا تكتفي بابقاء الخط الرسمي مع منظمة التحرير مفتوحا بل تعمل جاهدة على خلق "لوبي" لها في الاراضي الفلسطينية المحتلة، واظنها نجحت في ذلك لدرجة انها اتهمت من قبل البعض بالتدخل في القوائم العربية لانتخابات الكنيست الاسرائيلي، هذا في افريقيا، فماذا عن آسيا العربية؟

ازداد التقارب السوري من امريكا بعد اشتراكها في قوات التحالف، كما تقاربت كثيرا مع مصر حيث حاولت الدولتان ايجاد دور لهما في الخليج بعد الحرب، الا ان ذلك الذي تم الاتفاق عليه في دمشق بين وزراء خارجية مجلس التعاون الخليجي ومصر وسوريا قد تم التراجع عنه خليجيا، بعد ان رأت امريكا ومن خلالها رأي حكام

الخليج ان الاتفاق مع امريكا وبريطانيا وفرنسا اكثر جدوي واكثر "حضارية" من الاتفاق مع مصر وسوريا، كما ان ذلك جاء ربما ارضاء لايران التي لا ترى ضرورة ايجاد قوة عربية مقابلة لها في الخليج. من ناحية اخرى وبعيدا عما تقوله وسائل الاعلام فان اشتراك سوريا في العملية السلمية مع الإسرائيليين، اسقطت بعض المقولات التقليدية التي دأب على تكرارها السوريون مثل مسألة التوازن الاستراتيجي مع "العدو الاسرائيلي".

بالنسبة للاردن فقد خرج من حرب الخليج معزولا عربيا وخاصة خليجيا، ودخل في صراع مكشوف مع العربية السعودية حتى في امور تبدو غير هامة مثل مسألة ترميم قبة الصخرة في القدس. كما تحسنت علاقة الاردن بمنظمة التحرير الفلسطينية، اولا كشريكته في العزلة بعد الحرب وثانيا استعدادا لاخذ دور منتظر في حل القضية الفلسطينية بعد اشتراكه مع المنظمة في العملية السلمية الأخيرة ضمن وفد مشترك ترعاه الاردن، وثالثا لعدم وجود بدائل امام منظمة التحرير. الا ان سياسة شد الحبل القائمة بين الاردن ومنظمة التحرير قائمة اساسا لاسباب عملية وبراغماتية ليس من السهل ان تصمد امام متغيرات جدية قد تحدث.

اما من الناحية الداخلية التي ازداد اهتمام الاردن بها بعد مشاكله مع دول الخليج، فقد انكفأ الى تجربته الديمقراطية لعله يجد فيها حلولا لبعض مشاكله الداخلية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، "ولتسوقه" غربيا ولكنها تجربة ما زالت حتى الان تخلق تساؤلات اكثر مما تعطي اجابات.

السعودية، ما زالت زمبرك المنطقة، تفعل بنقودها احيانا ما لم يستطع الآخرون عمله بجيوشهم، وتراجع الى اللحظة الأخيرة الخط الذي كانت تعتبره السعودية خطا لا يجوز تجاوزه دينيا وقوميا في السير مع المخططات الامريكية في المنطقة، واصبحت جاهزة في كل وقت لما هو مطلوب منها امريكيا او ما قد يصبح مطلوبا.

لم يبق من العرب بعد الذين تحدثنا عنهم غير السودان واليمن والعراق والصومال. السودان راح يعالج جوعه وحربه الاهلية بتطبيق الشريعة الاسلامية، واليمن يعالجهما بتجربته الوحدوية الديمقراطية المتعثرة نتيجة للقبلية والاصولية والتآمر

الخارجي. اما العراق والصومال فيكفي النظر الى شاشات التلفزيون لمعرفة الوضع الذي وصلا اليه.

وأخيراً وليس آخرا يبقى الفلسطينيون، فالقضية الفلسطينية التي شكلت لعشرات السنين مقياسا لوطنية الانظمة العربية ومصداقيتها وشرعيتها، تراجعت بسرعة هائلة في ظل النظام الدولي الجديد، واصبح مقبولا عربيا واسلاميا ان تصوت تلك الدول (الخليجية مثلا) لصالح اسرائيل في هيئة الامم ضد الرغبة الفلسطينية، وتراجعت اهمية منظمة التحرير الفلسطينية عربيا وعالميا والى حد ما فلسطينيا، على اثر التراجعات السياسية بعد حرب الخليج وكذلك الازمة الاقتصادية وصعود التيار الاسلامي كمتحد رئيسي للمنظمة.

مما تقدم يلاحظ أن النظام العربي الرسمي الذي لم يهادن الشيوعية والسوفيات في يوم من الايام، وقف مشدوها امام ما جرى في الاتحاد السوفياتي ولم يستطع ان يتكيف مع المتغيرات الدولية. لم يكن هذا النظام مستعدا للمرحلة التي عمل من اجلها باخلاص سنوات طوال وهي مرحلة انهيار المعسكر الاشتراكي، ثم جاءت حرب الخليج لتعلن رسميا موت النظام العربي. وكما عبر احد الكتاب الاسلاميين فانه يبدو ان اتفاقية سايكس بيكو لم تكن كافية لشطب التضامن العربي والاسلامي نهائيا، مما سمح ببعض التفلتات كما حصل في حرب تشرين واستخدام سلاح النفط فكانت حرب الخليج لتكون "سايكس بيكو رقم ٢" وتقضي نهائيا على اي مجال لايجاد نظام عربي في المستقبل القريب(١٧١).

(أ) الاسلاميون الفلسطينيون والتجربة الاسلامية العربية في النظام الجديد

شهدت مختلف ارجاء العالم العربي تصاعدا في الصحوة الاسلامية، واتخذ ذلك شكلا حادا وعنيفا في بعض الاحيان في عدة مناطق. لقد بدت الامور وكأنه كلما طرأ تراجع على الوضع العربي العام كلما تحسن وضع الحركة الاسلامية فيها. ان ذلك لا يعني بالضرورة ان وضع الحركة الاسلامية يسير دائما باتجاه معاكس للوضع العربي العام، بل قد يعني ان تلك الحركة تستفيد غالبا من الوضع الذي تجد فيه "الطبقات" العربية

الحاكمة نفسها فيه، وهذا يدل عل الطابع الاحتجاجي الذي تحمله الحركة الاسلامية في كثير من الاقطار العربية، بعكس ما كانت عليه قبل سنوات.

لقد نجحت الحركة الاسلامية العربية غالبا في ان تظهر نفسها وكأنها خارج التراجع العام الذي يعيشه العالم العربي، وانها ليست مسؤولة عن مشاكله بأي شكل من الاشكال، وان تبدو وكأنها الحل فقط، مع ان ذلك يمكن ان يكون مسألة قابلة للجدل. فهي - في بعض المناطق على الأقل - لا يمكن ان تكون الحل لانها جزء من المشكلة، فعلى سبيل المثال لا يمكن لحركة الجهاد الاسلامي المصرية ان تكون حلا لمشكلة الطائفية في مصر لانها هي جزء منها، ومع ذلك نجد انه في هذه الحالة تتقدم حركة اسلامية اخرى - الاخوان المسلمون في هذه الحالة - لتطرح نفسها على انها تملك الحل لذلك.

ما زالت عملية الاسلمة في العالم العربي تسير بخطى حثيثة، وتتعثر في بعض الاحيان بمقاومة الفئات الحاكمة مدعومة احيانا بمؤيديها الخارجيين والداخليين وأحيانا اخرى بالقوى العلمانية المعارضة المبعثرة في معظم الاحيان. لقد تقدم الاسلاميون في مصر والجزائر وتونس والسودان والاردن بشكل ملحوظ، وربما يتقدمون في بلدان اخرى بشكل لا يصطحبه الضجيج.

ففي مصر، تبقى حركة الاخوان المسلمين هناك، هي الحركة الام لجميع الحركات الاسلامية في المنطقة، وهي المفهم الايديولوجي الذي يؤخذ رأيه بالحسبان عند الحركات الاسلامية في الاقطار الاخرى. والمثير للاهتمام في الحركة الاسلامية المصرية ان حركة الاخوان المسلمين هناك هي الأكثر "اعتدالا" بين الحركات الاسلامية الاخرى، وان الحركات الاسلامية التي تكونت حديثا مثل حركة الجهاد هي التي تقود حركة العنف ضد الدولة في الغالب، وضد الاقليات ايضا كشكل من اشكال تحدي الدولة.

لقد ازداد العنف على خلفية دينية في مصر في السنوات الأخيرة، راح ضحيتها بعض الاقباط في الصعيد، كما راح ضحيتها الكاتب العلماني فرج فوده في القاهرة،

وجرت وتجري صدامات عنيفة بين المسلحين الاسلاميين اعضاء حركة الجهاد في الغالب وبين قوات الامن.

الصعيد مكان خصب للتطرف، فهو مكان ثنائي الانتماء دينيا، تنمو فيه العصبية القبلية والاخذ بالثأر تاريخيا وحمل السلاح فيه امر طبيعي، ومما زاد الوضع تعقيدا تدني الوضع الاقتصادي الى حد بعيد حيث لم تهتم الدولة ببناء مشاريع اقتصادية في الجنوب كما فعلت في منطقة الدلتا، ومن هنا فكل الظروف التي يمكن ان ينمو فيها التطرف بشكله العنيف موجودة.

ان ضرب الاقباط في الصعيد المصري ليس الا شكلا من اشكال تحدي الدولة التي لا تستطيع الحركة الاسلامية المصرية مواجهتها مباشرة، ان ذلك استفزاز "عن بعد" للدولة، فان هي واجهتهم بعنف لحماية مواطنيها سيكون امامهم مجال لدعاية اعلامية واسعة بان الدولة "العلمانية" تضرب المسلمين لصالح "الكفار"، وان هي تركتهم فان ذلك دليل على ضعف الدولة وعلى سيطرتهم على تلك المناطق، وفي كلتا الحالتين فان الدولة في ورطة.

الا ان الوضع في مصر ما زال بشكل عام تحت سيطرة الحكومة، نظرا لقوتها من ناحية ولقوة الجانب العلماني في المجتمع المصري، ومع ذلك فان مواقع الاسلاميين تتقدم ببطء ولكن بثقة، حيث تضرب الدولة الاسلاميين المتطرفين (الجهاد) فيتقدم الاخوان المسلمون بهدوء، نفس الايديولوجيا ولكن بشكل مختلف.

اما تجربة الحركة الاسلامية في تونس، فعلى الرغم انها حظيت باهتمام كبير من قبل الحركات الاسلامية في الخارج، خاصة بعد المشاكل العنيفة التي حدثت مع نظام الحكم والاعتقالات الكبيرة في صفوف حركة النهضة الاسلامية، فلم تحظ بنفس الاهتمام من قبل الحركة الاسلامية الفلسطينية، وربما يعود ذلك الى عدم تغطية وسائل الاعلام التي تصل الى الاراضي المحتلة لمشاكل الحركة الاسلامية التونسية.

لقد ظهرت بعض المقابلات في المجلات الاسلامية مع الزعيم الاسلامي التونسي راشد الغنوشي، صاحب الدعوة الى الديمقراطية ربما بشكل قريب من التصور الغربي

لها، كما ورد ذكر تونس احيانا عند الحديث عن انجازات الاسلاميين في العالم. فعند الحديث عن تلك الانجازات ذكرت مجلة "الامة" التي تعبر عادة عن وجهة نظر الجهاد الاسلامي في فلسطين انه: "اسست الجمهورية الاسلامية في ايران، ونهضت قوى الاسلام في مصر ولبنان وتونس وفلسطين، في سنوات قليلة كان الاسلام ينتصر في السودان ويوشك على الانتصار في الجزائر"(١٧٢). وقد اعلنت حركة حماس بدورها عن اعجابها بنجاحات الاسلاميين في تونس وغيرها من البلدان فقالت مخاطبة الاسلاميين في العالم : "لقد اثبتم كما اثبتت انتفاضة شعبنا المباركة، ان خياركم الأول والأخير هو العيش بحرية تحت راية الاسلام . . . اثبتم ذلك في الاردن وتونس والسودان واليمن والجزائر وافغانستان"(١٧٣). من ناحية اخرى فعند ادراك حماس لابتداء التعثر في مسيرة وصول الاسلاميين الى السلطة في كل من الجزائر وتونس ناشدت الحركة "حكومتي الجزائر وتونس والقوى الشعبية والاسلامية تفويت الفرصة على الاعداء الذين يدفعون باتجاه اندلاع حرب اهلية فيهما"(١٧٤).

أما في الاردن فان نتائج الانتخابات البرلمانية على اثر ما اطلق عليه التجربة الديمقراطية هناك، قد اتت بالاسلاميين ممثلين بحركة الاخوان المسلمين وبعض الاسلاميين المستقلين ليكونوا اكبر كتلة في البرلمان الاردني. صحيح ان التجربة الديمقراطية ما زالت جديدة، وصحيح ان سلطة البرلمان ما زالت محدودة وتستطيع الارادة الملكية التحكم بها كما تشاء، وصحيح ان قوة التيار الاسلامي في فرض مواقفه السياسية (الاشتراك في العملية السلمية مثلا) لم تكن بمستوى قوته في فرض سيطرته "الاخلاقية" على الشارع، الا ان نجاح الاسلاميين بهذه النسبة كان ملفتا للنظر، وداعما للحركة الاسلامية الفلسطينية التي هي ليست فقط على صلة تاريخية بالحركة الاسلامية الاردنية بل وعلى صلة يومية بها. لقد كان الاسلاميون الفلسطينيون، وخاصة حركة الاخوان المسلمين يعلنون نتائج الانتخابات التي تجري في المؤسسات الاردنية عندما يكون الفوز حليف الاسلاميين الاردنيين ويهنئون اخوتهم في الاردن في الصحف، ويستخدمون نجاحات الاسلاميين الاردنيين اثناء دعايتهم الانتخابية في المؤسسات الفلسطينية.

الا ان الحركتين الاسلاميتين الفلسطينتيين الاخرتين، حركة الجهاد الاسلامي وحزب التحرير لم تكونا بنفس الفرحة التي كانت عند الاخوان المسلمين تجاه

الحركة الاسلامية في الاردن وانجازاتها. فانتقد حزب التحرير تصرفات الحركة الاسلامية الاردنية (الاخوان المسلمين) على قربهم من النظام او ضعفهم تجاهه، خاصة فيما يتعلق باشتراكهم في الحكم حيث اصدر الحزب كراسا خاصا حول رأي الدين في الاشتراك في حكومة ليس على اساس الشريعة الاسلامية واعلن عدم جواز ذلك. اما حركة الجهاد فقد استمرت في توجيه النقد للحكم الاردني واعلنت مثلا باستغراب عن زيارة وفد يهودي امريكي الى كل من الاردن والسعودية وتجاهل وسائل الاعلام الاردنية لتلك الزيارة(١٧٥)، كما اعلنت ان اسرائيل حاولت الاتفاق مع الاردن على حكم ذاتي للفلسطينيين وليس مع الفلسطينيين انفسهم(١٧٦).

وتحظى تجربة الحركة الاسلامية في السودان، وبالتحديد تجربة الجبهة القومية الاسلامية بزعامة احمد حسن الترابي باهتمام الحركة الاسلامية الفلسطينية، ويجري الحديث باعجاب عن "الانجازات" الاقتصادية التي تجري في السودان حاليا بزعامة الاسلاميين، وكذلك عن "الانجازات" العسكرية ضد حركة قرنق في الجنوب. لقد تحدث احد الكتاب الاسلاميين عن المظاهر الاجتماعية والسياسية الجديدة في السودان والتي كما قلنا تحظى باهتمام واعجاب الاسلاميين العرب والفلسطينيين، فبالاضافة الى "ضبط المظهر العام في الشارع والخدمة المدنية" جرى الحديث عن القوى السياسية للقيادة الاسلامية السودانية حيث وعلى حد تعبيره "يصمم قادة العهد الجديد في السودان على ادارة البلاد بكثير من الحزم وتثبيت هيبة السلطة وبسط قدرتها وقوتها. وفي هذا المجال تم تطهير القوات المسلحة وقوات الشرطة من العناصر المعادية للتوجه الاسلامي"(١٧٧).

لقد اعلنت الحكومة السودانية اعتزامها المضي في تطبيق الشريعة الاسلامية في كل الاراضي السودانية رغم ما يسببه ذلك من مشاكل، واعلنت الحكومة السودانية ايضا عن مواصفات لزي النساء وسلوكهن في السودان، وعن نيتها في تكوين لجان في شوارع الخرطوم ومكاتبها ومدارسها تشرف على التزام المجتمع قواعد السلوك الاسلامي وتحديد مواصفات للزي النسائي في البلاد. وصرح احد المسؤولين في الخرطوم في كلمة بثها التلفاز السوداني انه لا بد من منع تعطر النساء خارج دورهن، بل وربما منعهن من ارتداء الثوب السوداني الشبيه بالساري الهندي. واضاف "يجب ان ينم مظهرنا عن عقيدتنا". وكانت صحيفة القوات المسلحة الحكومية ذكرت مؤخرا ان

الحكومة السودانية تنوي فرض قيود على توظيف النساء في الفنادق والمتاجر ومحلات تصفيف الشعر. وابلغ ذلك المسؤول الصحيفة نفسها ان الخطة التي ستطبق لا تتوقف عند الحجاب وحده وانما عند كل ما من شأنه ان يقود المجتمع الى طريق الحق(١٧٨).

وعبر حزب التحرير عن تعاطفه مع الحكم الاسلامي في السودان فنشر خبرا عن الضغط "الصليبي" على السودان، حيث قررت دول المجموعة الاوروبية وفنلندا والدنمارك وهولندا والسويد وامريكا وحتى البنك الدولي تخفيض ما يقدمونه للسودان الى حدود الربع(١٧٩). اما حركة حماس فقد قامت بخطوة تنم عن تقديرها العميق للتجربة السودانية، فقام مكتب الحركة في العاصمة السودانية بتكريم قدامى المحاربين السودانيين في حرب ١٩٤٨ على اعتبار ان ذلك بداية لتكريم المحاربين المسلمين القدماء في تلك الحرب(١٨٠). كذلك استنكرت حماس في بيان اصدره المكتب الاعلامي الاعتداء الذي وقع على الدكتور حسن الترابي في كندا بتاريخ ١٩٩٢/٥/٢٦ ووصفته بأنه احد ابرز قادة ورواد الحركة الاسلامية في العالم(١٨١).

الا ان تجربة الحركة الاسلامية في السودان من حيث وصولها الى الحكم عن طريق انقلاب عسكري على حكم جاء نتيجة انتخابات ديمقراطية، قد انعكس على النقاش الذي دار حول تجربة الحركة الاسلامية في الجزائر وموقفها من العملية الديمقراطية. لقد استخدمت التجربة السودانية للبرهنة على ان الحركة الاسلامية "لم تتصالح" مع الديمقراطية الى النهاية، بل هي احدى وسائلها للوصول الى السلطة ان كان ذلك ممكنا، وبعد ذلك فستتنكر للديمقراطية التي اتت بها الى الحكم.

رغم كل الذي ورد عن مدى اهتمام الاسلاميين الفلسطينيين بمتابعة وضع الاسلاميين ونشاطهم في العالم العربي خاصة وفي العالم عامة، تبقى تجربة الحركة الاسلامية في الجزائر هي الرائدة في هذا المجال من حيث اهميتها بالنسبة للحركة الاسلامية العربية والعالمية واهميتها للغرب، ومن حيث التغيرات الدراماتيكية التي حدثت اثناء سير العملية الديمقراطية في الجزائر واحباط تلك العملية فيما بعد.

تهتم الحركة الاسلامية العالمية بالجزائر منذ وقت ليس بالقصير، فالجزائر

جادة في قبولها بالنهج الديمقراطي، ساعد على ذلك بعض التصريحات التي لا تنم عن ان الديمقراطية ستبقى معتمدة وانها انما طريقة للحصول على الحكم فقط، وهذا ما اكده احد الاسلاميين المتعاطفين مع جبهة الانقاذ حين قال : "ورأى اخواننا في الجبهة (الانقاذ) ان سلوك الطريق الديمقراطي يوصلهم الى الحكم ولذا دخلوا الانتخابات البلدية ونجحوا فيها نجاحا ساحقا"(١٨٣). ان ذلك ادى ببعض الاسلاميين انفسهم الى توجيه النقد لبعض تصريحات قادة جبهة الانقاذ، حيث صرح الشيخ عبد الله جاب رئيس حركة النهضة في الجزائر والتي تعتبر ثالث اكبر تجمع اسلامي هناك بعد جبهة الانقاذ وحركة حماس ان من اسباب الازمة في الجزائر "الخطاب السياسي المتطرف للجبهة الاسلامية للانقاذ منذ ظهورها الى ازمة جوان ١٩٩١"(١٨٤).

ومما اعطى بعض المؤشرات على عدم جدية جبهة الانقاذ الاسلامية في انتهاج الديمقراطية، ما ذكرناه عن انقلاب الحركة الاسلامية السودانية على حكومة المهدي التي اتت بطريقة ديمقراطية، دون ان تقوم حركة اسلامية واحدة بالتحفظ على ذلك. كذلك تعاملت الحركة الاسلامية واطرافها العربية مع الجهات الاخرى في الدولة ليس كجهات وطنية منافسة بل كجهات "عميلة" احيانا، وكيف ستسمح هذه الحركة للجهات "العميلة" بالعودة الى السلطة ديمقراطيا فيما لو تسلمت هي الحكم. لقد اعتبر مصطفى مشهور احد القادة التاريخيين للاخوان المسلمين في مصر جبهة التحرير الوطني الجزائرية، ذات التاريخ الوطني الذي يشهد له الجميع بغض النظر عما وصلت اليه الان، بانها "عميلة" حيث قال : "اننا نأمل من الشعب الجزائري المسلم ان يكون قدوة لغيره من الشعوب الاسلامية في الصبر والصمود مهما تعرض له من اعنات او تضييق، والا يفرط في هذا التوجه الاسلامي، ولعله اخذ درسا بعد ان قدم مليون شهيد او اكثر في سبيل تحرير ارضه من الاحتلال الفرنسي ثم قطفت ثمار هذا الجهاد عناصر عميلة وحكمت الجزائر بالاشتراكية والتي ثبت فشلها بل وانيهارها ولم تجلب الا الضياع"(١٨٥).

ان الكثير من الذي يجري في صفوف الحركة الاسلامية يصب بشكل او بآخر في صيغة ان الاسلام والديمقراطية شيئان لا يلتقيان. ويكون ذلك عادة اما بسلوك معين او بتصريحات او حتى بالتنظير لذلك صراحة حيث لا يبدو ان هناك اجماعا اسلاميا حول مسألة الديمقراطية.

فبالاضافة الى ما جرى في السودان وبعض تصريحات القادة الاسلاميين في الجزائر والاحداث في مصر وغيرها يبدو ان الحركة الاسلامية في اليمن، والتي تتهمها المعارضة بأنها وراء الاغتيالات التي تتم في صفوف الحزب الاشتراكي اليمني هي ايضا لها موقف معين من مسألة الديمقراطية، ففي تصريح لجريدة "الشرق الاوسط" السعودية الصادرة في جدة قال الشيخ عبد الله الاحمر رئيس التجمع الاسلامي في اليمن، ان تجمعه المؤلف من زعماء القبائل النافذة والقوية سيواصل العمل على تطبيق الشريعة الاسلامية وتابع ان "الشورى هي الديمقراطية"(١٨٦).

اما حزب التحرير الاسلامي فقد كان الاوضح والأكثر صراحة في موقفه من مسألة الديمقراطية وفي معارضته لها، فأعلن ان الديمقراطية ما هي الا فكرة وضعها الغرب من اجل الغزو الثقافي للبلاد الاسلامية، وهي "بما تعنيه من حكم الشعب للشعب ومن الشعب انما تتعارض مع فكرة الاسلام في تطبيق حكم الله فهي من صنع البشر والنظام الديمقراطي هو نظام كفر وهي اصلا فكرة خيالية غير قابلة للتطبيق"(١٨٧).

ولكن كيف تابع الاسلاميون الفلسطينيون مسألة الجزائر. فبعد ظهور نتائج الانتخابات في الجولة الأولى عمت الفرحة اوساط الاسلاميين الفلسطينيين، فعبرت حركة حماس في اكثر من بيان لها عن رضاها لما يجري في الجزائر، كما وجه المكتب الاعلامي للحركة رسالة الى جبهة الانقاذ الاسلامية هنأ فيها الجزائريين واعتبر ذلك "الفوز الكبير الذي هو فوز لفلسطين الجهاد كما هو فوز لجزائر الجهاد"(١٨٨). كما اعتبرت صحيفة "اللواء" الاردنية (١٩٩١/١٢/٣٠) وهي صحيفة الاخوان مقربة من المسلمين الاردنيين ذوي العلاقة الوطيدة بحركة حماس الفلسطينية، ان نتيجة انتخابات الجزائر هي "رد حاسم على الحلول السلمية في فلسطين . . . وان النجاح اثبت ان العقائد العلمانية المستوردة فشلت"(١٨٩). وبعد الغاء الجولة الثانية من الانتخابات، وعلى اثر تسلم بوضياف للسلطة اعتبر انصار حماس ان الذي جرى هو مؤامرة غربية، خاصة فرنسية، ضد الاسلام. وأعلنت بعض الكتل الاسلامية في الاراضي المحتلة بعد اغتيال الرئيس بوضياف ان هذا هو جزاء "المتعاونين مع الاستعمار".

أما بالنسبة لحركة الجهاد الاسلامي فقد اعتبرت مجلة "الامة" ان ما جرى في

الجزائر من وقف للانتخابات واستيلاء الجيش على السلطة ما هو الا "توليفة ضد الاسلام"، ورغم ان جبهة الانقاذ حاولت على رأي كاتب المقال طمأنة الآخرين بفتح حوار مع رئاسة الجمهورية وقيادة جبهة التحرير، كما اصدر حشاني وهو الذي اصبح الرجل الأول في الجبهة بعد اعتقال كل من عباس مدني وبلحاج اوامره الى اعضاء الجبهة بحلق اللحى وتجنب الصدامات مع الجيش، الا ان الذي حصل حسب رأي الكاتب كان ضربة استباقية لمنع قيام جمهورية اسلامية في الجزائر ووصف الرئيس محمد بوضياف عند قدومه لتسلم السلطة بأنه "رئيس من الارشيف" جلبه الغرب(١٩٠).

وفيما يتعلق بموقف حزب التحرير، فقد استنكر الحزب بشدة ما جرى في الجزائر من احداث اعتبرها موجهة ضد الاسلام ضمن حملة "للحيلولة دون وصول الاسلام الى الحكم تنفيذا لمؤامرة الدول الغربية الكافرة"(١٩١)، وفسر الحزب كعادته ما جرى بأنه وقع على خلفية الصراع الاوروبي الامريكي "حيث تريد امريكا الخلخلة في الجزائر نكاية باوروبا"(١٩٢).

كما وجه الحزب نصائحه الى جبهة الانقاذ الاسلامية الجزائرية في كيفية التصرف اثناء الازمة، مظهرا حرصه على مستقبل العمل الاسلامي في الجزائر من ناحية، ومظهرا "استاذيته" من ناحية اخرى. وكانت نصائحه بشكل مقتضب وان كانت واضحة وجاء فيها "لا تصطدموا بالجيش حتى لو اصطدم معكم . . . ولا تفكروا بالتحول عن العلنية الى السرية . . . ولا تتراجعوا عن المواجهة الفكرية الصريحة القوية . . . وعليكم ان تعلموا ان أخذ تأييد الناس لا يكفي لاخذ السلطة . . . وعليكم ان ترتقوا من العمل الجبهوي الى العمل الحزبي المنضبط . . ."(١٩٣). واضح من هذا الكلام مدى الاهمية التي يعلقها الحزب على الجيش من اجل كسب السلطة.

ان الازمة الجزائرية ما زالت تتفاعل، والاسلاميون الفلسطينيون مع بقية الفئات السياسية الاخرى تتابع باهتمام ما يجري هناك، انها تجربة يتقرر على اثرها اشياء هامة لا تتعلق فقط بمستقبل الجزائر، بل بمستقبل العمل الاسلامي في المنطقة وبعلاقة الحركة الاسلامية بالديمقراطية ليس فقط نظريا بل وفي الواقع ايضا.

(ب) الاسلاميون الفلسطينيون والعالم الاسلامي مع بداية النظام العالمي الجديد

عندما يتم الحديث عن العالم الاسلامي فان المقصود عالم كبير جدا ومتناقض جدا. فعدد المسلمين في العالم حوالي بليون و ١٥٠ مليون نسمة أي ٢٢٪ من سكان العالم، ويتضاعف عددهم مرة كل ٢٣ سنة بينما يتضاعف سكان العالم مرة كل ١٢٢ سنة. وتبلغ نسبة المواليد عند المسلمين حوالي ٤٢ بالألف بينما هذه النسبة عالميا ١٥ بالألف. أما نسبة الوفيات بين الاطفال عند المسلمين فتبلغ حوالي ٩٥ بالألف في حين تبلغ عالميا ١٤ بالألف، كما تبلغ نسبة وفيات الأمهات عند المسلمين بين ٥٠٠ - ١٠٠٠ كل ١٠٠ ألف حالة ولادة، بينما في الدول المتقدمة حوالي ١٠ فقط(١٩٤). وفيما يتعلق بمستوى المعيشة فضمن العالم الاسلامي توجد دول ذات اعلى دخل للفرد في العالم كما في الكويت، وتوجد دول اخرى تعاني من المجاعة الفعلية حيث يموت الناس جوعا بالمعنى الحرفي للكلمة كما في الصومال.

الا ان من الطبيعي ان يتركز اهتمام الحركات الاسلامية على البلدان ذات الاحداث الهامة والساخنة وذات الاهمية الاستراتيجية بالنسبة للحركة الاسلامية العالمية، ومدى قرب او بعد ذلك البلد من الحركة المعنية وهي في هذه الحالة الحركة الاسلامية الفلسطينية. وعلى هذا الاساس فان اهتمام الحركة الاسلامية على الصعيد الاسلامي العالمي مع بداية النظام العالمي الجديد بالاضافة الى اهتمامها عربيا كما سبق انحصر في افغانستان وايران والجمهوريات الاسلامية في الاتحاد السوفياتي السابق وحديثا مسألة البوسنة والهرسك.

وجدير بالذكر ان الحركات الاسلامية الفلسطينية متفقة على ان الشعوب في العالم الاسلامي هي الاسلامية وحدها بينما تراود بعض تلك الحركات الشكوك حول مدى اسلامية الحكام. فعلى سبيل المثال، علقت مجلة "الوعي" المعبرة عن وجهة نظر حزب التحرير على انعقاد المؤتمر الاسلامي في السنغال في ١٩٩١/١٢/٩ قائلة : "من التضليل ان نسميه اسلاميا . . . ذلك لان الانظمة والقوانين التي يحكم بها هؤلاء الحكام هي غير اسلامية، اي انهم لا يحكمون بما انزل الله. وهؤلاء الحكام يحكمون بغير الشريعة السمحاء المنزل من الله رحمة للعالمين، فكيف يمكن القول انهم

مسلمون؟ هذه واحدة، واحدة اخرى : هذا المؤتمر هل توجه لمصلحة المسلمين او مصلحة الدول الاستعمارية الكافرة وعلى رأسها امريكا . . . لا يهمنا من غاب ومن حضر من رؤساء المسلمين ما دام حضورهم وغيابهم سيان، الذي يهمنا هو ان العالم الاسلامي تحكمه دول الكفر وتنصب عليه حكاما عملاء لها"(١٩٥).

وقبل التطرق الى تفاصيل مواقف الاسلاميين الفلسطينيين تجاه بعض القضايا الاسلامية الهامة، لا بد من تسجيل ملاحظة تتلخص في ان تضامن الاسلاميين الفلسطينيين كان واضحا مع الحركات الاسلامية التي تعمل على ايجاد حكم اسلامي في اي مكان في العالم كما كان الحال في افغانستان، الا انه ما ان يصل الاسلاميون الى الحكم حتى تبدأ الاجتهادات المختلفة في تقييم مدى "اسلامية" ذلك النظام او بعده عن ذلك، كما كان الامر بالنسبة لايران حيث اختلف الاسلاميون الفلسطينيون والاخرون في تقييم التجربة الايرانية والحكم في ايران بصورة عامة. كذلك كان هنك حكما مختلفا على دور البلدان الاسلامية سواء بالنسبة لموقفها من القضايا الاسلامية او القضايا العالمية.

وجدير بالملاحظة ايضا ان البلدان الاسلامية تقرر مدى اسلاميتها حسب الظروف المحيطة بها، وحسب مصلحتها في قربها او بعدها عن هذه القضية واحيانا بمدى ارتباطها بهذه الدولة او تلك من الدول الاجنبية. فتركيا مثلا التي عملت على اشاعة النظام "العلماني" بها وحاولت التقرب بكل قواها من الثقافة الاوروبية والسياسية الاوروبية منذ عام ١٩٢٣، تقترب بين الفترة والاخرى من القضايا الاسلامية وتشارك في المؤتمر الاسلامي عندما تجد ان لها دورا يمكن ان تقوم به، او لكي نكون اكثر دقة عندما يشعر الامريكيون ان لها دورا يمكن ان تقوم به. فعلى سبيل المثال فان الاهمية الاستراتيجية لتركيا التي يفترض انها قلت بعد مسألة زوال الاتحاد السوفياتي اكتسبت اهمية جديدة بعد دورها في الحرب الخالمية - العراقية، وبعد ان اصبح لها دورا جديدا في التقرب من الجمهوريات الاسلامية السوفياتية السابقة وتسويق تلك الجمهوريات امريكيا، خاصة ان بعض تلك الجمهوريات ذات بعد ثقافي وتاريخي قريب من تركيا.

اما بالنسبة لايران فقد استمرت المواقف التقليدية للحركتين الاسلاميتين

الفلسطينيتين الجهاد الاسلامي وحزب التحرير. فحركة الجهاد الاسلامي استمرت في اعتبار ايران الموقع الاسلامي الأول والمناهض للامبريالية خاصة الاميريكية واعتبارها حجر الزاوية في المشروع الاسلامي المضاد للغرب، بينما لم يغير حزب التحرير رأيه القائل بأن الثورة الخمينية ما هي الا انقلاب لصالح المصالح الامريكية في ايران. اما الاخوان المسلمين وحركة حماس فتميزت مواقفهم تجاه ايران بالانتقال من السلبية الى الايجابية، ففي حين كان الموقف الايديولوجي غالبا بعد نجاح الثورة الاسلامية الايرانية فعالج الاخوان المسألة على خلفية الخلاف السني-الشيعي فكان التقييم سلبيا، وكان التقييم سلبيا ايضا على اثر الموقف الايراني اثناء حرب الخليج الأخيرة، الا ان الموقف تحول الى الايجابية على اثر رفض كل من ايران وحماس لمؤتمر مدريد الخاص بالسلام في الشرق الأوسط، حيث حضرت حماس الى جانب الجهاد المؤتمر الذي عقد في طهران من اجل "نصرة القضية الفلسطينية" على اثر مؤتمر مدريد.

مع بداية حرب الخليج الثانية توجهت الانظار الى ايران ترصد الموقف الذي ستتخذه تجاه العراق نظرا لكون الحرب التي يخوضها العراق مع "الشيطان الأكبر" من جهة، ونظرا لمخلفات الحرب العراقية الايرانية الطويلة التي سبقت من الجهة الاخرى. وكان لجوء العديد من الطائرات العراقية المدنية والعسكرية الى ايران قبيل الحرب واثناءها، وزيارة ممثل الرئيس العراقي سعدون حمادي الى طهران اثناء الحرب باعثا للمزيد من الشك في الموقف الايراني.

الا انه تبين فيما بعد الحرب ان الموقف الايراني كان يتلخص بمحاولة استثمار نتائج الحرب قدر الامكان لصالح تحسين الوضع الاستراتيجي والاقتصادي لايران، فتحسنت علاقتها مع الدول الخليجية وخاصة الكويت. كما كان الموقف الايراني احد الاسباب وراء فشل مؤتمر دمشق الذي ضم مصر وسوريا الى جانب دول مجلس التعاون الخليجي، حيث سعت ايران الى تغليب الجانب الاسلامي على الجانب العروبي في مسألة امن الخليج من اجل ان تجد لنفسها موضع قدم، وكان هذا التنافس "الاسلامي-العروبي" احد المبررات التي جعلت امريكا والبلدان الغربية الاخرى تعقد اتفاقات عسكرية ثنائية مع الكويت وبلدان الخليج بصورة مباشرة وليس عن طريق "ممثل" اقليمي. لقد لخص الباحث خليل الشقاقي الوضع الايراني بعد حرب الخليج حيث دفعت الحرب "بايران الى مركز الاحداث الخليجية، لكن استمرار الوجود

الاجنبي سيهدد بالتأكيد مكانتها "المركزية" هذه، كما سيهدد قدرتها على التأثير في الاحداث خارج المنطقة الخليجية كالشرق الاوسط والمغرب العربي"(١٩٦)، ومن هنا كانت دعوات ايران المتكررة بضرورة انسحاب قوات التحالف من المنطقة بعد انتهاء الحرب.

اما القضية الافغانية فقد نالت اهتماما كبيرا ولمدة طويلة من قبل الحركة الاسلامية الفلسطينية والعالمية أيضا. كان ذلك قبل النظام العالمي الجديد واثناءه، حيث دار حول الاهتمام بالمسألة الافغانية جدلا عاما بين الاسلاميين والوطنيين في فلسطين عندما اتهم الاسلاميون في فترة من الفترات بالاهتمام بافغانستان اكثر من اهتمامهم بفلسطين نفسها.

لقد توفرت في القضية الافغانية اسباب عديدة جعلت الاهتمام بها اسلاميا مسألة اساسية. فمن ناحية ترافقت تلك القضية مع ظهور الصحوة الاسلامية عالميا، كما انها كانت ضد الاتحاد السوفياتي الذي اعتبره معظم الاسلاميين العدو الايديولوجي الأول لهم واعتبروا بعد ذلك ان الانهيار السوفياتي جاء على خلفية الجهاد الافغاني حيث كتب احد الكتاب الاسلاميين ان الجهاد الافغاني "قبر مشروع الامبريالية الاشتراكية"(١٩٧). في حين رأى آخرون ان القضية كانت عكسية وان الذي حدث هو ان الانهيار السوفياتي هو الذي سمح بنصر المسلمين في افغانستان(١٩٨). وتعتبر القضية الافغانية من القضايا الاسلامية النادرة التي اجتمع على دعمها الاسلاميون "ثوريون" وأنظمة، فنلاحظ ان الحكومات في العربية السعودية والكويت وغيرها من بلدان الخليج بالاضافة الى التنظيمات الاسلامية في كافة انحاء العالم قد دعمت المجاهدين الافغان، واخيرا فان القضية الافغانية اخذت بعدا اسلاميا عاما حيث اشترك فيها بصورة فعلية اسلاميون من كل بقاع العالم من بينهم عرب وفلسطينيون مثل الشيخ عبد الله عزام الذي قتل في انفجار سيارة في مدينة بيشاور الباكستانية.

لم تهتم حركة الجهاد الاسلامي كثيرا بالقضية الافغانية حيث تعتبر القضية الفلسطينية قضيتها المركزية بل وقضية المسلمين المركزية كما ذكرنا. اما حزب التحرير فلم يتحمس بدوره للمسألة الافغانية ليس بسبب اهتمامه بالقضية الفلسطينية او قضية اخرى بل بسبب تحفظاته على حركة المجاهدين هناك. فبرأي

الحزب انه على الرغم من ان المجاهدين الافغان كانوا يقاتلون السوفيات باسم الجهاد ورفع الكثيرون منهم شعارات اسلامية بل ونادى بعضهم باقامة دولة اسلامية، الا ان الحزب لم يستسغ مسألة قبول المجاهدين المساعدة من امريكا "الكافرة" ومن "عملائها"، ومن هنا يرى الحزب ان امريكا كانت وراء الكثير من التحركات السياسية التي اعقبت استقالة نجيب الله وهروبه. كما تنبأ الحزب بأن افغانستان ستكون في موضع صراع بين كل من ايران وباكستان(١٩٩).

اما الاخوان المسلمون في فلسطين وحركة حماس فكانوا مع المجاهدين الافغان دائما ودون تحفظ، وبعد ان تحقق النصر للمجاهدين بهرب الرئيس الافغاني نجيب الله اعربت حركة حماس عن فرحتها الكبيرة بذلك، واعتبرته بشرى تأتي من افغانستان "المسلمة"، وهنأت الشعب الافغاني بالنصر وبقيام حكومة اسلامية ودعت المجاهدين الى وحدة الصف كما دعت المسلمين جميعا للتضامن مع افغانستان(٢٠٠).

ولم تعتبر حماس النصر الافغاني الاسلامي مناسبة للفرح فقط، بل ومناسبة للتذكير بأن القضية الفلسطينية ورموزها الدينية ما زالت تحت الاحتلال بعد، ومن هنا فقد دعت الحركة "الشعب الافغاني وكل شعوب امتنا العربية والاسلامية الى الاعداد والاستعداد والتهيؤ الدائم لنصرة المسجد الاقصى المبارك وتحرير اولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين من دنس الاحتلال الصهيوني الغاشم"(٢٠١).

الا ان فرحة الاسلاميين عامة بمسألة انتصار المجاهدين في افغانستان لم تكن اجمالا بالمستوى المتوقع وذلك لعدة اسباب. الأول : ان ذلك النصر لم يكن بعد انسحاب الجيش السوفياتي مباشرة كما كان متوقعا، ولم يكن النصر نتيجة معارك انهزم فيها الجيش الحكومي الافغاني بصورة حاسمة بل نتيجة انضمام فرق عديدة من الجيش الى المجاهدين، حيث دخل المجاهدون كابول تحت حماية الجيش والميليشيات واصبح قائد الجيش الافغاني رئيسا لاركان الجيش الافغاني في الحكومة الاسلامية. الثاني : انه ما ان اصبح المجاهدون في السلطة في كابول حتى بدأ الاقتتال الداخلي بينهم لدرجة قامت قوات الحزب الاسلامي برئاسة حكمتيار بقصف كابول بالصواريخ حيث ذهب ضحية ذلك القصف القتلى والجرحى. الا ان هذه الضحايا العديدة لم تكن اكثر جسامة من البعد المعنوي لتلك الاحداث، فانتظار الحكومة

الاسلامية من قبل العديدين ولسنوات طويلة، كان من اجل حل مشاكل افغانستان ونشر الهدوء والامن والرخاء فيها وليس من اجل النتيجة التي اعقبت قيام تلك الحكومة. الثالث : هو ان استلام الحكومة الاسلامية للسلطة في افغانستان لم تكن "حجرا" أخر في بناء الوحدة الاسلامية كما يفترض الاسلاميون بل كانت سببا وموضوعا للتنافس بين تركيا وايران وباكستان، في محاولة منها لخلق حكومة موالية لكل منها في كابول، تكون نقطة انطلاق لتحقيق مصالحها في افغانستان ومناطق اخرى في العالم.

لقد تبين بعد اخذ الاسلاميين للسلطة في كابول ان القضية لم تكن لتختصر في مقولة ان افغانستان اسلامية او غير اسلامية، حيث بدت الامور اكثر تعقيدا سواء على مستوى مشاكل افغانستان الداخلية متمثلة في القوميات المختلفة والطوائف المختلفة ومن ثم الاحزاب المختلفة، او على مستوى مشاكلها الخارجية مع جيرانها ومع البلدان الاخرى عامة.

فعلى اثر تفكك الاتحاد السوفياتي ونشوء الجمهوريات المختلفة مكانه، سارع النظام الافغاني السابق في افغانستان بقيادة نجيب الله الى الاعتراف بالجمهوريات الاسلامية كدول مستقلة، وذلك في محاولة منه للبحث عن بدائل للدعم السوفياتي السابق، وسرعان ما اشتكى الاسلاميون الافغان بأن المساعدات ابتدأت تأتي الى افغانستان من جمهورية اوزبكستان.

وبعد انتصار المجاهدين تصاعدت المشاكل بشكل حاد مع ايران المجاورة ايضا، وايران ليست جارا عاديا لافغانستان، فهي من ناحية تعتبر نفسها رائدة للعمل الاسلامي العالمي، ومن ناحية اخرى يوجد في افغانستان طائفة شيعية كبيرة تستطيع ايران التدخل في افغانستان من خلالها. وفي هذا المجال طالب عبد العلي مزاري الناطق باسم حزب الوحدة الشيعي في افغانستان بتمثيل للشيعة في الحكومة الاسلامية الجديدة، حيث اتهم البروفسور الشيخ سياف امير حزب الاتحاد الاسلامي ايران بالتورط في احداث افغانستان وقال : "ان حزب الوحدة (الشيعي) لعبة في يد قوات خارجية تعمل ضد مصالح افغانستان"(٢٠٢)، وكان قد سبق ذلك اشتباكات مسلحة بين حزب سياف وحزب الوحدة الشيعي. وفي تعليق لمجلة الجهاد الافغانية

على دور الشيعة في افغانستان اكدت المجلة انهم يحتلون بعض الاماكن الهامة في كابول مثل الجامعة وانهم يطالبون بنسبة في الحكم يعتبرها المجاهدون اكثر مما تستحق، اضافة لرفضهم المبدئي الرضوخ لتقسيم السلطة ما بين السنة والشيعة واعتبار ان الانتخابات او نسبة عددهم السكاني هو الفيصل في الموضوع. واضافت المجلة ان بعض قادة المجاهدين يخشون ان تسعى هذه الاحزاب بدعم خارجي (المقصود ايراني) الى تعكير الامن والنظام، "الا ان اي محاولة من هذا القبيل ستكون وبالا على الشيعة ككل حيث ينظر اليهم الافغان نظرة ازدراء قبل الجهاد وبعده"(٢٠٣).

إن الوحدة التي تشكلت في يوم من الايام حول افغانستان، والتي تكونت من الحركات الاسلامية العالمية والبلدان الاسلامية الموالية للغرب كالباكستان وبلدان الخليج العربي وخاصة السعودية والغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة قد بدأت بالتفكك في الوقت الذي وصل فيه المجاهدون الى الحكم في كابول وابتداء الاقتتال الداخلي في صفوفهم، حيث اخذت كل جهة من هذه الجهات تنحاز الى جهة مقابلة لها داخل ما كان يعرف بتحالف المجاهدين.

لقد بدأ بعض الاسلاميين بالحديث عن اهداف امريكا في افغانستان، فكتب احدهم ان تلك الاهداف تلخصت في اضعاف امريكا لخصمها اللدود الاتحاد السوفياتي سابقا، وزيادة النفوذ الامريكي في المنطقة وكسب مؤيدين لها، وضمان عدم وجود حكومة اسلامية شكلا ومضمونا في افغانستان بل تكون اسلامية بالمظهر فقط واخيرا كسر الحاجز النفسي بين امريكا والشعوب الاسلامية التي تكره امريكا لموقفها العدائي من قضايا العرب والمسلمين في العالم(٢٠٤). ان من الملاحظ ان جميع هذه الاهداف هي لصالح امريكا مئة بالمئة وهي الى حد بعيد تحققت بشكل جيد. فالذي جرى حتى الآن في افغانستان يتلخص في تحقيق امريكا لكامل اهدافها هناك بينما لم يتحقق من مصالح الافغان انفسهم الا استبدال الحكومة السابقة بحكومة حالية، وزيادة حدة الاقتتال الداخلي وانحصاره داخل الاطار الفكري الواحد، وزيادة عدد الضحايا من الافغان، وبداية النقض من حلفاء الامس (امريكا والخليج خاصة) عنها. هذا اذا ما استثنينا بعض الاجراءات الأكثر شكلية مثل فصل النساء من التلفزيون الافغاني.

إن الذي يحدث في افغانستان الان ليس مؤلما للاسلاميين فقط لانه لم يأت بالشكل المطلوب للحكم الاسلامي المنتظر، بل محبطا ايضا لان الاسلاميين توقعوا ان تكون الحكومة الافغانية الجديدة بعد انتصارها دعما لقضاياهم المستعصية على الحل حتى الان وعلى رأسها بالنسبة للاسلاميين الفلسطينيين قضية فلسطين. ومع ان الدكتور لفراني مسؤول اللجنة السياسية في الجمعية الاسلامية الافغانية حاول طمأنة الاسلاميين في العالم بأنه "سيكون لافغانستان تأثيرها على باقي حركات التحرير في العالم وخاصة في كشمير وفلسطين وباقي دول اسيا الوسطى"(٢٠٥)، الا ان ذلك يبدو حتى الان طموحا اقرب الى المثالية منه الى الواقع.

وضمن الحديث عن الاهتمام الاسلامي الفلسطيني بقضايا المسلمين في العالم، لا بد من التطرق الى موقف الاسلاميين الفلسطينيين من قضية البوسنة والهرسك، حيث التقى ابراهيم غوشة ممثل حماس في الاردن بوفد من البوسنة والهرسك وأكد لهم دعم الشعب الفلسطيني، كما دعت حماس في بيان لها "جميع الدول والشعوب العربية والاسلامية والقوى والهيئات الدولية الى مساندة مسلمي يوغسلافيا في البوسنة والهرسك والعمل على رفع الظلم والاضطهاد الواقع عليهم"(٢٠٦). وفي بيان آخر اعلنت الحركة عن تأييدها مرة اخرى واستنكرت "الصمت الذي لا زال يخيم على حكومات العالم ازاء هذه القضية . . . - ودعت - العالم واصحاب الضمائر الحية في كل مكان في العالم لمناصرة قضية شعب البوسنة والهرسك العادلة والمتلخصة بالاستقلال التام"(٢٠٧).

اخيرا فان الحدث العالمي الهام الذي جرى خلال ما يسمى بالنظام العالمي الجديد وشغل بال الاسلاميين، فلسطينيين وغير فلسطينيين، وبث في النفوس رضى سرعان ما تبين انه منقوص بعض الشيء، كان استقلال الجمهوريات "الاسلامية" التي كانت جزءا من الاتحاد السوفياتي. ان الحديث عن المسلمين في الاتحاد السوفياتي قضية قديمة قدم انضمام تلك الجمهوريات الى الاتحاد قبل حوالي السبعين عاما، حيث اخذ ذلك الحديث بعدا ايديولوجيا اكثر منه علميا.

لقد أدت الدعاية، خاصة الغربية، التي كانت تبث عن المسلمين في الاتحاد السوفياتي الى المسلمين خارجة الى فهم لدى الكثيرين يتلخص في ان المسلمين في

الاتحاد السوفياتي كانوا ممنوعين بالقوة من ان يكونوا مسلمين، وانه ما ان تفلت قبضة الشيوعيين الروس عنهم حتى يسارعوا الى حمل راية الاسلام عاليا فتزداد قوة المسلمين في العالم وتضاف قوة جديدة هائلة الى قوى الاسلام في صراعه مع "الكفر".

وقبل الحديث عما جرى في تلك الجمهوريات الاسلامية بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، لا بد من نظرة سريعة على اوضاع تلك الجمهوريات. عدد هذه الجمهوريات التي نالت استقلالها وتتشكل النسبة الأكبر من سكانها من اصل اسلامي ستة، هي اوزبكستان (٢٢ مليون)، طاجكستان (٦ ملايين)، كازاخستان (١٨ مليون)، اذربيجان (٨ مليون)، تركمنستان (٤ ملايين) وقرغيزستان (٥ ملايين). وتتفاوت نسبة المسلمين في تلك الجمهوريات حيث سمح التواجد المشترك خلال اكثر من سبعين عاما في دولة واحدة الى انتقال كبير للسكان من جمهورية لاخرى، ففي حين تبلغ نسبة المسلمين في اذربيجان حوالي ٨٣٪، وهم بالمناسبة من المسلمين الشيعة بعكس الجمهوريات الأخرى، تبلغ نسبة المسلمين في كازاخستان حوالي ٤٠٪ فقط كما ان الجاليات الاخرى وخاصة الروس يتركزون في مدن تلك الجمهوريات حيث يساهمون بدور مؤثر في اتخاذ القرار السياسي والاقتصادي. من ناحية اخرى فان المسلمين يتواجدون بكثرة في جمهورية روسيا الاتحادية خاصة في منطقة القفقاس مثل الشركس والشيشان والتتار والداغستان وغيرهم(٢٠٨).

لقد توقع الاسلاميون ان الجمهوريات الاسلامية السوفياتية، ما ان تنجز استقلالها حتى تسارع بالعودة للالتحاق بالعالم الاسلامي فتتبنى مشاكله ويتبنى مشاكلها، ولكن الذي حدث كان يختلف الى حد بعيد، فكان انفصال معظم الجمهوريات الاسلامية على اساس قومي اكثر منه على اساس ديني، بل كان تبني الخصوصية الدينية كجزء من اثبات الخصوصية القومية، وهذا ما حدث مثلا في اذربيجان حيث تزعمت الجبهة الشعبية القومية الحركة الاستقلالية فيها.

وما ان حدث الاستقلال حتى سارعت كثير من الجمهوريات الاسلامية بالانضمام او محاولة الانضمام الى بلدان الكومنولث الجديد الذي تكون على انقاض الاتحاد السوفياتي، اي بقيت مخلصة لماضي ارتباطها بروسيا نفسها اكثر من انتمائها الاسلامي، كذلك سعت هذه الجمهوريات جاهدة لتحسين علاقتها بالولايات المتحدة أملا

في دعم اقتصادي، حيث كانت مسألة تحسين العلاقة مع الاسرائيليين مهمة بالنسبة لهم حيث اعتبروا اسرائيل وسيلة لاثبات تخلصهم من ماضيهم الايديولوجي من ناحية، ووسيلة جيدة للتقرب من الامريكيين من ناحية ثانية.

وكان رد فعل الاسرائيليين سريعا هذه المرة ايضا فأقاموا علاقات دبلوماسية وغير ذلك مع معظم تلك الجمهوريات، وبحث الاسرائيليون مسألة اقامة مشاريع زراعية في تلك الجمهوريات ووطدت علاقتها بالجاليات اليهودية هناك. أما العرب والمسلمون فقد اكتفوا بالترحيب الاعلامي باستقلال الجمهوريات، وكتب عن ضرورة الاسراع في اقامة الروابط معها، وقدمت بعض المساعدات الخليجية ولكنها تركزت في معظمها ليس على اقامة مشاريع مشتركة تساهم في دعم العلاقات وتعتبر ذات مردود اقتصادي بعيد المدى، انما تركزت على مساعدات مادية من جهات خليجية وخاصة من البنك الاسلامي للتنمية، او من جمعيات مثل جمعية الاصلاح الاجتماعي بالكويت التي تبنت تقديم بعض المساعدات، فبدت وكأنها مساعدات من "شؤون اجتماعية" اكثر منها من دول يفترض انها انتظرت عشرات السنين من اجل "عودة الاشقاء". من زاوية اخرى فقد تم ارسال الاف المصاحف من السعودية لتلك الجمهوريات حيث تبنت السعودية شعار طرحه الملك فهد "مصحف لكل مسلم" وبهذه الطريقة افترض المسلمون انهم سيكسبون تلك الجمهوريات الى جانبهم ويمكن التصدي بذلك لبعد تلك الجمهوريات الطويل عن هموم المنطقة.

والى جانب سعي تلك الجمهوريات "الاسلامية" الى توطيد علاقتها بالغرب، انخرطت في الاغلب في حل مشاكل داخلية كثيرة تواجهها. فعلى سبيل المثال استمرت الحرب بني اذربيجان وارمينيا بسبب النزاع على اقليم ناجورنو كاراباخ، ونشب نزاع بين جمهورية روسيا وبين جمهورية شاشان انجوش في القفقاز (تلك الجمهورية التي يبلغ عدد سكانها حوالي مليون و ٢٧٧ الف نسمة ٧٠٪ منهم مسلمين)، بعد ان انتخبت تلك الجمهورية جوهر دودايف رئيسا لها واعلنت انفصالها عن روسيا الاتحادية. كذلك ابتدأ تنافس حاد ولكنه هادىء بين ايران وتركيا حول كسب المزيد من النفوذ داخل تلك الجمهوريات.

لقد كتب حزب التحرير حول استقلال تلك الجمهوريات قائلا : "اما من ناحية

الاتصال بالعالم الاسلامي فانه ليثلج القلب عودة قطعة بترت عنه وحرمت العيش في اجوائه، فكانوا مجبرين بحكم الاعلام الصارم بالحديث عن كوبا وبولندا ومشاكلها بدلا من الحديث عن بلاد المسلمين ومشاكلهم، وصارت الآن قوافل الحجاج تربطهم بمكة"(٢٠٩). الا ان المحزن هنا انهم كفوا عن الحديث عن كوبا وبولندا ليتحدثوا عن امريكا واسرائيل وبمحض ارادتهم.

لم يكن بالامكان قيام جمهوريات تتبنى الاسلام على الطريقة التي يريدها الاسلاميون في الجمهوريات الاسلامية السوفياتية السابقة، وذلك لاسباب داخلية ذاتية ولاسباب موضوعية تتعلق بالوضع السياسي العالمي. فذاتيا لا يمكن لاحد ان يتوقع ان الشعور الديني قوي في تلك الجمهوريات وذلك لانها مرت خلال عقود سبعة ضمن سياسة علمانية بل والحادية بصورة منظمة حيث بقي الشعور الديني والمعرفة الدينية ضمن فئات محدودة جدا، ومن الاجيال المتقدمة في السن غالبا. كذلك فان وجود نسب كبيرة من القوميات الاخرى داخل تلك الجمهوريات يعرقل امكانية قيام حكم اسلامي فيها.

أما من ناحية موضوعية، فمن جهة سوف يعمل الرئيس الروسي ييلتسن كل ما بوسعه لكي يحول دون قيام حكم اسلامي في تلك الجمهوريات يمكن ان يؤدي الى تجمع على اساس اسلامي قد يشعل المزيد من الاضطرابات في صفوف المسلمين داخل روسيا الاتحادية ذاتها. من ناحية ثانية فان الولايات المتحدة والغرب اجمالا و "النظام العالمي الجديد" الذي من اهم مميزاته تفتيت اقطار العالم الثالث قدر الامكان، سوف لن يكون من مصلحتها بتاتا اقامة تجمع اسلامي يمكنه ان يضم مساحة كبيرة من العالم تتمثل في تلك الجمهوريات وافغانستان وايران والعالم العربي. من ناحية اخرى فان الغرب، وبالاضافة لكونه سيقف موضوعيا ضد اي وحدة اسلامية، ليس فقط لانها اسلامية بل بالاساس لانها وحدة، فانه يرفض هذه الوحدة نظرا لوجود اسلحة نووية في جمهورية كازاخستان، وعلى هذا الاساس فان اتحاد الكومنولث الجديد بزعامة روسيا كان حريصا على ضم تلك الجمهورية اليه قبل اية جمهورية اخرى غير سلافية.

وتجدر الاشارة هنا الى انه رغم حرص الغرب فعلا على ضبط السلاح النووي تحت

سيطرته، فهو يبالغ في مدى الخطر النووي "الاسلامي" حيث يقع الاسلاميون فريسة سهلة لتلك الدعاية، وتبدأ باكستان بالدفاع عن مشروعها النووي، ويصرح نائب الرئيس الايراني آية الله مهاجراني انه "يحق للدول الاسلامية امتلاك قنبلة نووية"(٢١٠). ان الحديث عن القنبلة النووية "الاسلامية" غالبا ما يساهم في حشد الرأي العام الغربي ضد اي تقدم علمي وتكنولوجي في تلك البلدان، كما ويقدم بدون مقابل مبررا لاستمرار وتطوير المشروع النووي الاسرائيلي.

(ج) الاسلاميون الفلسطينيون ومفاوضات السلام

فيما سبق القينا بعض الضوء على وجهة نظر الاسلاميين الفلسطينيين في الاحداث التي جرت في السنتين الماضيتيين عالميا في انهيار الاتحاد السوفياتي والبلدان الاشتراكية الاخرى وتصدر الولايات المتحدة وحيدة لقيادة العالم، واسلاميا فيما جرى من احداث تهم العالم الاسلامي وبالذات الاسلاميين الفلسطينيين مثل احداث افغانستان والبوسنة والهرسك والجمهوريات الاسلامية السوفياتية، وعربيا حيث الانتكاسة للديمقراطية في الجزائر وحرب الخليج والتجربة السودانية وغيرها، اما فلسطينيا فان اهم حدث كان ابتداء المفاوضات العربية-الاسرائيلية ودخول الفلسطينيين في تلك المفاوضات بدءا بمدريد وما اعقبها من جولات تفاوضية.

افرز الوضع العالمي الجديد مؤتمر مدريد الخاص بالسلام في الشرق الاوسط، ذلك المؤتمر الذي شارك فيه مندوبون فلسطينيون من الاراضي المحتلة بموافقة منظمة التحرير الفلسطينية بالطبع وبدفع منها. وقد اختلف الفلسطينيون حول الموقف من ذلك المؤتمر وضرورة حضوره، وافرز ذلك الاختلاف تكتلات جديدة على الساحة الوطنية الفلسطينية، بل وانقلبت كثرة من الامور الايديولوجية ليحل محلها تحالفات براغماتية في مواجهة عملية السلام تلك او لدعمها.

رفض الاسلاميون الفلسطينيون مؤتمر مدريد ليس فقط على قاعدة رفض اي حل مع الاسرائيليين الذي يعلن الاسلاميون اعتماده عادة حيث لا مجال لاي حل وسط وحيث يؤمن الاسلاميون بأن كل فلسطين بحدودها التاريخية هي ارض وقف للمسلمين لا يحق لاحد ان يتنازل عنها او عن جزء منها. كذلك تمثلت الاسباب التي

رفض الاسلاميون الفلسطينيون مؤتمر مدريد على اساسها في الظروف الدولية والعربية التي سادت، وفي الاهداف والنتائج المتوقعة من المؤتمر واخيرا طبيعة القوى الداعية للمؤتمر وخاصة الولايات المتحدة والقوى المشاركة فيه ايضا. لقد كانت هذه هي نفس الاسباب التي قرر على اساسها المشاركون في المؤتمر مشاركتهم.

كانت حركة حماس قد تطرقت للظروف الموضوعية الدولية والعربية التي انعقد في ظلها مؤتمر مدريد اكثر من التنظيمين الاسلاميين الاخرين حزب التحرير والجهاد الاسلامي. فلقد اكدت الحركة ان المؤتمر جاء نتيجة للظروف الصعبة التي اعقبت حرب الخليج، وبعد ان فرضت امريكا نظامها الجديد الذي كرس حالة الضعف والانقسام والتبعية في الامة العربية والاسلامية(٢١١).

كما حاولت حركة حماس ايضاح ان الوضع العربي التضامني سيكون في غاية الضعف في الظروف الحالية حتى لو تجاوزت فرضيا مسألة التفاوض مع الاسرائيليين من حيث المبدأ. فالمؤتمر براي الحركة "ينعقد في ظل ظروف تجعل توقيت المشاركة هو الاسوأ لدخول مفاوضات مع الاعداء وهي سيطرة امريكا على العالم، ضعف الاتحاد السوفياتي وتسليمه بنظام القطبية، ضعف الموقف العربي على المستويين العسكري والسياسي بعد حرب الخليج، خروج الكيان الصهيوني من حرب الخليج كرابح رئيسي"(٢١٢).

وفي موقف جريء تجاوزت حركة حماس احد اهم مواقعها التاريخية عندما تحدثت عن السلبيات التي خلفتها مسألة "سقوط" الشيوعية، فاعتبرت الحركة ان مؤتمر السلام جاء في "المرحلة التي تلت سقوط الشيوعية كايديولوجية سياسية واداة عسكرية، ووقوع المنطقة العربية ضمن دائرة الحسابات الصهيو-امريكية، افرزت العديد من المواقف التي شكلت انتصارا لعدونا الاسرائيلي، كما سجلت تراجعات وانتكاسات للوضعين العربي والاسلامي"(٢١٣). بذلك تكون حماس قد تجاوزت موقفا ايديولوجيا لصالح موقف سياسي وهي مسألة لا تلجأ اليها الحركات الاصولية عادة كما سيتضح في مواقف حزب التحرير وحركة الجهاد، فالجهاد اعلنت فيما يخص هذا الموضوع ان "سقوط الحقبة الشيوعية بكاملها وسقوط قرن من الكفر والاستكبار

والزيف الشيوعي انما يجيء ليؤكد بشرى رسولكم الاعظم (ص) بتحول الاسلام في العالم من المشرق الى المشرق"(٢١٤).

ثم اوردت حماس اسبابا اخرى لرفضها مشاركة الفلسطينيين في مؤتمر مدريد. تمثلت هذه الاسباب فيما تفترض حماس انه سيترتب على المؤتمر، فأكدت الحركة أن "الظروف التي ولدت فيها فكرة ما يسمى بمؤتمر السلام، والاطراف التي دعت له بالترغيب والترهيب، والاهداف التي وضعت له، تجعل المسألة واضحة كالشمس في رابعة النهار، فالمؤتمر يهدف الى اضفاء الشرعية الدولية على وجود الكيان الصهيوني الباطل في ارض الاسراء والمعراج، ليس باعتراف دول العالم فحسب، بل باعتراف الدول العربية والشعب الفلسطيني"(٢١٥). ان الاسرائيليين والامريكيين، برأي حركة حماس، غير معنيين تماما بوجود سلام حقيقي في المنطقة وبالتالي فان الاشتراك في المؤتمر سيعني الامتثال للشروط الاسرائيلية والامريكية وسيكون له دورا في "اضفاء جذوة الرفض للكيان الصهيوني في الضمير العربي المسلم"(٢١٦).

والمؤتمر بالنسبة لحركة حماس لا يعني التنازل عن الارض الفلسطينية في الضفة والقطاع واراضي الـ ٤٨، بل رأت فيه الحركة مؤامرة تهدف "لقيام حلف مشبوه بين العلمانيين المتسلطين (الحكام العرب) وبين الصهاينة الغاصبين لمواجهة حركة النهوض الاسلامي وتحجيم فاعليتها سياسيا وجماهيريا . . . ذلك بعد ان فشلت الشيوعية في مواجهة الاسلام وبعد ان لم يحقق التواجد العسكري الامريكي المباشر اي كسب ظاهر في ضرب القطبية الاسلامية"(٢١٧).

رفض حزب التحرير الاسلامي بدوره مؤتمر مدريد، حيث حافظ الحزب في هذه المسألة ايضا على راديكاليته وخصوصية ارائه ودوغمائية ايديولوجيته. فيؤكد الحزب ان العرب لن يربحوا من المؤتمر اي شيء بل سيكون الرابح امريكا واسرائيل، كما ان المؤتمر هو جزء من مسلسل التآمر ضد القضية الفلسطينية الذي يعتبر حزب التحرير ان انشاء منظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٦٤ جزءا منه، فهي ليست برأيه منظمة تحرير بل "منظمة تسليم فلسطين"(٢١٨).

ويلقي الحزب الضوء على ما يعتبره اهداف امريكا في المنطقة، فهي برأيه تهدف

الى انهاء حالة الحرب بين الدول العربية واسرائيل، وعقد صلح بينهما، ومن ثم تطبيع العلاقات بين الطرفين، واشراك اسرائيل في الترتيبات الامنية والتعاون الاقتصادي وبذلك تكون امريكا قد صاغت المنطقة"(٢١٩). كما اوضح الحزب ان غرض امريكا "الأول" من المؤتمر هو "قطع الطريق على دول اوروبا كي لا تتدخل في المنطقة . . . وبما ان وجود حالة الحرب بين العرب واليهود في هذه المنطقة تترك نافذة يمكن للدول المنافسة لامريكا ان تعود من خلالها الى المنطقة ارادت امريكا ان تغلق هذه النافذة"(٢٢٠). كان ذلك انسجاما مع الرأي التقليدي لحزب التحرير والذي يفسر كافة الاحداث العالمية على ضوء ما يعتبره صراعا تقليديا بين الولايات المتحدة وبريطانيا.

كما يشارك حزب التحرير حركة حماس الرأي في ان المؤتمر سيعطي الشرعية لوجود اسرائيل، حيث يؤكد أن "مجرد انعقاد المؤتمر ولو ليوم واحد يشكل اعترافا رسميا وعلنيا من العرب بدولة اسرائيل، وينقل الوضع من حالة الحرب الى حالة التفاوض، ومن حالة المقاطعة الى حالة التواصل ثم التطبيع"(٢٢١).

وفي وقت لاحق يعطي الحزب مزيدا من التفاصيل فيما يتعلق باهداف امريكا في المنطقة وطريقة تحقيقها لهذه الاهداف، فستسعى امريكا من خلال المؤتمر، كما يعتقد الحزب، الى "اقامة دولة في جزء من الضفة وغزة، متحدة مع الاردن في اتحاد فدرالي او كونفدرالي، عقب مرحلة انتقالية لمدة ثلاث او خمس سنوات، تشكل خلال هذه الفترة الانتقالية حكومة فلسطينية ذاتية تتمتع بالحكم الذاتي وتوفر للفلسطينيين في الضفة والقطاع استقلالا اداريا، تتولاه مجالس لمختلف قطاعات النشاطات، في حين تتولى اسرائيل اثناء هذه الفترة السياسة الخارجية والأمن، وتبقى لها السيادة . . . وبعد انقضاء الفترة الانتقالية تقام الحكومة المتحدة مع الاردن في اتحاد فدرالي او كونفدرالي، وبعد تحقيقها قد تسعى امريكا للاطاحة بالملك حسين وتحويل الاردن بضفتيه الى جمهورية ذات غالبية فلسطينية"(٢٢٢).

اما حركة الجهاد الاسلامي في فلسطين فلم تختلف من حيث الجوهر عن حزب التحرير وحركة حماس في تقييمها للمؤتمر وللمشاركة فيه، فالمؤتمر برأي الحركة يعني "بيع" نصف فلسطين ومساومة على تدويل القدس(٢٢٣)، كما وجه الدكتور فتحي الشقاقي مسؤول الحركة الذي ابعدته اسرائيل عن قطاع غزة المحتل كلمة الى

الفلسطينيين جاء فيها : "هذه النعم الملعونة للمشاركة في المؤتمر الجنازة لدفن شعبنا وقضيته، المؤتمر الذي يراكم سادته اقلية قومية عليها ان تعيش في ظل اكثرية يهودية على امل ان تأتي اللحظة المناسبة لطردكم وتهجيركم من وطنكم ومن قدس الاقداس والنعم التي ستجعلكم جسرا لبني اسرائيل الى كل العواصم ليكتمل المشروع الصهيوني الغربي ويفرض كامل هيمنته على المنطقة وعلى الامة"(٢٢٤).

كما حاول الدكتور الشقاقي الرد على ما اورده بعض مؤيدي مدريد من الفلسطينيين من حيث ان حضور المؤتمر يهدف الى رفع المعاناة عن السكان في الاراضي المحتلة فقال : "ان حجة رفع المعاناة عنكم فاسدة، اذ كيف سترفع المعاناة في ظل الهيمنة الصهيونية"(٢٢٥).

لقد اوردت الجهات الرافضة لمدريد، اسلامية وعلمانية، خليطا من الاسباب السياسية والدينية لتفسير معارضتها للمؤتمر، فاوضحت ان هذا المؤتمر يمثل اعترافا من الشعب الفلسطيني لاعدائه بمصادرة حقه في الوجود وتقرير المصير، وانه يمهد الطريق امام الحكم الصهيوني لاقامة اسرائيل الكبرى، وانه كذلك مقدمة لالحاق الامة العربية والاسلامية بالنظام "الامريكي" الجديد، هذا من ناحية البعد السياسي للمؤتمر. اما من ناحية الشرعية السياسية لحضور المؤتمر فأمر طعنت فيه الحركات الاسلامية ايضا، فاعتبرت ان المجلس الوطني الذي اخذ قرار الحضور لم يكن محقا في ذلك، حيث انعقد المجلس في ظل غياب العديد من القوى الفاعلة والمؤثرة على "ساحة النضال الوطني"، كما اعتبرت موقف المجلس الوطني في هذه الظروف تجاوزا لحقوق الشعب الفلسطيني(٢٢٦).

لقد اعتبرت حركة الجهاد الاسلامي ان مجرد الدخول في المجلس الوطني يعتبر غير مقبول شرعيا(٢٢٧) حيث يجب ان يكون للمسلمين مشروعهم الخاص بهم بعيدا عن المشاريع العلمانية. ورفض حزب التحرير المفاوضات مع "اليهود" لعقد صلح معهم واعتبر ذلك "خيانة لله ولرسوله ودينه وللمؤمنين"(٢٢٨). واعتبرت حركة حماس كذلك ان المشاركة الفلسطينية في المؤتمر غير شرعية فأعلنت أن "المجلس الوطني بتشكيلته الحالية وعدم تمثيله لكل القوى الفاعلة التي تقود جهاده اليومي الدامي ضد الاحتلال وآلته القمعية غير مؤهل ولا مخول لاتخاذ قرار يمثل الشعب

الفلسطيني . . . وان احدا كائنا من كان . . . مجلسا او منظمة او دولة او فردا . . . لا يحق له ابدا التنازل او التفريط باي جزء من فلسطين مهما كانت الظروف والاحوال"(٢٢٩). واعتبر المرشد العام للاخوان المسلمين في مصر الشيخ محمد حامد ابو النصر رفض الفلسطينيين للمؤتمر انه "الموقف السليم الذي يرضاه الله ورسوله والمؤمنون(٢٣٠). ونشرت حماس فتوى لمجموعة من "علماء" المسلمين تحرم التنازل عن اي جزء من فلسطين.

ومن اجل اثبات عدم شرعية المؤتمر السياسية، اعلنت التنظيمات الرافضة للمؤتمر بأن قبوله لا يخضع الى مبدأ حرية الرأي والرأي الآخر لان فيه مساس "بالحقوق التاريخية والدينية والوطنية"(٢٣١). ونفت حركة الجهاد الاسلامي ان يكون لها اية علاقة بالمجلس الوطني الفلسطيني او اللجان التحضيرية للمجلس، وتجاوزت حركة الجهاد اعلانها بعدم وجود اية علاقة لها بالمجلس الوطني وبأي جهاز من اجهزة منظمة التحرير، فأعلنت انها "لا تثق على الاطلاق بالقيادة الفلسطينية . . . وتحمل القيادة المسؤولية الكاملة عن حلول الخيانة والاستسلام"(٢٣٢). ان قرار المجلس الوطني الفلسطيني بالمشاركة في مؤتمر مدريد، برأي الجهاد الاسلامي، جاء "ليكرس مشاريع امريكا وعملائها . . . مؤكدا إن خط الوجهاء هو البديل عن خط الدم والشهادة"(٢٣٣)، وذكرت في بيان مشترك مع حركة حماس ومنظمات فلسطينية اخرى اعضاء المجلس الوطني "انهم بموافقتهم قد تجاوزوا الميثاق الوطني الذي قامت على اساسه المنظمة"(٢٣٤).

ومن الاسباب التي توردها حركة الجهاد الاسلامي لتؤكد عدم شرعية اشتراك الفلسطينيين في العملية السلمية الأخيرة، وكذلك عدم جدواها، ربط هذه العملية للفلسطينيين بالانظمة العربية خاصة بالنظام الاردني. فقد حذرت حركة الجهاد الاسلامي الفلسطينيين من "الخيار الاردني والارتباط بمشاريع الملك الاردني الموالية لاسرائيل"(٢٣٥).

وفي الوقت الذي لم تتطرق فيه حماس الى دور الاردن في العملية السلمية وذلك لاسباب تاريخية حكمت العلاقة بين الطرفين، فقد شارك حزب التحرير الاسلامي حركة الجهاد رأيها في ذلك، فاعتبر الحزب ان للنظام الاردني دورا حيال القضية

الفلسطينية "يجب" عليه ان ينفذه، وبرأي الحزب ان "هذا ما جعل امريكا تعود للدور الاردني" وتبقي على الملك حسين - رغم غيظها الشديد منه لوقوفه بجانب العراق - لانه مقبول لدى اليهود، ويمكن ان يكون مسهلا لقبول اليهود بمنظمة التحرير وذلك من خلال قبوله بتشكيل وفد اردني فلسطيني مشترك للتفاوض مع اليهود"(٢٣٦).

لقد اعرب حزب التحرير عن شكه في مواقف الولايات المتحدة الراعي الرئيسي للمؤتمر، وفي مواقف الغرب اجمالا. فأعلن الحزب انه "حين كانت امريكا جادة بالوصول الى نتيجة رأينا كيف احضرت نصف مليون جندي لمحاربة العراق"(٢٣٧). واعاد حزب التحرير تأكيده على ان امريكا عدوة حقيقية للاسلام والمسلمين جميعا، ودعى الى ضرورة وضع امريكا وكذلك بريطانيا وفرنسا على "رأس قائمة اعداء الاسلام والمسلمين"(٢٣٨). وأكد ان الرئيس الامريكي بوش "نصراني كافر، واليهود كفار مثله والكفر ملة واحدة"(٢٣٩).

ومع ذلك فان حزب التحرير يرى وجود بعض التناقض بين اسرائيل والولايات المتحدة وهذا ما يجعل الاسرائيليين "يخشون" العملية السلمية على حد تعبيره، فبالرغم من ان الاسرائيليين سيحصلون على امتيازات عديدة من العملية السلمية كما يرى الحزب، مثل الاعتراف وتطبيع العلاقات وغيرها، الا ان الحزب يعتقد ان اسرائيل تخاف "ان تضعها امريكا في الزاوية وتضغط عليها لاعطاء بعض التنازلات للعرب وذلك بعد تفكك الاتحاد السوفياتي وسير حكام البلاد العربية مع امريكا، كما ان لامريكا اطماع في الجولان"(٢٤٠).

كان ذلك رأي الاسلاميين الفلسطينيين في ملابسات انعقاد مؤتمر مدريد، ولكن ما الذي دعى اليه الاسلاميون كرد فعل على ذلك المؤتمر. تلخص رأي حزب التحرير في رد فعله على العملية السلمية بنقطتين، الأولى هي ان مقاتلة اليهود فرض على المسلمين، وان كل صلح مع اليهود باطل ولا يلزم المسلمين بشيء، وانه افضل ان تبقى فلسطين محتلة عشرات السنين من ان يوقع الفلسطينيون عقد صلح معهم يتنازلون به عن الارض(٢٤١). ان الحزب يعتبر ان اللقاء مع "الكيان اليهودي في فلسطين لا يجوز ان يكون الا في ساحة الجهاد لانه كيان كافر، اغتصب ارض . . . والاسلام يوجب على المسلمين كافة ومنهم العرب ان يتخذوا حيال هذا الكيان اليهودي الكافر حالة الجهاد

حتى يزال من اساسه"(٢٤٢). أما النقطة الثانية التي يعتمدها حزب التحرير في رفضه للمفاوضات هي تحميله مسؤولية ذلك، ومسؤولية الاوضاع التي وصل اليها المسلمون لحكام المسلمين، وبناء على ذلك فانهم، اي الحكام "يستحقون العزل وعزلهم واجب على المسلمين وذلك لانهم فضلا عن كونهم لا يحكمون بغير ما انزل الله . . . فان لهم ضلعا تآمريا خيانيا"(٢٤٣). وبالطبع فان ذلك يعني وجوب "اقامة خليفة مكان الحكام المسلمين المعزولين"(٢٤٤)، وهو الشعار الذي بقي التحريريون يرفعونه طيلة وجودهم.

لقد كانت توجيهات حزب التحرير فيما يختص بالتعامل مع حكام البلدان الاسلامية واضحة وعنيفة في حالة تفاوضهم مع "اليهود" حيث توجه للمسلمين قائلا : "يجب عليكم ان تحولوا بين هؤلاء الحكام والقادة وبين تمكينهم من المفاوضه مع اليهود، ومن عقد الصلح معهم، ويجب عليكم ان تتخذوا الوسائل والاساليب كافة لتمنعوا الصلح ولتبقوا حالة الحرب قائمة مع اليهود، وان تعلنوا الجهاد على اليهود لتقضوا على الكيان الصهيوني"(٢٤٥).

ان الصراع مع اليهود برأي حزب التحرير ليس فقط لانهم يحتلون ارضا عربية او اسلامية بل هو صراع انظمة وحضارات، فالاسلام برأي حزب التحرير "وحده هو النظام الصالح في الكون كله . . . فالحضارة الاسلامية هي وحدها الحضارة الصحيحة وما عداها حضارات فاسدة"(٢٤٦).

أما حركة الجهاد الاسلامي فقد استمرت بالدعوة الى الجهاد كطريق وحيد للتحرير، ودعت الى التصدي لمحاولات وقف الانتفاضة حيث اعتبرت ان احد اهم اهداف العملية السلمية الجارية حاليا هو محاولة الالتفاف على الانتفاضة ووقفها. كما أكدت الحركة بالاشتراك مع التنظيمات الفلسطينية الاخرى الرافضة لمؤتمر مدريد، ان نتائج المؤتمر لن تكون ملزمة للامة وللشعب ودعت الى مقاومة تلك النتائج، ودعت الشخصيات التي ستشارك في المؤتمر الى الانسحاب وعدم المشاركة(٢٤٧).

وعلى الصعيد الداخلي الفلسطيني اكدت التنظيمات الرافضة للمؤتمر على وحدة الشعب الفلسطيني في داخل الارض المحتلة وخارجها، ودانت كل محاولات اثارة

الفتنة الداخلية ودعت للابتعاد عن أية صراعات جانبية وتحريم الاقتتال الداخلي، ودعت الجميع لتصعيد الجهاد بمختلف الوسائل وفي مقدمتها الكفاح المسلح(٢٤٨). وفي داخل الارض المحتلة دعت هذه الجهات الى الاضراب العام في يوم افتتاح مؤتمر مدريد، ونادت بتصعيد الفعاليات العسكرية عبر الحدود العربية-الفلسطينية. وعلى الصعيد الخارجي فقد دعت الجماهير الاسلامية والعربية الى اعتبار يوم ١٩٩١/١٠/٣٠، وهو يوم افتتاح المؤتمر يوم "غضب شعبي" ودعت الشعوب العربية والاسلامية الى مساندة الشعب الفلسطيني كما دعت كافة الدول العربية المشاركة في المؤتمر الى مقاطعته(٢٤٩).

وقد دعت حركة حماس، وهي اكبر التنظيمات السياسية والاسلامية الفلسطينية، الى وقفة عربية واسلامية، شعبية ورسمية لدرء الخطر الذي يهدد المنطقة بأسرها، حيث ان المعركة كما تراها حماس هي "معركة الأمة الاسلامية كلها بطاقاتها وامكاناتها وحضاراتها ضد اليهود بكل اطماعهم ومخططاتهم"(٢٥٠). ومن هذا المنطلق دعت الحركة الى رفض مؤتمر "بيع فلسطين" كما اسمته، والى الالتحاق الشامل مع الحركة ودعم برنامجها السياسي، كما دعت اعضاء المجلس الوطني الفلسطيني "المخلصين" الى مقاطعة المجلس واعلان رفض قراراته ودعت الشعب للاستمرار في الانتفاضة(٢٥١).

وتأكيدا لرفضها للمؤتمر، دعت حركة حماس الى اضراب عام في كل مرة تستأنف فيها المفاوضات الثنائية مع الاسرائيليين، ودعت الى استمرار الانتفاضة وتصعيدها وتطويرها ودعمها ودعت "الاخوة في منظمة التحرير الى رفض كل المشاريع الاستسلامية وفي مقدمتها مؤتمر السلام المزعوم"(٢٥٢).

لقد اجتمعت حركة حماس مع قيادة منظمة التحرير في الخرطوم من أجل بحث امكانية مشاركة الحركة في اجتماع المجلس الوطني الفلسطيني الذي اقر مشاركة الفلسطينيين في المؤتمر، و"باركت" الروح التي تم فيها هذا الاجتماع. الا ان ذلك لم يمنع حماس بالاشتراك مع التنظيمات الرافضة الاخرى من ان تحمل قيادة منظمة التحرير الفلسطينية مسؤولية "التفريط" بالحقوق المشروعة والنتائج المترتبة على ذلك(٢٥٣). وتوجهت الحركة الى الشعب الفلسطيني والى اعضاء فتح واعضاء الفصائل الاخرى للوقوف امام ذلك(٢٥٤).

من ناحية اخرى عزت حركة حماس ازدياد الاجراءات القمعية الاسرائيلية ضد الفلسطينيين في الاراضي المحتلة، ومنها الاجراء الذي اتخذ في ذلك الوقت والقاضي بابعاد اثني عشر شخصا من الضفة الغربية وغزة الى قبول الفلسطينيين بمؤتمر مدريد، ومن ثم فقد دعت الحركة الى اضراب عام في اليوم الأول من الجولة الثالثة للمفاوضات احتجاجا على المفاوضات وعلى الابعاد معا. لقد كان كل تعنت اسرائيلي يشكل مادة اضافية تضاف الى الحجج التي توردها الجهات الفلسطينية الرافضة للمؤتمر من اجل عدم قبوله ومن ثم من اجل الدعوة للتخلي عنه.

كما عملت حماس على حشد القوى الاسلامية العالمية الى جانبها فدعت المؤسسات والهيئات الخيرية في العالم العربي والاسلامي لتقديم كافة اشكال الدعم للانتفاضة، ودعت "الاخوة في الحركة الاسلامية العالمية للتحرك الفاعل لشجب قرارات قمة دكار والتركيز على مركزية القضية الفلسطينية"(٢٥٥). وكذلك وجهت نداء الى الحركة الاسلامية العالمية للتحرك الفاعل وعلى مختلف الاصعدة لمواجهة مؤامرة تصفية القضية والتأكيد على الحق الاسلامي بفلسطين من البحر الى النهر"(٢٥٦).

الاسلاميون والوفد الفلسطيني الى مؤتمر مدريد

ضمن معارضتها للعملية "السلمية" الأخيرة التي ابتدأت بمدريد خاطبت الحركات الاسلامية اعضاء الوفد الفلسطيني الذي توجه الى مدريد تارة محذرة، وتارة طالبة التوقف عن الاستمرار في تلك المسيرة او مشككة في صحة تمثيلهم للشعب الفلسطيني.

فمن جهته حافظ حزب التحرير على حدته في معالجته لهذا الأمر ايضا، فادلى السيد عطا ابو الرشته الناطق الرسمي باسم حزب التحرير في الاردن بتصريح اعلن فيه ان الذين يجتمعون في مدريد "نفر ينتسبون الى الامة وهم غرباء عنها ولا يمثلونها"(٢٥٧). ولم يكن مستغربا ان يعلن الحزب ان الوفد الفلسطيني المفاوض وقيادة منظمة التحرير التي وافقت على ذلك "ليسوا فقط قليلي دين وقليلي اخلاص بل هم قليلو فهم ايضا"(٢٥٨).

أما حركة الجهاد الاسلامي في فلسطين فتطرقت الى الطبيعة الاجتماعية والعائلية للوفد، حيث اعتبرت الحركة ان عائلة الحسيني هي قائدة لوفد مدريد، وتحدثت عن آل الحسيني واصفة اياهم بـ "رواد التسوية التاريخيين"(٢٥٩).

في حين اكدت حركة حماس رفضها للمؤتمر بلهجة حادة بعد ان اتخذت منظمة التحرير قرارها بالمشاركة، وطالبت الحركة الوفد الفلسطيني بالانسحاب قائلة : "واننا في حركة المقاومة الاسلامية حماس، اذ نستنكر هذا القرار الاجرامي الحاقد لندعوا هذه الفئةالغارقة في احلامها الى العودة فورا الى صفوف شعبها معلنة انسحابها الفوري من مفاوضات (بيع فلسطين وبيت المقدس)، وملتحقة بصفوف المجاهدين الذين اختاروا طريق الجهاد والشهادة طريقا وحيدا لتحرير فلسطين كل فلسطين"(٢٦٠).

وبالاشتراك مع التنظيمات الفلسطينية الرافضة للمؤتمر، اعلنت كل من حركة حماس وحركة الجهاد الاسلامي ان اي وفد فلسطيني يشارك في مؤتمر مدريد هو وفد غير شرعي لانه قائم على اساس قرارات غير شرعية(٢٦١). وفي مكان آخر اعلنت كلتا الحركتين وبقية التنظيمات الرافضة براءتها من اعضاء الوفد وحملتهم المسؤولية الكاملة عن مشاركتهم في المؤتمر(٢٦٢). وكانت حركة حماس قد اصدرت بيانا بعنوان "هنيئا يا عرب" يذكر اسماء الوفد الفلسطيني المفاوض فردا فردا وكذلك اسماء الهيئة الاستشارية للوفد، وذكرت الحركة بسخرية كيف ان هؤلاء "سيحررون" الارض المحتلة!؟(٢٦٣).

الاسلاميون ومنظمة التحرير . . . ومؤتمر مدريد

لم تكن العلاقة بين الحركات الاسلامية الفلسطينية المختلفة ومنظمة التحرير الفلسطينية متجانسة حتى بعد خلافها جميعا مع المنظمة حول مؤتمر السلام. بل ان الحركة الواحدة لم تكن مواقفها على وتيرة واحدة تجاه المنظمة بل تغيرت من حين لاخر.

فحركة حماس، رغم تبنيها للفكرة الدينية القائلة بتحريم التنازل عن اي حق من

حقوق المسلمين في فلسطين، مهما كانت الجهة التي "تنوي" التنازل، وهي في الحالة منظمة التحرير!؟. الا ان ذلك لم يمنع حركة حماس ان تمتدح الجو الذي انعقدت فيه محادثاتها مع منظمة التحرير في الخرطوم للبحث في مسألة اشتراك الحركة في المجلس الوطني. كان ذلك في الوقت الذي اعلنت "فلسطين المسلمة" المقربة من حماس في احدى افتتاحياتها تقول : "بل اننا لا نبالغ اذ نقول بأن حرص المنظمة على ادخال حماس في المجلس الوطني انما كان نابعا من اشارات امريكية في هذا السياق، وذلك حتى تنتهي الاصوات المعارضة او تدخل في اقفاص التدجين"(٢٦٤).

لقد اعتبرت حركة حماس انها استنفذت كل جهد مع منظمة التحرير من اجل منعها من الدخول في العملية السلمية التي ابتدأت بمؤتمر مدريد. واعلنت انها حاولت "ان توقف قطار التسوية والتنازلات، ونبهت منظمة التحرير الفلسطينية الى مخاطرها . . . وطالبتها برفضها جملة وتفصيلا . . . ابدت حماس استعدادها لدخول المجلس الوطني الفلسطيني "اذا تم تشكيله بالانتخاب او اذا تم تمثيلها حسب حجمها الحقيقي في الساحة، أو الاتفاق على برنامج سياسي جهادي يحكم مسار التحرك الفلسطيني المرحلي والاستراتيجي . ."(٢٦٥).

وعلى خلفية المواقف من مؤتمر مدريد جرت بعض الاشتباكات بين انصار فتح وحماس، كان من ابرزها في تلك الفترة ما وصف بأنه اعتداء على فيصل الحسيني في طولكرم اثناء محاضرة له بتاريخ ١٩٩١/١٢/٣٠ وما اعقب ذلك من قتل احد نشيطي حماس في مخيم طولكرم، وبعد ذلك استمرت الاشتباكات المتفرقة بين الطرفين ومحاولات وضع حد لها كما تحدثنا سابقا.

لقد وضع الاخوان المسلمين في مصر تفسيرا "سهلا" لمشكلة ما اسموه "بتهالك" كثير من الحكومات العربية وقيادة منظمة التحرير الفلسطينية على المشاركة في مؤتمر مدريد، ان هذا الاستغراب سرعان ما يزول عندما يعزي الاخوان تلك التصرفات الى ما اسموه "بعد القيادات عن الاسلام واخراجها له من المعركة"(٢٦٦).

اما حركة الجهاد الاسلامي وحزب التحرير فقد اختلفت نظرتهما الى منظمة التحرير وطريقة تصرفاتها حيال المؤتمر. فكما اوضحنا سابقا فان حزب التحرير لا

يعتبر منظمة التحرير الفلسطينية منظمة لتحرير فلسطين بل "لتسليمها". فالمنظمة برأي حزب التحرير "تتهافت على الصلح مع اليهود . . . والمنظمة تعتبر ان كونها هي الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني، واشراكها في مفاوضات الصلح مع اليهود هو جوهر القضية، وليس انهاء الاحتلال اليهودي لفلسطين"(٢٦٧).

كما استمرت حركة الجهاد الاسلامي في موقفها من منظمة التحرير ومؤسساتها، فنفت ان يكون لها اي علاقة بالصراع السياسي على تلك المؤسسات. وضمن ذلك نفت الحركة ان يكون لها اي علاقة بأي شخص يشترك في اللجان التحضيرية للمجلس الوطني كما نفت ان يكون لها علاقة بالبيان الذي صدر عن عمان ودعى الى مشاركة حركة الجهاد في المجلس، واعتبرت الموقف الذي اتخذه الشيخ اسعد بيوض التميمي بحضور المجلس الوطني موقفا شخصيا لا يعبر عن خط الجهاد الاسلامي لا من قريب ولا من بعيد(٢٦٨).

ويبدو ان حركة الجهاد الاسلامي قد اعتبرت ان محاولة ياسر عرفات اقناع الشيخ التميمي بحضور المؤتمر الأخير للمجلس الوطني تهدف لشق حركة الجهاد، فحملته شخصيا - أي ياسر عرفات - "المسؤولية الكاملة عبر دعم المجموعات والشلل الهادفة لخلق انشقاقات في صفوف الحركة"(٢٦٩). ومن ثم قامت بالاعلان صراحة عن ان الوحيدين المخولين بالحديث اسم الحركة ويمثلانها هما الدكتور فتحي الشقاقي وعبد العزيز عودة(٢٧٠).

العلاقة المتبادلة بين الاسلاميين خلال مؤتمر مدريد

لقد حدث بعض التقارب بين الحركات الاسلامية نظرا لموقفها المشترك في رفض مؤتمر مدريد، الا ان كلا منها بقي "مخلصا" لمرجعيته الفكرية ولغته وخصوصيته التنظيمية، واستمر التنافس بين الكتل الاسلامية المختلفة في بعض المواقع في الاراضي المحتلة كما حدث اثناء الانتخابات الأخيرة لمجلس طلبة كلية ابو ديس عندما تنافست ثلاثة كتل بينها اثنتان اسلاميتان واحدة مؤيده لحماس واخرى للجهاد.

وفي قطاع غزة جرى نزاع بين مجموعات من انصار الحركتين، جرى على اثره لقاء مشترك بين حماس والجهاد الاسلامي لتطويق ذلك، ومن ثم نشرت مجلة فلسطين المسلمة مقالا اكد على ضرورة تلافي اي خلاف بين الحركات الاسلامية وحذر من محاولات "العدو وعملائه" لتفريق الصف(٢٧١).

ومع ان مؤشرات التقارب بين الجهاد الاسلامي وحركة حماس قد ظهرت من فترة لاخرى بعد مؤتمر مدريد مثل البيان المشترك الذي تحدثنا عنه قبل قليل، والمشاركة في التوقيع على بيانات مشتركة مع القوى الاخرى الرافضة للمؤتمر وتوجيه حركة حماس بتحياتها الى ايران على اثر الدعوة الايرانية لعقد مؤتمر لنصرة القضية الفلسطينية في طهران بين (٩-١١) / ١٠/١٩٩١(٢٧٢)، الا ان هذا التقارب كان سياسيا على خلفية كفاحهما ضد مؤتمر مدريد ومشاركة الفلسطينيين فيه ولم يكن تقاربا ايديولوجيا او تنظيميا بأي شكل من الاشكال، والدليل على ذلك ان هذا التقارب صاحبه ايضا تقاربا مع التنظيمات اليسارية الرافضة للمؤتمر مثل الجبهة الشعبية والحزب الشيوعي الثوري، واصبحنا نرى مشاركة لانصار حماس والجبهة الشعبية في بعض النشاطات الجماهيرية بينما لم تجر مشاركة لانصار حزب التحرير او الجهاد الاسلامي في نشاطات حماس مثلا.

ان هذا المستوى من التقارب بين حماس والجهاد الاسلامي ملفت للنظر بعض الشيء وان كان ما زال جنينيا، ولكن لا ريب، فالأكثر "غرابة" هو التقارب الذي حدث بين حماس والتنظيمات الماركسية وبينها الحزب الشيوعي الذي طالما اكد انصار حماس عدم امكانية، او حتى عدم شرعية التنسيق معه. اما حزب التحرير فلقد استمر في "عزفه المنفرد"، حيث لم يوقع بيانا مشتركا مع احد، ولم يتحدث عن الحركات الاسلامية الاخرى لا سلبا ولا ايجابا وحافظ على مواقفه وتفرده المعهود.

*　　*　　*

الفصل الرابع

الاسلاميون الفلسطينيون . . . نظرة مستقبلية

قبل حوالي السنتين قلنا ان محاولة التنبؤ بما يجري على الساحة الفلسطينية عملية في غاية الصعوبة نظرا للخطوط العديدة التي تتشابك حول القضية الفلسطينية، وقلنا ايضا ان عملية التنبؤ تلك يجب ان تبقى في اطار العام دون الدخول في التفاصيل لئلا نتجاوز الخط الدقيق الفاصل بين التنبؤ العلمي والتنجيم(١). ومع ان بعض ما توقعناه قد حدث، مثل مسألة ازدياد الصراعات الداخلية بين التيارات الوطنية والدينية الا ان مجمل الأمور الهامة ما زالت تتفاعل بهدوء من اجل احداث اضخم على ما يبدو.

ان من الصعوبة بمكان معرفة مصير الحركة السياسية الدينية الفلسطينية، ولكن بامكاننا بحث عوامل الدفع باتجاه ازدياد هذه الحركة اجمالا وكذلك عوامل "الفرملة"، آخذين بعين الاعتبار ان ظاهرة الدين واللجوء اليه قضية موضوعية وليست "مستوردة" أو طارئة، وان الذي يخضع لاحتمال المد والجزر هنا هو الجانب السياسي الذي تتبناه الحركات التي تتخذ من الدين او فهمها له مرجعية لها. فاهتمامنا هنا هو بالاسلاموية (Islamism) كجانب ايديولوجي وسياسي بالتحديد وليس بالاسلام كدين له مبادئه المعروفة.

هناك من الاسلاميين من يعزو نمو الحركة الاسلامية الى الدين نفسه، الدين في ذاته وليس الى الظواهر التي "تتصادف" احيانا مع نمو التيار الديني، والحديث هنا عن الاسلام بالطبع. فالاسلام حسب رأي احد الاسلاميين هو "دين هذا العالم الاسلامي، وهو تراث هذه الشعوب وصانع قيمها وضميرها. وان حيوية هذا الدين، رغم الضغوط التاريخية في مواجهته، لا توازيها حيوية اي نظام اعتقادي او اجتماعي آخر عرفه الانسان على مر تاريخه كله . . . وغيبة الاسلام كانت بالعنف"(٢).

الا ان الاتجاه السائد سواء لدى الاكاديميين او السياسيين هو دراسة تطور الظاهرة الاسلاموية ضمن اطارها التاريخي وظروفها الموضوعية، فالحركة الاسلامية الفلسطينية

تعتبر نفسها جزءا من حركة عالمية، وتتصرف على هذا الاساس مستمدة زخما كبيرا اكثر من حجمها القطري، فتارة تبعث بالتهاني الى افغانستان والجزائر والاردن والسودان وتارة تتضامن مع تونس والبوسنة والهرسك . . . ان هذا الوضع لم يتجسد من قبل في حركة على المستوى العالمي الا عندما كان الشرق اشتراكيا. ومن هنا يبدو ان اي عمل تقوم به الحركة الدينية كأنه جزء من عمل اكبر يعم ارجاء العالم بأسره حيث تزداد احتمالات النصر او الثقة فيه على الاقل. ومع ان هذا الشعور "الاممي" باعث للمزيد من الاصرار عادة الا ان انهيار اي جزء منه يلقي بظلاله السلبية على الاجزاء الاخرى أيضا.

ففي الاونة الأخيرة، وتحديدا بعد انتصار الثورة الاسلامية في ايران وتسلم رجال الدين السلطة هناك، شعر الاسلاميون في كل انحاء العالم ان الذي يحلمون به منذ فترة طويلة، وتحديدا منذ انهيار الخلافة العثمانية عام ١٩٢٤ ممكن التحقيق، وتعزز هذا الحلم بعد ان وصل الاسلاميون الى السلطة في بلدان اخرى وبطرق اخرى، فعلى اثر انقلاب عسكري وصلت الجبهة الاسلامية الى السلطة في السودان وما زالت تحتفظ بها، ووصلوا الى الحكم في افغانستان بعد حرب اهلية طويلة، وكادوا يصلون للسلطة في الجزائر عن طريق الانتخابات لولا التدخل "الجراحي" لوقفها. بذلك تكون الدائرة التي يمكن ان يصل الاسلاميون الى السلطة من خلالها قد اكتلمت، فالثورة الشعبية اوصلتهم في ايران، والحرب الاهلية اوصلتهم في افغانستان، والانقلاب على الديمقراطية اوصلهم في السودان، والديمقراطية كادت ان توصلهم في الجزائر. لقد اصبح كل ذلك ماثلا امامهم في الوقت الحاضر، بعد ان كان الوصول الى الحكم مسألة تعود اكثر من الف عام الى الوراء.

وجاء انهيار الحكومات الاشتراكية في اوروبا الشرقية، والشكل الدرامي الذي تم فيه ذلك دافعا جديدا للقوى الاسلامية، حيث اعتبر الاسلاميون ذلك دليل صحة لتنبؤاتهم القاضية بانتصار الاسلام في النهاية. فهم عادة ما يصنفون "الايديولوجيات" السائدة في العالم الى ثلاث : اشتراكية ورأسمالية واسلام، فالآن ذهبت الاشتراكية وبقي ان تذهب الرأسمالية حتى يسود الاسلام العالم!؟

ان ما جرى في البلدان الاشتراكية لم يعط دفعة للقوى الاسلامية بهذا الشكل

المباشر فقط، بل وادى نفس الغرض بصورة غير مباشرة حيث ادت سيطرة العالم الغربي وخاصة الولايات المتحدة، وذلك تحت عنوان النظام العالمي الجديد، والتصرف العدواني لهذا النظام الذي بدى وكأنه موجه بالدرجة الأولى ضد العرب والمسلمين وتجاهل حقوقهم، ادى بالكثيرين الى التحصن بالاسلام لا تدينا فقط ولكن في كثير من الاحيان كهوية. لقد صرح المفكر الفرنسي الذي اعلن اسلامه قبل سنوات، روجيه غارودي، ان جوهر المشكلة هو ادعاء الغرب بأنه سيد العالم واستاذه الأكبر وانه يبدو لكثير من المثقفين الاسلاميين انه لا يوجد خيار آخر بين تقليد الغرب وتقليد الماضي وان هذا الرد عند المثقفين هو ذو طابع اخلاقي اكثر منه ديني(٣).

فالمسألة فيما يتعلق بالاسلام اليوم انه يعتبر عند كثيرين (حتى من غير المتدينين) الحصن الذي يبدو منيعا ويقع في الركن المقابل الذي لا بد من التمترس فيه امام هذا الزحف الغربي العاصف، ويبدو انه الرد على تخاذل الانظمة المحلية وتذيلها للغرب بصورة ذليلة في معظم الاحيان، واذا كان الغرب سيفرض "استاذيته" فالرد عند الكثيرين من الاسلاميين هو طرح "استاذية" الاسلام المضادة، واذا كان الحكام صغارا "فالله اكبر" !

فالنظام العالمي الجديد يمارس تجاه المسلمين والعرب سياسة "الدفع الى الحائط"، هذه مسألة يصعب الشك فيها على ضوء ممارسات ذلك النظام، فالغرب (خاصة الولايات المتحدة) تعود ان لا يعيش بدون اعداء، بل ان وجود العدو هو احد وسائله للحفاظ على توازنه الداخلي، وبعد زوال الاتحاد السوفياتي لا بد من عدو جديد للغرب، وفي هذا الزمن الذي "عز" فيه على الولايات المتحدة وجود اعداء "يليقون بالمقام" بدت "الاصولية" الاسلامية وكأنها المرشح الوحيد. لقد دعم الغرب بعض الاسلاميين عندما كان ذلك في مواجهة عدوه الاساسي الشيوعية، اما الان عندما لم تعد تشكل الشيوعية ذلك الخطر فهل يتحول الاستعمار من مشجع للحركة الاسلامية امام الشيوعية الى نقيض لها.

ان العداء الغربي للحركة الاسلامية مفيد لها من حيث كونه يضع الحركة كمتحد للصلف الغربي في اعين الجماهير، ويكون هذا واضحا عندما يتعلق الامر باسرائيل التي احترف رئيسها الكلام عن الحركة الاسلامية سواء في جولاته في الخارج او امام

الزوار في اسرائيل. فيتحدث باستمرار عن الخطر "الاصولي" الاسلامي الزاحف الذي "يهدد" الديمقراطية والمدنية. ان كلام هيرتسوغ واضح للكثيرين حيث يقوله بطريقة مخابراتية اكثر منها علمية او سياسية، وهو في حين يريد ان يؤلب الغرب على العرب والمسلمين ويظهر اسرائيل وكأنها الخط الأول للدفاع عن الغرب امام هؤلاء، فان كلامه يفسر عند المسلمين الفلسطينيين خاصة لصالح الحركة الاسلامية.

فالدعاية الغربية عن الحركة الاسلامية اكبر من ان تكون مجرد دعاية عن حركة سياسية تتصاعد في مكان ما من العالم، صحيح ان على الغرب ان يبالغ في قوة "عدوه" حتى يبرر عداءه له، وهو يريد من وراء المبالغة هذه في قوة الحركة الاسلامية ان يبرر استمرار انقضاضه على المنطقة تماما كما فعلت الدعاية الغربية بالنسبة لقوة العراق، والقوة النووية العراقية، ورابع اقوى جيش في العالم، فصدقته جماهيره وصدقته الجماهير العربية ايضا وهو الوحيد - ويفترض معه الحاكم العراقي - الذي كان يعرف انه يكذب. ان السياسة الغربية التي ثبت نجاحها في هذا المجال هو انه اذا اردت ان تفجر بالونا عليك بنفخه اولا، وهذا الوضع يجعل الحركة الاسلامية موضع جذب للجماهير المسلمة.

ان الشيء الوحيد الذي باتت الجماهير العربية متؤكدة منه، هو ان وضعها السياسي والاقتصادي والاجتماعي الحالي لم يعد مقبولا على الاطلاق، فبالنسبة للسواد الاعظم من الناس ليس هناك اكثر ضرورة من التغيير، والحركة الاسلامية الآن تبدو للكثيرين وكأنها اداة للتغيير، بل هي الاداة الوحيدة بعد ان ضربت الحركة الاشتراكية التي مثلت اداة للتغيير في فترة من الفترات.

لقد جاءت حرب الخليج لتظهر للجماهير العربية والفلسطينية مدى العقم الذي توجد فيه الانظمة، واعتبر البعض ان تلك الحرب "قد وجهت ضربة شديدة الايلام للتيار القومي العربي، دافعة بذلك الاسلام والحركة الاسلامية الى مركز الثقل في السياسة والوعي والعمل الجماهيري العربي"(٤). وعلى الصعيد الفلسطيني اعتبر ذلك الكاتب ان من نتائج حرب الخليج ان "اصبحت وحدانية تمثيل المنظمة للفلسطينيين محل تساؤل وشك وجاء دور الحركة الاسلامية لينافس المنظمة في هذا الوقت"(٥).

ومن العوامل التي تخلق جوا مريحا للعمل الاسلامي، مدى التغلغل الذي وصل اليه الايمان "الشعبي" الاسلامي عند الكثيرين من ابناء الفئات الدنيا في المجتمع، وعمل الحكومات العربية والاسلامية الدائم على نشر الارضية الفكرية للعمل الاسلامي وذلك من اجل الظهور وكأنها مسلمة وتتبنى الاسلام، حتى في الظروف التي تتصارع فيها مع الاسلام السياسي، فيضرب الشق السياسي ويغذى الجانب الايديولوجي الذي يعود ليولد الجانب السياسي، وهكذا تجد الحكومات نفسها في كثير من الاحيان تضرب "اعداءها" الاسلاميين وتعيد انتاجهم عبر التركيز على نشر الايديولوجيا الدينية في وسائل الاعلام. وعلى سبيل المثال، ففي الوقت الذي تشتبك فيه القوات الحكومية المصرية بالسلاح مع الاسلاميين في ديروط لا يكف التلفزيون المصري عن الاتيان بالشيخ الشعراوي وغيره من اجل التنظير للعمل الاسلامي. وفي الوقت الذي تتنافس فيه فتح مع حماس فانها ترفع المزيد من الشعارات الدينية.

ونظرا لوجود هذا الايمان الشعبي الكبير، تستمد الحركة الاسلامية الفلسطينية اهميتها من موقعها الذي لا يبدو وكأنها تطالب بحق سياسي فقط بل وبحق ديني، ولقد بدت الأمور وكأن الحركة الوطنية قد اعطت احقية الدفاع عن القضايا التي تتعلق بالأمور الدينية للحركة الاسلامية، لقد انتهت الأمور وكأن تقسيما للعمل النضالي والعمل الجماهيري قد تم بين الحركة الدينية والحركة الوطنية، فعندما يتم الاعتداء على المحكمة الشرعية او مسجد من المساجد تتولى الحركة الاسلامية مسألة التصدي لذلك اكثر من غيرها، بينما عندما يتم الاعتداء على مدرسة او جامعة تكون اولوية التصدي للحركة الوطنية. ان هذا العمل يضفي هالة من القدسية على عمل الحركة الاسلامية بينما يبقى عمل الحركة الوطنية في دائرة العمل السياسي البحت.

أما بالنسبة لكوابح العمل الاسلامي في الاراضي الفلسطينية المحتلة فتبدو ضئيلة في ظل الظروف السائدة حاليا، وباستثناء تعدد الحركات الاسلامية واختلافاتها وتخوف فئات لا بأس بها من الجماهير من امكانية خنق الديمقراطية والتضييق على الحريات الشخصية التي يمكن ان يقوم بها الاسلاميون، فان الامور تبدو ممهدة للاستمرار في نمو العمل الاسلامي، حيث فقد الجانب الوطني السائد حاليا الكثير من "قوته الدافعة" نظرا لعدم امكانيته لاسباب موضوعية غالبا وذاتية احيانا من تحقيق شيء ملموس على المستوى الوطني.

ان الجماهير لا تتخوف من الطروحات الاقتصادية للاسلاميين، ولا هي معنية أصلا بأي طروحات اقتصادية. أما البرنامج السياسي فيلعب دورا هاما ولكنه باعتقادي لا يصل في الظروف الحالية الى اهمية الجانب الاجتماعي والسلوكي للحركة السياسية، ففي مجتمع ضيق وشخصاني فان ذلك يلعب الدور الاهم في مدى قبول او رفض الجماهير لتلك الحركة.

فالديمقراطية والحريات الشخصية والتعددية ومسألة التعامل مع الآخر، قضايا هامة جدا بالنسبة حتى للافراد الفلسطينيين العاديين، وتكون اكثر اهمية عندما يتعلق الأمر بالمثقفين. وفي حين لا يؤمن حزب التحرير بالديمقراطية على اعتبار انها مسألة غربية كما سبق وذكرنا، الا انه لم يمارس دورا قمعيا ولم يحاول كبت الرأي على المستوى العملي اليومي لانه يعتبر ذلك من مهمات الدولة الاسلامية، كما ان حركة الجهاد الاسلامي كمنظمة ركزت على العمل العسكري ضد الاحتلال اكثر من رغبتها في ان تكون منظمة سياسية جماهيرية، فلم تتدخل في السلوك اليومي للافراد ايضا من منطلق ان ذلك من مهمات الدولة من ناحية، ثم ان ذلك لن يصل في اهميته الى مستوى مناهضة الاحتلال من ناحية اخرى، فان الاخوان المسلمين وحركة حماس بالتحديد بدأت تتحدث - وان كان بشكل مقتضب حتى الآن - عن مسألة الديمقراطية والحرية وخاصة حرية التعبير. فحركة الاخوان المسلمين تاريخيا و"ذراعها" حركة حماس حديثا، ورغم انهما خاضتا الكثير من الصراعات مع التنظيمات الاخرى ومع بعض الافراد على خلفية امور تدخل في اطار الحرية الشخصية وحرية التعبير، الا انهما تحاولان الآن، كتنظيمين براغماتيين بالدرجة الأولى، التصالح مع لغة العصر واعتماد مفاهيم مثل حقوق الانسان والديمقراطية وان كانت تطرح على اعتبار انها "شوراقراطية" في بعض الاحيان.

لقد كتب احد الاسلاميين مقالة يحث فيها على التمسك بحقوق الانسان ولام بعض "علماء" المسلمين الذين كانوا الى جانب الحكومات سببا في التنكر لحقوق الانسان وقال : "ولا يضير الاسلاميين ان يسمعوا ان حقوق الانسان مبدأ غربي حديث وهو يطبق بكفاءة عالية في بلاد الغرب"(٦). كما ان حماس، وحيث انها تعتقد انها "مسلوبة" لبعض حرياتها في الاراضي المحتلة من قبل الجانب الوطني وخاصة حركة فتح، فانها تدعو الى حرية التعبير بين الفينة والاخرى مؤخرا كما ورد. انه يبدو

واضحا انه كلما اقتربت الحركة الاسلامية من مسألة الديمقراطية والحرية الشخصية فانها ستجد قبولا اكثر عند المزيد من الجماهير وخاصة المثقفين منهم.

ان وضع الحركة الاسلامية الفلسطينية سيعتمد بالدرجة الأولى على وضع المسألة الفلسطينية ككل، فكلما بدى الحل ابعد كلما طرحت مسألة البديل للجانب الوطني المسيطر حاليا، ولن يكون بديلا في الظروف الحالية الا الاسلاميين. كما ان الوضع الاقتصادي له تأثير كبير ايضا، فكلما ازداد الوضع الاقتصادي سواء كلما ازداد ميل الجماهير نحو البحث عن البديل. كما أن ظروف البلدان التي وصل فيها الاسلاميون الى الحكم (ايران، افغانستان، السودان) وتصرفات حكوماتها وانجازاتها سوف تنعكس سلبا او ايجابا على مستقبل الحركة الاسلامية الفلسطينية.

كما ويملك الغرب، وطريقة تعامله مع المسلمين والعرب كثيرا من الاوراق التي تلعب دورا في مستقبل العمل الاسلامي. فان استمر الغرب في تعامله "بفوقية" مع المسلمين، وفي تجاهله لمشاكل شعوب البلدان العربية والاسلامية، فان النقمة على الغرب وعلى "النظام الجديد" ستزداد، ومن المعروف تاريخيا ان احد اهم اسباب نشوء الحركة السياسية الاسلامية كان "الرد" على النفوذ الغربي "الاخلاقي" والثقافي والسياسي.

*　　*　　*

خاتمة

بغض النظر عن مدى الاتفاق او الاختلاف حول مفهوم النظام العالمي الجديد، فانه لمما شك فيه بأن هناك وضعا دوليا جديدا يسود، وان متغيرات دولية جذرية حدثت خلال العامين الماضيين لم يحدث مثلها او شبيها لها منذ الحرب العالمية الثانية.

ورغم قصر المدة التي جرت فيها هذه المتغيرات، فان حدتها جعلت مسألة الاعتراف بها والتعامل معها بالقبول او الرفض مسألة حتمية، ليس فقط عند اولئك الذين يحملون "قرونا" للاستشعار بالجديد فيتكيفون على اساس ما هو قادم، سواء اولئك الذين يحاولون الاشتراك في الاتيان بذلك الجديد ام الذين عليهم الاستقبال فقط، بل حتى كذلك عند الحركات الاصولية والسلفية التي يبدو لها الجديد عادة "مؤامرة".

لقد القت المتغيرات العالمية الجديدة بظلالها على الحركة السياسية الفلسطينية، علمانية كانت ام اسلامية. ومع ان تلك الحركة بشقيها العلماني والاسلامي بدت وكأنها فوجئت تماما بتلك المتغيرات، ولا تلام في ذلك كثيرا، الا انها تفاوتت في رد فعلها على ذلك، وان كان رد فعل الاسلاميين اقل حماسا نظرا لارتباطهم بايديولوجيا، ليس من السهل المحاولة لتطويعها كلما حدثت متغيرات "دنيوية"، والا بدوا اكثر براغماتية مما تسمح لهم ايديولوجيتهم بذلك.

الا ان ثبات الايديولوجيا لا تعني ثبات التعامل مع الاحداث بالضرورة، خاصة وان الحركة الاسلامية قد "استفادت" من الاحداث العالمية والمحلية الجديدة، ليس لكونها الاحق بالاستفادة، فهي مثل خصمها "الوطني" لم تساهم بصنع تلك الاحداث، بل لكونها طرحت نفسها في الفترة الأخيرة كمعارض لما كان يسود.

لقد انتصرت المعارضة في العالم على اثر تفاعلات ما بعد الحرب العالمية الثانية والتي تتوجت بالاعلان عن النظام العالمي الجديد، وهزمت السلطة في كل مكان في العالم تقريبا بغض النظر ان استطاعت البقاء في مراكز الحكم ام لا. ففي الاتحاد السوفياتي السابق وكذلك بلدان اوروبا الشرقية هزم "الشيوعيون"، وفي بلدان العالم الثالث هزمت الانظمة القومية-الدينية السائدة، وفي العالم العربي هزم "الكوكتيل"

الحاكم "بتقدميه" وبانظمته القروسطية. وفي الغرب وكذلك في الولايات المتحدة بالذات يهزم الآن حتى اولئك الذين اعلنوا عن قيام النظام العالمي الجديد.

فلقد كان من حظ الحركة الاسلامية انها في المعارضة او هكذا بدت فسجلت نقاط انتصار لكونها معارضة، ويبدو انها ستبقى تسجل تلك النقاط ما زالت في ذلك الموقع. وأوضح دليل على ذلك ان الحركة الاسلامية في ايران، وكذلك في افغانستان، وصلت قمة شعبيتها في اللحظة التي وصلت فيه الى السلطة، الا ان تلك اللحظة نفسها كانت بداية التراجع لتلك الحركات.

ما زال الوضع في فلسطين لصالح الحركة الاسلامية، فقط لكونها حركة معارضة حتى الآن. لقد بدت السلطة في البلدان العربية وكأنها مستعدة للقبول وبأي شيء من اجل ان تبقى سلطة، وضمن ذلك قبلت لنفسها ولشعوبها بالركوع امام صلف الغرب، ولم يحاول احد من الحكام الانتحار على الطريقة اليابانية مع ان الفرصة سنحت لبعضهم مرارا، وشعرت الشعوب العربية وكأنها تفقد ذاتها امام ذلك الصلف الغربي، ووجد الكثيرون انفسهم في وضع يبدو فيه التمسك بالاسلام الطريقة الوحيدة للحفاظ على بقايا الذات، ويبدو فيه المضطهد (بكسر الهاء) اللااسلام كله.

الا انه لم تكن كل الامور التي جاء بها النظام العالمي الجديد في صالح الفكر التقليدي للحركة الاسلامية، فالانتصارات التي سجلها الخصم في هدفه وحسبت لصالح الحركة الاسلامية، كانت سياسية اكثر منها فكرية. لقد طرح النظام الجديد مفاهيما مثل "الديمقراطية" و"التعددية" لم يكن من السهل على الحركة الاسلامية بحكم ايديولوجيتها ان تتعامل معها بسهولة، وان كان بعض مفكريها يجهدون انفسهم لايجاد مخارج فكرية لذلك. لقد طرح النظام الجديد مسألة التعامل مع الآخر والقبول به، ومن المعروف انه اذا اردت ان تفهم الآخر فيجب ان تحاول تقمصه والاتصال به، تماما مثلما يجب ان تنفصل عن ذاتك عندما تريد فهمها جيدا.

انطلاقا من ذلك، فلقد بدأ بعض المفكرين الاسلاميين كما اوضحت هذه الدراسة، يطرقون لغة جديدة ومسائل جديدة مثل الديمقراطية وحقوق الانسان بدت لفترة طويلة وكأنها لغة "الاخرين"، وبدت مسألة التحديث الفكري تدغدغ عقول الكثيرين

منهم. لقد كان من الطبيعي ان يصحب التحديث السياسي عند الاسلاميين تحديثا فكريا.

الا ان مسألة التغيير عند اصحاب الافكار الشمولية ليست بالمسألة السهلة، ومن هنا صعوبة ذلك عند الاسلاميين. فالتغيير عند اصحاب الايديولوجيا يعني في الكثير من الأحيان "انحرافا" بينما يكون عند البراغماتيين "تموضعا" لصالح الجماهير. ومن هنا نلاحظ الاختلاف في مسألة ضرورة التغيير بين حركة اسلامية واخرى، بل وفي نفس الحركة ايضا. ان مسألة وحدة المرجعية الفكرية لا تعني بالضرورة وحدة الممارسة بل وربما تكون في كثير من الاوقات سببا في المزيد من التنافس.

لم يحقق كل الفكر الاسلامي انتصارات في المنطقة العربية لكونه لم يكن فكرا معارضا في كل المنطقة. ففي الجزائر وفلسطين وغيرها حقق الانتصارات، بينما مني ما اطلق عليه بعض المفكرين "اسلام النفط" بهزائم لكونه سلطة. الا ان من حسن حظ الحركة الاسلامية الفلسطينية السياسي، بعكس حظها المالي، ان حرب الخليج جاءت لتكون فك اشتباك لها مع اسلام النفط، ولتقلل من الخيوط التي تربطها ببلدان الخليج.

وعلى الصعيد الداخلي الفلسطيني حدثت الكثير من الأمور التي اعقبت الاعلان عن النظام العالمي الجديد. فلقد دلت الانتخابات التي جرت في مؤسسات الارض المحتلة على وجود ازمة سياسية حادة، وعلى حيرة كبيرة لدى الجماهير في اختيار طريقها السياسي رغم السير باتجاه تركيبة سياسية ثنائية القطبية، مع مؤشرات على اهتزاز الثقة بالجميع.

إن احد اهم اسباب تلك القطبية الثنائية برأينا، كون الوطنيين والاسلاميين "يتقاسمون" السلطة بشكل او بآخر، فاذا كان القرار السياسي وطنيا بالدرجة الأولى فان القرار الاجتماعي والسلوكي اليومي اسلاميا. وعلى هذا الاساس فانه في حين يسجل الاسلاميون انتصارات في الساحة السياسية لكونهم معارضة، يهزمون في الساحة الاجتماعية لكونهم سلطة، ومن هنا احد اهم اسباب حيرة الجماهير.

ومن ضمن الملاحظ سياسيا في الاراضي المحتلة ليس فقط الاشتباكات المتعددة بين

انصار الاتجاه الوطني ممثلا بفتح والديني ممثلا بحماس، بل يلاحظ كذلك "اشتباكا" وتداخلا في الشعار السياسي والفكري. كان ذلك في نفس الوقت الذي قلت فيه اهمية ذلك الشعار عند الجماهير، لصالح الشخص، تاريخه وسلوكه.

ما زالت الساحة السياسية الفلسطينية حبلى بمتغيرات كثيرة، واذا كان الهامش الذي تستطيع اية حركة سياسية محلية ان تؤثر فيه قد ضاق بشكل كبير في ظل الظروف العالمية الجديدة، فان فعل الذات له قيمة ايضا، ومن هنا فان الذي سينتصر في النهاية هو الذي سيملك القدرة على التطور وعلى العمل باتجاه صالح الجماهير.

* * *

الهوامش

هوامش الفصل الأول

١. للمزيد من التفاصيل حول تاريخ نشوء الحركة الاسلامية الفلسطينية راجع، اياد برغوثي، الاسلمة والسياسة في الاراضي الفلسطينية المحتلة، مكتب الزهراء، القدس، ١٩٩٠.

٢. Thomas Mayor, "The Military Force of Islam : The Society of the Muslim Brothers and the Palestinian problem, 1945-1948", in Zionism and Arabism in Palestine and Israel - edited by E. Kedourie and S. Haim (London Francass, 1982) p. 103.

٣. مقابلة مع احد زعماء الاخوان المسلمين، عن اياد برغوثي، الاسلمة والسياسة . . . مصدر سابق.

٤. للمزيد من التفاصيل حول علاقة الاردن بالاخوان انظر المصدر السابق.

٥. القدس، ٢٢ تشرين ثاني ١٩٨٩.

٦. النهار، ٣ أيلول ١٩٨٨.

٧. حول ملابسات انشاء حماس، راجع : اياد برغوثي، مصدر سابق.

٨. حماس، بيان ينفي وقوع انشقاق في الحركة، ١٩٩٢/٤/١٥.

٩. حماس، الميثاق، ١٤ آب ١٩٨٨، ص٥.

١٠. نفس المصدر، ص١٠.

١١. حماس، بيان رقم ٣ من حيث التوزيع، بدون رقم وتاريخ.

١٢. نفس المصدر.

١٣. بيان للاخوان المسلمين بمناسبة دخول الانتفاضة عامها الثالث، لواء الاسلام، عدد ١٠، السنة ٤٤، ٣٠ ديسمبر ١٩٨٩، ص٦٦.

١٤. حماس، الميثاق . . . مصدر سابق، ص١١.

١٥. حماس، بيان بتاريخ ١٩٩١/١٢/٢٣.

١٦. لم تسمح السلطات الاردنية لحزب التحرير بالعمل بحرية، للمزيد من التفاصيل ارجع اياد برغوثي، مصدر سابق.

١٧. حزب التحرير، منشورات حزب التحرير، ١٩٨٥/٥/٩، ص٦.

١٨. نفس المصدر ص١١.

١٩. سميح عاطف الزين، الاسلام وثقافة الانسان، دار الكتاب اللبناني، ط ٥، ١٩٧٨، ص٧١٢.

٢٠. نفس المصدر، ص١٢.

٢١. نفس المصدر، ص١٣.

٢٢. حسين بن محسن بن علي جابر، الطريق الى جماعة المسلمين، دار الدعوة، الكويت، ج ٢، سنة ١٩٨٦، ص٣٠٠.

٢٣. حزب التحرير، مصدر سابق، ص١١.

٢٤. نفس المصدر، ص٧٨.

٢٥. حزب التحرير، مفاهيم حزب التحرير، الطبقة الخامسة، القدس ١٩٥٣، ص٩.

٢٦. للمزيد من المعلومات حول حركة الجهاد الاسلامي ارجع : اياد برغوثي . . . مصدر سابق.

٢٧. نفس المصدر، ص٦٥.

٢٨. حركة الجهاد الاسلامي في فلسطين، الخطوط العامة لحركة الجهاد، بدون تاريخ، ص٤.

٢٩. نفس المصدر، ص٣.

٣٠. نفس المصدر.

٣١. نفس المصدر.

٣٢. نفس المصدر، ص٤-٥.

٣٣. نفس المصدر، ص٨.

٣٤. Satloff Robert, Islam in the Palestinian Uprising, Policy Focus, The Washington Institute for Near East Policy, no. 7, October 1988, p.3.

٣٥. وحدة الحركة الاسلامية نحو طريق امثل، البيان، عدد ٣، ١٢ فبراير ١٩٨٥، ص٢.

٣٦. حركة الجهاد الاسلامي، الخطوط العامة . . . مصدر سابق، ص٩.

٣٧. Satloff Robert, Ibid.

٣٨. وحدة الحركة الاسلامية نحو طريق امثل، مصدر سابق، ص٣.

٣٩. القيادة الوطنية الموحدة، بيان بتاريخ ١٩٨٨/١/١٩.

٤٠. حركة الجهاد الاسلامي، بيان بتاريخ ١٩٩٠/٦/١٥.

٤١. حركة الجهاد الاسلامي، الخطوط العامة . . . مصدر سابق، ص٨.

٤٢. "صوت الجماعة الاسلامية"، نشرة غير دورية تصدرها الجماعة الاسلامية في جامعات ومعاهد الضفة الغربية، عدد ١، تشرين اول ١٩٨٦.

٤٣. القضية الفلسطينية من منظور اسلامي، بدون مؤلف ودار نشر وتاريخ، ص٣.

٤٤. نفس المصدر.

٤٥. الاسلام والقضية الفلسطينية، الطليعة الاسلامية، عدد ١، السنة الأولى يناير ١٩٨٣، ص٤٨.

٤٦. اسلام محمود، المشروع الاسلامي المعاصر ومركزية القضية الفلسطينية، بدون جهة نشر، ١٤٠٩ هـ.

ص٥٢.

٤٧. البيان، عدد ٣، ١٢ فبراير ١٩٨٥.

٤٨. اسلام محمود، مصدر سابق، ص٧٢-٧٣.

٤٩. محمد صالح الحسيني، "اسرائيل ولدت لتموت"، الطليعة الاسلامية، عدد ٣، السنة الأولى، مارس ١٩٨٣، ص٥١.

* * *

هوامش الفصل الثاني

١. ارجع : اياد برغوثي الاسلمة، مصدر سابق.
٢. حركة الجهاد الاسلامي في فلسطين - بيت المقدس، بيان بعنوان "فلتشتعل ثورة السكاكين في وجه ملايين اليهود السوفيات"، بدون تاريخ.
٣. الدور الفلسطيني : النظرية - الازمة - المخرج، البيان، العدد رقم ٢، ٢٤ تشرين الثاني، ١٩٨٤، ص٦.
٤. الطليعة الاسلامية، عدد ٣، السنة الأولى، مارس ١٩٨٣، ص١.
٥. حزب التحرير، بيان حول هدف انشاء م.ت.ف. ١٩٦٤/٤/١٩.
٦. ارجع اياد برغوثي، مصدر سابق.
٧. نفس المصدر، ص١٤٣.
٨. بيان موقع باسم الاتجاه الاسلامي، جامعة النجاح الوطنية، ١٩٨٣/١٢/١٦.
٩. احمد بن يوسف، حركة المقاومة الاسلامية حماس : خلفيات النسأة وآفاق المسير، المركز العلمي للبحوث والدراسات، وورث الينوي، ص٦.
١٠. الفجر، ٢٤ تشرين الثاني ١٩٨٨.
١١. حماس، بيان رقم ٥٣، ١٤ شباط ١٩٩٠.
١٢. نفس المصدر.
١٣. احمد بن يوسف، مصدر سابق، ص٢٢.
١٤. حماس، ميثاق حركة المقاومة الاسلامية حماس، مصدر سابق. ص٤٠.
١٥. زياد ابو عمرو، الحركة الاسلامية في الضفة العربية وقطاع غزة، دار الاسوار، عكا، ١٩٨٩، ص٥٧.
١٦. حماس، مذكرة الحركة الى رئيس المجلس الوطني الفلسطيني، ٦ نيسان ١٩٩٠.
١٧. مقابلة مع الشيخ بسام جرار، عن اياد برغوثي، مصدر سابق، ص١٠٧.
١٨. حماس، الميثاق، مصدر سابق، ص٢٩.
١٩. ربعي المدهون، الحركة الاسلامية في فلسطين، شؤون فلسطينية، عدد ١٨٧، اكتوبر ١٩٨٨، ص٣٠.
٢٠. حماس، بيان رقم ٥٣، ١٤ شباط ١٩٩٠.
٢١. حماس، بيان بتاريخ ١٩٩١/١١/٦.
٢٢. حماس، نفس المصدر.
٢٣. حماس، ١٩٩١/٩/٢٢، نابلس.
٢٤. حماس وفتح، بيان مشترك، ١٩٩١/١٠/١٦.
٢٥. حماس وفتح، بيان مشترك، ١٩٩١/١١/١٦.

٢٦. حماس، بيان ٨١، ١٩٩١/١٢/١.

٢٧. نفس المصدر.

٢٨. حماس، بيان بتاريخ ١٩٩١/١٢/١٥.

٢٩. نفس المصدر.

٣٠. نفس المصدر.

٣١. حماس، بيان بتاريخ ١٩٩١/١٢/٤.

٣٢. حماس، بيان بتاريخ ١٩٩٢/١/٨، طولكرم.

٣٣. نفس المصدر.

٣٤. نفس المصدر.

٣٥. حماس، ١٩٩٢/١/٤، طولكرم.

٣٦. نفس المصدر.

٣٧. حماس، بيان ٨٣، ٤ شباط ١٩٩٢.

٣٨. نفس المصدر.

٣٩. حماس وفتح، بيان مشترك، ١٩٩٢/٣/١٣.

٤٠. حماس، بيان ٨٥، ٧ نيسان ١٩٩٢.

٤١. حماس، بيان بتاريخ ١٩٩١/١١/٦.

٤٢. حماس، بيان بتاريخ ١٩٩٢/٤/٢٤، نابلس.

٤٣. حماس، بيان بتاريخ ٩ ابريل ١٩٩٢.

٤٤. القدس العربي، لندن، ١١ آب ١٩٩٢.

٤٥. مهدي عبد الهادي، "ما بعد حرب الخليج العربي، وجهة نظر فلسطينية"، آراء فلسطينية : حرب الخليج وأبعادها PASSIA، القدس ١٩٩١، ص١٧٤.

٤٦. تجب مراعاة ان بعض نتائج الانتخابات لم تتوفر لدينا.

٤٧. راجع امنون كوهين، الاحزاب السياسية في الضفة الغربية في ظل النظام الاردني، تعريب خالد الحسن، مطبعة القادسية، القدس، ١٩٨٨ +.

Plascou A., The Palestinian Refugees in Jordan 1948-1957, London Francass, 1981.

٤٨. زكريا سليمان بيومي، الاخوان المسلمون والجماعات الاسلامية في الحياة السياسية المصرية ١٩٢٨-١٩٤٨، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٧٦، ص٣٠٦.

هوامش الفصل الثالث

١. عادل مهدي، "النظام العالمي الجديد واثره على الوضع العربي الاسلامي"، قراءات سياسية، السنة الأولى، العددان الثاني والثالث، ربيع وصيف ١٩٩١، ص٨.
٢. حزب التحرير، بيان بعنوان انسحبوا من الامم المتحدة واقيموا منظمة عالمية جديدة، ١٨ نيسان ١٩٩٢.
٣. الوعي، عدد ٥٦، السنة الخامسة، كانون الأول ١٩٩١، ص٣.
٤. حزب التحرير، سؤال وجواب ١٩٩١/٣/٩.
٥. محمد التكريتي، "النظام العالمي الجديد : تعريفه وطبيعته - بين النظرية والتطبيق"، صوت الغرباء، عدد ١، السنة الأولى حزيران ١٩٩٢، ص٩.
٦. عادل مهدي، مصدر سابق، ص٧.
٧. نفس المصدر، ص٨.
٨. نفس المصدر، ص٩.
٩. محمد التكريتي، مصدر سابق، ص٨-٩.
١٠. حماس والجبهة الشعبية . . . بيان مشترك، اواخر آب ١٩٩١.
١١. محمد عبيدات، "عرض امريكا من النظام العالمي الجديد"، الوعي، عدد ٥٥، السنة الخامسة، تشرين ثاني ١٩٩١، ص١٠.
١٢. عادل مهدي، مصدر سابق، ص١٩.
١٣. حزب التحرير، سؤال وجواب، ١٩٩١/٣/٩.
١٤. محمد عبيدات، مصدر سابق.
١٥. عاطف العدوان، سقوط الشيوعية ومستقبل الصراع العالمي، غزة، بدون دار نشر وتاريخ نشر، ص٣٧.
١٦. عادل مهدي، مصدر سابق، ص١٧.
١٧. خليل الشقاقي، "المستقبل العربي والفلسطيني بعد حرب الخليج"، قراءات سياسية، مصدر سابق، ص٤١.
١٨. نفس المصدر.
١٩. حماس، بيان رقم ٧٣، ٢١ نيسان ١٩٩١.
٢٠. حماس، بيان رقم ٨٥، ٧ نيسان ١٩٩٢.
٢١. حماس، بيان رقم ٨١، ١٩٩١/١٢/١.
٢٢. حماس، بيان رقم ٨٤، ٤ آذار ١٩٩٢.

٢٣. "هذا المزاج العنيد للامة"، الامة، عدد ٤، نيسان ١٩٩٢، ص٥.

٢٤. نفس المصدر.

٢٥. حزب التحرير، بيان بعنوان انسحبوا من الامم المتحدة واقيموا منظمة عالمية جديدة مكانها، ١٨ نيسان ١٩٩٢.

٢٦. "الحرب الفكرية بين الحضارة الاسلامية والحضارة الغربية"، الوعي، عدد ٥٦، السنة الخامسة، كانون الاول ١٩٩١، ص٦.

٢٧. محمد عبيدات، مصدر سابق، ص١١.

٢٨. ياسر الزعاترة، "اعلان دمشق في ظل النظام الدولي الجديد"، فلسطين المسلمة، عدد ٦، السنة العاشرة، حزيران ١٩٩٢، ص٣٥.

٢٩. عادل مهدي، مصدر سابق، ص٨.

٣٠. نفس المصدر، ص١٠.

٣١. نفس المصدر، ص١٦.

٣٢. نفس المصدر.

٣٣. لانسان، دار امان للصحافة والنشر، باريس، عدد ٣، السنة الأولى، كانون اول ١٩٩٠، ص٩.

٣٤. راجع اياد برغوثي، مصدر سابق، ص٧٩، وكذلك ميثاق حماس، ١٤ آب ١٩٨٨، ص٥.

٣٥. صدر بيان واحد يتعلق بالخليج بتوقيع الاخوان المسلمين - فلسطين في تشرين اول ١٩٩٠ يتحدث عن حكم الاستعانة بالكفار من ناحية شرعية.

٣٦. حماس، رسالة الى مؤتمر القمة العربي الطارىء في بغداد، ١٩٩٠/٥/٢٥.

٣٧. حماس، بيان ٦١، ٣ آب ١٩٩٠.

٣٨. حماس، بيان ٦٢، ١٣ آب ١٩٩٠.

٣٩. نفس المصدر.

٤٠. حماس، بيان ٦٣، ٢٩ آب ١٩٩٠.

٤١. حماس، بيان ٦٤، ١٩٩٠/٩/٢٦.

٤٢. البيان الختامي لمهرجان التصدي للعدوان الامريكي الصهيوني ضد الامة العربية والاسلامية، عقد في عمان بتاريخ ١٩٩٠/٨/٣١.

٤٣. نفس المصدر.

٤٤. حماس، رسالة موجهة الى حكام العالم الاسلامي عامة والرؤساء والملوك العرب خاصة، ٢٩ تشرين ثاني ١٩٩٠.

٤٥. حماس - نابلس، ١٩٩١/٢/١.

٤٦. حماس، بيان ٦٣، مصدر سابق.

٤٧. حماس، بيان ٦٤، مصدر سابق.

٤٨. الاخوان المسلمون-فلسطين، حكم الاستعانة بالكفار، تشرين اول ١٩٩٠.

٤٩. حماس، واعدوا، عدد بمناسبة العام الرابع للانتفاضة، جمادي الآخرة ١٤١١هـ.

٥٠. الاخوان المسلمون في الاردن، مهرجان التصدي . . . مصدر سابق.

٥١. حماس، بيان ٦٣، مصدر سابق.

٥٢. حماس، بيان ٦٤، مصدر سابق.

٥٣. نفس المصدر.

٥٤. حماس، بيان ٧٠، ١٩٩١/٢/٤.

٥٥. البيان الثاني للحركات الاسلامية حول حرب الخليج، مؤتمر لاهور ١٥-١٧ فبراير ١٩٩١، صدر في ١٩٩١/٢/١٧.

٥٦. حماس، بيان ٧١، ٧ آذار ١٩٩١.

٥٧. واعدوا، مصدر سابق، ص١٤.

٥٨. حماس، بيان ٦٣، مصدر سابق.

٥٩. حماس، بيان بيان ٦٢، مصدر سابق.

٦٠. نفس المصدر.

٦١. حماس، بيان ٦٣، مصدر سابق.

٦٢. نفس المصدر.

٦٣. حماس - نابلس، مصدر سابق.

٦٤. حماس، بيان ٧٠، مصدر سابق.

٦٥. واعدوا، مصدر سابق، ص١٤.

٦٦. حماس، ٨ نيسان ١٩٩١.

٦٧. حماس وفتح، بيان مشترك ١٩٩٠/٩/١٩.

٦٨. القيادة الوطنية الموحدة، ١٩٩٠/٩/١٠.

٦٩. حماس ١٩٩٠/٨/٣١.

٧٠. الاخوان المسلمون في الاردن، البيان الختامي لمهرجان التصدي . . . ١٩٩٠/٨/٣١.

٧١. حماس، بيان ٦٩، ١٩٩١/١/١٢.

٧٢. حماس، بيان ٧٠، مصدر سابق.

٧٣. واعدوا، مصدر سابق.

٧٤. حماس، بيان ٧٠، مصدر سابق.

٧٥. نفس المصدر.

٧٦. حماس، بيان ٦٤، مصدر سابق.

٧٧. نفس المصدر.

٧٨. حماس، ١٩ اكتوبر ١٩٩٠.

٧٩. حماس، رسالة الى مؤتمر القمة . . . مصدر سابق.

٨٠. نفس المصدر.

٨١. حماس، بيان ٦٧، ٣ كانون الأول ١٩٩٠.

٨٢. حماس، بيان ٦٣، مصدر سابق.

٨٣. حماس، رسالة موجهة الى صدام حسين رئيس الجمهورية العراقية، ١٤ آب ١٩٩٠.

٨٤. حماس، ٨ نيسان ١٩٩١.

٨٥. حماس، بيان ٧٠، مصدر سابق.

٨٦. حماس، بيان ٧١، مصدر سابق.

٨٧. حماس، ٨ نيسان ١٩٩١.

٨٨. حماس، بيان ٧٣، ٢١ نيسان ١٩٩١.

٨٩. حماس، بيان ٧١، مصدر سابق.

٩٠. نفس المصدر.

٩١. محمد حامد ابو النصر، بيان للاخوان المسلمين، ٢ مارس ١٩٩١.

٩٢. نفس المصدر.

٩٣. لمزيد من التفاصيل حول علاقة الاخوان المسلمين بالنظام الاردني انظر اياد برغوثي، الاسلمة . . . مصدر سابق.

٩٤. محمد حامد ابو النصر، مصدر سابق.

٩٥. حماس، رسالة الى مؤتمر القمة . . . مصدر سابق.

٩٦. نفس المصدر.

٩٧. حماس، رسالة موجهة الى حكام العالم الاسلامي . . . مصدر سابق.

٩٨. حماس، رسالة موجهة الى السيد صدام حسين . . . مصدر سابق.

٩٩. رابطة فلسطين الاسلامية، بيان بعنوان ارفعوا ايديكم عن مقدساتنا ومقدراتنا، المانيا الغربية، ١٩٩٠/٨/٢١.

١٠٠. حماس، بيان ٦٢، مصدر سابق.

١٠١. حماس، بيان ٦٩، مصدر سابق.

١٠٢. الاخوان المسلمون في الاردن . . . مصدر سابق.

١٠٣. واعدوا، مصدر سابق.

١٠٤. للاطلاع على مبادىء حركة الجهاد الاسلامي، انظر د. اياد برغوثي . . . مصدر سابق.

١٠٥. حركة الجهاد الاسلامي في فلسطين ١٩٩٠/٩/٣.

١٠٦. نفس المصدر.

١٠٧. الجهاد الاسلامي، نشرة داخلية خاصة، بيان صادر عن حركة الجهاد الاسلامي حول الوضع الراهن في الخليج، ٣١ اغسطس ١٩٩٠.

١٠٨. نفس المصدر.

١٠٩. نفس المصدر.

١١٠. نفس المصدر.

١١١. الجهاد الاسلامي في فلسطين، الوحدة الاسلامية الجهادية خيارنا والمقاومة الاسلامية طريقنا نحو الشهادة، ١٩٩٠/٨/١.

١١٢. الجهاد الاسلامي، ٣١ اغسطس ١٩٩٠.

١١٣. حركة الجهاد الاسلامي في فلسطين، ١٩٩٠/٩/٣.

١١٤. الجهاد، ٣١ اغسطس ١٩٩٠.

١١٥. نفس المصدر.

١١٦. نفس المصدر.

١١٧. نفس المصدر.

١١٨. نفس المصدر.

١١٩. نفس المصدر.

١٢٠. نفس المصدر.

١٢١. نفس المصدر.

١٢٢. نفس المصدر.

١٢٣. نفس المصدر.

١٢٤. نفس المصدر.

١٢٥. نفس المصدر.

١٢٦. نفس المصدر.

١٢٧. الجهاد الاسلامي في فلسطين، ١٩٩٠/٨/١.

١٢٨. الجهاد، ٣١ اغسطس ١٩٩١.

١٢٩. نفس المصدر.

١٣٠. نفس المصدر.

١٣١. حركة الجهاد الاسلامي . . . ١٩٩٠/٩/٣.

١٣٢. الجهاد . . . ٣١ اغسطس ١٩٩٠.

١٣٣. نفس المصدر.

١٣٤. نفس المصدر.

١٣٥. احمد فضل، الحركات السياسية الاسلامية بين الواقعية والمبدئية، الوعي، عدد ٤٥، بيروت، كانون ثاني ١٩٩١، ص٢٣.

١٣٦. حزب التحرير، ١٩٧٣/٤/٢٤.

١٣٧. حزب التحرير، حكم الاشتراك في الوزارة في الاردن، ١٩٩١/١/٢.

١٣٨. الوعي، عدد ٤٦، شباط ١٩٩١، ص٦.

١٣٩. مصدر سابق، ص١٠.

١٤٠. حزب التحرير، دردشات حول ازمة الخليج ١٩٩٠/٩/١.

١٤١. حزب التحرير، سؤال وجواب ١٩٩١/٣/٩.

١٤٢. نفس المصدر.

١٤٣. نفس المصدر.

١٤٤. حزب التحرير، دردشات حول . . . مصدر سابق.

١٤٥. حزب التحرير، قمة هلسنكي، ١٩٩٠/٩/١٠.

١٤٦. حزب التحرير، ١٩٩٠/١٠/٢٦.

١٤٧. الوعي، عدد ٤٦، شباط ١٩٩١، ص٩.

١٤٨. حزب التحرير، مشكلة الشرق الأوسط والتحركات . . . مصدر سابق.

١٤٩. نفس المصدر.

١٥٠. الوعي، عدد ٤٦، مصدر سابق، ص٣.

١٥١. مصدر سابق.

١٥٢. الوعي، عدد ٤٧، ٤٨، اذار ونيسان ١٩٩١، ص٢٦.

١٥٣. حزب التحرير، حكم الاشتراك بالوزارة . . . مصدر سابق، ص٧.

١٥٤. الوعي، عدد ٤٦، مصدر سابق، ص٢٠.

١٥٥. نفس المصدر، ص٥.

١٥٦. نفس المصدر، ص١٢.

١٥٧. حزب التحرير، دردشة حول ازمة الخليج، ١٩٩٠/١١/١٨.

١٥٨. حزب التحرير، بيان بعنوان تحليل سياسي، ٤ نيسان ١٩٩١.

١٥٩. نفس المصدر.

١٦٠. منير شفيق، ازمة الخليج واشكالية الوحدة العربية، الانسان، مصدر سابق، ص٤٥.

١٦١. نفس المصدر، ص٤٧.

١٦٢. يرى سليم تماري مثلا ان حرب الخليج قلصت من "الدور الوظيفي الذي ارتأته اسرائيل لنفسها كقوة ضاربة وحارسة للمصالح الغربية، وتدنت مكانتها من حليف استراتيجي للولايات المتحدة الى شريك ثانوي (سليم تماري، حرب الخليج ومهام المرحلة الانتقالية، في كتاب : آراء فلسطينية : حرب الخليج وابعادها، مصدر سابق، ص١٢). كذلك يرى حزب التحرير وجود بعض التناقض بين اسرائيل وامريكا فيما يتعلق بالجولان حيث تريدها الولايات المتحدة لنفسها كما سيرد.

١٦٣. خليل الشقاقي، مصدر سابق، ص٢٩.

١٦٤. نفس المصدر.

١٦٥. حماس، لا لمؤتمر بيع فلسطين وبيت المقدس، ١٩٩١/٩/٢٣.

١٦٦. عادل مهدي، مصدر سابق، ص٢٤.

١٦٧. حزب التحرير، سؤال وجواب، ١٩٩١/٣/٩.

١٦٨. خليل الشقاقي، مصدر سابق، ص٣٤.

١٦٩. بعد انهيار التضامن العربي التضامن الاسلامي ينهار، الامة، عدد ٣، شباط ١٩٩٢، ص٢٧.

١٧٠. نفس المصدر.

١٧١. ياسر الزعاترة، اعلان دمشق في ظل النظام الدولي الجديد، مصدر سابق.

١٧٢. هذا المزاج العنيد للامة، الامة، مصدر سابق.

١٧٣. حماس، بيان رقم ٨٣، ٤ شباط ١٩٩٢.

١٧٤. نفس المصدر.

١٧٥. الامة، عدد ٣، شباط ١٩٩٢، ص٧.

١٧٦. نفس المصدر، ص٢٥.

١٧٧. محمد طه محمد احمد، ثلاثة اعوام على ثورة الانقاذ في السودان، فلسطين المسلمة، عدد ٧، السنة العاشرة، يوليو ١٩٩٢، ص٣١.

١٧٨. عن : الاصلاح (الامارات)، عدد ١٦٤، السنة الخامسة عشرة، ٥ ديسمبر ١٩٩١، ص٢٨.

١٧٩. الوعي، عدد ٥٥، السنة الخامسة، تشرين ثاني ١٩٩١، ص١٩.

١٨٠. فلسطين المسلمة، عدد ٦، السنة العاشرة، حزيران ١٩٩٢، ص٦.

١٨١. فلسطين المسلمة، عدد ٧، مصدر سابق، ص٨.

١٨٢. الامة، عدد ٣، مصدر سابق، ص١٦.

١٨٣. باسل عجمان الحديد، "الجزائر الى أين"، الجهاد (الافغانية)، عدد ٨٦، مارس-ابريل ١٩٩٢، ص٤٠.

١٨٤. المجتمع (الكويتية)، ٢٣ فبراير ١٩٩٢، ص٢٠.

١٨٥. مصطفى مشهور، "انتخابات الجزائر : الانتخابات الحرة والتيار الاسلامي"، الاصلاح، عدد ١٦٩، السنة الخامسة عشرة، ٩ يناير ١٩٩٢، ص١٨.

١٨٦. الاصلاح، المصدر السابق، ص٢٦.

١٨٧. حزب التحرير، بيان بعنوان خطوط عريضة، ١٩٧٦/٥/١٨.

١٨٨. حماس - المكتب الاعلامي، رسالة لجبهة الانقاذ الاسلامية-الجزائر، ٢٨ كانون الأول ١٩٩١.

١٨٩. عن الامة، عدد ٣، مصدر سابق، ص٢٦.

١٩٠. الامة، المصدر السابق، ص١٣-١٥.

١٩١. "الى دعاة الاسلام في الجزائر"، الوعي، عدد ٥٨، السنة الخامسة، شباط ١٩٩٢، ص٨.

١٩٢. نفس المصدر، ص٧.

١٩٣. نفس المصدر.

١٩٤. الاصلاح، عدد ١٦٨، السنة ١٥، ٢ يناير ١٩٩٢، ص٤١.

١٩٥. الوعي، عدد ٥٦، السنة الخامسة، كانون الأول ١٩٩١، ص٣٥.

١٩٦. خليل الشقاقي، مصدر سابق، ص٣٥.

١٩٧. عادل مهدي، مصدر سابق، ص٢٢.

١٩٨. الاصلاح، عدد ١٦٨، ص٤١.

١٩٩. حزب التحرير، سؤال وجواب حول افغانستان، ١٩٩٢/٥/٢.

٢٠٠. حماس، بيان ٨٦، ٧ ايار ١٩٩٢.

٢٠١. حماس، بيان لحماس حول البوسنة والهرسك وافغانستان، فلسطين المسلمة، السنة العاشرة، حزيران ١٩٩٢، ص٧.

٢٠٢. الجهاد (الافغانية)، عدد ٨٨، السنة التاسعة، يوليو ١٩٩٢، ص٩.

٢٠٣. نفس المصدر، ص١٢.

٢٠٤. باسل الحديد، "افغانستان بين الواقع والطموح"، الجهاد، نفس المصدر السابق، ص٢٠.

٢٠٥. نفس المصدر، ص٢٥.

٢٠٦. حماس، بيان ٨٥، ٧ نيسان ١٩٩٢.

٢٠٧. حماس، بيان حول البوسنة . . . مصدر سابق.

٢٠٨. الوعي، عدد ٥٦، مصدر سابق، ص٣٠.

٢٠٩. المصدر السابق. ص١٥.

٢١٠. الاصلاح، عدد ١٦٤، مصدر سابق، ص٢٧.

٢١١. حماس، بيان بعنوان لا لمؤتمر بيع فلسطين وبيت المقدس، ١٩٩١/٩/٢٣.

٢١٢. حماس، بيان بعنوان لماذا نرفض مؤتمر التسوية، ٣٠ تشرين اول ١٩٩١.

٢١٣. حماس، بيان رقم ٨٢، ١٩٩٢/١/٢.

٢١٤. الجهاد الاسلامي، الانتفاضة طريقنا والمقاومة الاسلامية خيارنا نحو الله والشهادة، القدس المحتلة، ١٩٩١/١٠/٢.

٢١٥. حماس، لا لمؤتمر بيع . . . مصدر سابق.

٢١٦. "لا للمشاركة الفلسطينية في المؤتمر"، فلسطين المسلمة، عدد ١٠، السنة التاسعة، تشرين اول ١٩٩١، ص١.

٢١٧. حماس، بيان ٨٢، مصدر سابق.

٢١٨. "امريكا تربح واسرائيل تربح والعرب يخسرون"، الوعي، عدد ٥٥، السنة الخامسة، تشرين ثاني ١٩٩١، ص٤.

٢١٩. حزب التحرير، مشكلة الشرق الأوسط والتحركات الامريكية، ١٩٩١/٥/٢.

٢٢٠. الوعي، عدد ٥٥، مصدر سابق، ص٤.

٢٢١. نفس المصدر.

٢٢٢. حزب التحرير، مشكلة الشرق الأوسط . . . مصدر سابق.

٢٢٣. الجهاد الاسلامي، الانتفاضة طريقنا . . . مصدر سابق.

٢٢٤. الجهاد الاسلامي، بيان اشتمل على كلمة الدكتور فتحي الشقاقي التي وجهها الى الامة في فلسطين والشتات بمناسبة دخول الانتفاضة سنتها الخامسة، بدون تاريخ.

٢٢٥. نفس المصدر.

٢٢٦. (حماس، الجهاد الاسلامي، الجبهة الشعبية-القيادة العامة، حركة فتح-المجلس الثوري، حركة فتح-الانتفاضة، الاتجاه الاسلامي-المجاهد)، بيان مشترك، ٩ تشرين أول ١٩٩١).

٢٢٧. حركة الجهاد الاسلامي في فلسطين، بيان خاص حول مشاركة الجهاد الاسلامي في المجلس الوطني الفلسطيني، القدس المحتلة، ١٩٩١/٩/٢٥.

٢٢٨. حزب التحرير، مشكلة الشرق الأوسط . . . مصدر سابق.

٢٢٩. حماس، لا لمؤتمر بيع . . . مصدر سابق.

٢٣٠. محمد حامد ابو النصر، خطاب الى ملوك ورؤساء الدول العربية والاسلامية والى الشعوب العربية والاسلامية في كل مكان حول محاولة انهاء القضية الفلسطينية، ١٧ اكتوبر ١٩٩١.

٢٣١. (حماس، الجبهة الشعبية، الجبهة الديمقراطية)، بيان سياسي مشترك، ١٩٩١/١٠/٢.

٢٣٢. الجهاد الاسلامي، بيان خاص حول مشاركة . . . مصدر سابق.

٢٣٣. الجهاد الاسلامي، الانتفاضة طريقنا . . . مصدر سابق.

٢٣٤. (حماس، الجهاد الاسلامي . . .)، ٩ تشرين اول ١٩٩١، مصدر سابق.

٢٣٥. الجهاد الاسلامي، الانتفاضة طريقنا . . . مصدر سابق.

٢٣٦. حزب التحرير، مشكلة الشرق الأوسط . . . مصدر سابق.

٢٣٧. امريكا تربح واسرائيل تربح . . . مصدر سابق.

٢٣٨. حزب التحرير، مشكلة الشرق الأوسط، مصدر سابق.

٢٣٩. نفس المصدر.

٢٤٠. الوعي، عدد ٥٥، مصدر سابق، ص٤،٥.

٢٤١. حزب التحرير، كل صلح مع اليهود فهو باطل ولا يلزم المسلمين بشيء، الوعي، عدد ٥٥، مصدر سابق، ص٦.

٢٤٢. حزب التحرير، مشكلة الشرق الأوسط، مصدر سابق.

٢٤٣. نفس المصدر.

٢٤٤. نفس المصدر.

٢٤٥. حزب التحرير، كل صلح مع اليهود . . . مصدر سابق.

٢٤٦. نفس المصدر.

٢٤٧. (حماس، حركة الجهاد الاسلامي . . .)، بيان مشترك بعنوان فلتسقط مؤامرة التصفية ولتستمر الانتفاضة المباركة . . . بدون تاريخ.

٢٤٨. نفس المصدر.

٢٤٩. نفس المصدر.

٢٥٠. حماس، لا لمؤتمر بيع . . . مصدر سابق.

٢٥١. نفس المصدر.

٢٥٢. حماس، بيان رقم ٧٨، عن فلسطين المسلمة، عدد ١٠، مصدر سابق، ص٥.

٢٥٣. (حماس، الجهاد الاسلامي . . .)، ٩ تشرين اول ١٩٩١، مصدر سابق.

٢٥٤. حماس، لا لمؤتمر بيع . . . مصدر سابق.

٢٥٥. حماس، بيان رقم ٨٢، مصدر سابق.

٢٥٦. حماس، بيان رقم ٧٨، مصدر سابق.

٢٥٧. الوعي، عدد ٥٦، مصدر سابق، ص٧.

٢٥٨. الوعي، عدد ٥٥، مصدر سابق، ص٥.

٢٥٩. الجهاد الاسلامي، الانتفاضة طريقنا . . . مصدر سابق.

٢٦٠. حماس، ملحق بيان ٨٢، ١٩٩٢/١/٤.

٢٦١. (حماس، الجهاد الاسلامي . . .)، ٩ تشرين اول ١٩٩١، مصدر سابق.

٢٦٢. (حماس، الجهاد الاسلامي . . .)، فلتسقط مؤامرة . . . مصدر سابق.

٢٦٣. حماس، بيان بعنوان "هنيئا يا عرب"، بدون تاريخ.

٢٦٤. لا للمشاركة الفلسطينية في المؤتمر، فلسطين المسلمة، عدد ١٠، مصدر سابق.

٢٦٥. حماس، لا لمؤتمر بيع . . .، مصدر سابق.

٢٦٦. محمد حامد ابو النصر، . . . مصدر سابق.

٢٦٧. حزب التحرير، مشكلة الشرق الأوسط . . . مصدر سابق.

٢٦٨. الجهاد الاسلامي، بيان خاص حول مشاركة الجهاد . . . مصدر سابق.

٢٦٩. نفس المصدر.

٢٧٠. نفس المصدر.

٢٧١. خالد الحروب، القوى المجاهدة في فلسطين لا مجال للاختلاف، فلسطين المسلمة، عدد ٦، مصدر سابق، ص٢٦.

٢٧٢. حماس، بيان ٧٩، عن فلسطين المسلمة، عدد ١١، السنة التاسعة، تشرين ثاني ١٩٩١، ص٥.

* * *

هوامش الفصل الرابع

١. اياد برغوثي، مصدر سابق، ص١٤٣.
٢. بشير نافع، "الاسلام-الجزائر والعقل العربي"، الامة، عدد ٣، مصدر سابق. ص٤١.
٣. روجيه غارودي، مقابلة مع لوفيغارو بتاريخ ١٩٩٢/١/٣، عن الامة، المصدر السابق، ص٢٠.
٤. خليل الشقاقي، مصدر سابق، ص٢٩.
٥. نفس المصدر.
٦. مصطفى محمد الطحان، "هل لقطار حقوق الانسان محطة في بلادنا"، صوت الغرباء، العدد الأول، السنة الأولى، حزيران ١٩٩٢، ص٢٥.

* * *

المراجع

كتب

١. أحمد بن يوسف، بدون تاريخ، حركة المقاومة الاسلامية حماس : خلفيات النشأة وأفاق المسير، المركز العلمي للبحوث والدراسات، وورث الينوي.

٢. اسلام محمود، ١٤٠٩هـ، المشروع الاسلامي المعاصر ومركزية القضية الفلسطينية، بدون جهة نشر.

٣. القضية الفلسطينية من منظور اسلامي، بدون جهة نشر وتاريخ نشر.

٤. امنون كوهين، ١٩٨٨، الاحزاب السياسية في الضفة الغربية في ظل النظام الاردني، تعريب خالد حسن، مطبعة القادسية، القدس.

٥. اياد برغوثي، ١٩٩٠، الاسلمة والسياسة في الاراضي الفلسطينية المحتلة، مركز الزهراء، القدس.

٦. حركة الجهاد الاسلامي، بدون تاريخ، الخطوط العامة لحركة الجهاد الاسلامي.

٧. حزب التحرير، ١٩٥٣، مفاهيم حزب التحرير، منشورات حزب التحرير، ط ٥، القدس.

٨. حزب التحرير، ١٩٨٥/٥/٩، منشورات حزب التحرير.

٩. حزب التحرير، بدون تاريخ، منهج حزب التحرير في التغيير.

١٠. حسين بن محسن بن علي جابر، ١٩٨٦، الطريق الى جماعة المسلمين، ح ٢، دار الدعوة، الكويت.

١١. حماس، ١٩٨٨، ميثاق حركة المقاومة الاسلامية حماس.

١٢. زياد ابو عمرو، ١٩٨٧، اصول الحركات السياسية في قطاع غزة ١٩٤٨-١٩٦٧، دار الاسوار، عكا.

١٣. زياد ابو عمرو، ١٩٨٩، الحركة الاسلامية في الضفة الغربية وقطاع غزة، دار الاسوار، عكا.

١٤. سميح عاطف الزين، ١٩٧٨، الاسلام وثقافة الانسان، دار الكتاب اللبناني، ط ٥، بيروت.

١٥. صلاح عيسى، ١٩٨٧، الكارثة التي تهددنا، مكتبة مدبولي، القاهرة.

١٦. عاطف العدوان، بدون تاريخ، سقوط الشيوعية ومستقبل الصراع العالمي، غزة.

١٧. عبد الرحمن الجذامي، ١٤٠٨هـ، الاختلاف والجدل، مطبعة الرسالة، الرام-القدس.

١٨. عبد القديم زلوم، بدون تاريخ، الديمقراطية نظام كفر يحرم اخذها او تطبيقها او الدعوة اليها، منشورات حزب التحرير.

١٩. مهدي عبد الهادي وآخرون، ١٩٩١، آراء فلسطينية حرب الخليج وأبعادها، PASSIA، القدس.

٢٠. Ayubi Nazih, 1991, Political Islam : Religion and Politics in the Arab World, Routledge, London.

٢١. Plascou A. 1981, The Palestinian Refugees in Jordan 1948-1957,

Francass, London.

٢٢. Satloff Robert, 1988, Islam in the Palestinian Uprising, Policy Focus, The Washington Institute for Near East Policy, No. 7, Washington.

٢٣. Thomas Mayor, 1982, "The Military Force of Islam : The Society of the Muslim Brothers and the Palestine Problem 1945-1948", in Zionism and Arabism in Palestine and Israel, edited by E. Kedourie and S. Haim, Francass, London.

مجلات ودوريات

١. الاصلاح (الامارات)، عدد ١٦٤، السنة الخامسة عشرة، ٥ ديسمبر ١٩٩١.
عدد ١٦٩، السنة الخامسة عشرة، ٩ يناير ١٩٩٢.
عدد ١٦٧، السنة الخامسة عشرة، ٢ يناير ١٩٩٢.

٢. الامة، عدد ٣، شباط ١٩٩٢.
عدد ٤، نيسان ١٩٩٢.

٣. الانسان، عدد ٣، السنة الأولى، كانون اول ١٩٩٠.

٤. البيان، عدد ٣، ١٢ فبراير ١٩٨٥.
عدد ٢، ٢٤ تشرين ثاني ١٩٨٤.

٥. الجهاد (الافغانية)، عدد ٨٦، مارس، ابريل ١٩٩٢.
عدد ٨٨، يوليو ١٩٩٢.

٦. المجتمع (الكويتية)، ٢٣ فبراير ١٩٩٢.

٧. الطليعة الاسلامية، عدد ١، السنة الأولى، يناير ١٩٨٣.
عدد ٣، السنة الأولى، مارس ١٩٨٣.

٧. الوعي، عدد ٥٥، السنة الخامسة، تشرين ثاني ١٩٩١ - عدد ٥٦، السنة الخامسة، كانون اول ١٩٩١.
عدد ٤٥، كانون ثاني ١٩٩١ - عدد ٤٦، شباط ١٩٩١ - عدد ٥٨، شباط ١٩٩٢.
عدد ٤٧، ٤٨، انار ونيسان ١٩٩١.

٨. شؤون فلسطينية، عدد ١٨٧، اكتوبر ١٩٨٨.

٩. صوت الجماعة الاسلامية، عدد ١، تشرين اول ١٩٨٦.

١٠. صوت الغرباء، عدد ١، السنة الأولى، حزيران ١٩٩٢.

١١. فلسطين المسلمة، عدد ٦، السنة العاشرة، حزيران ١٩٩٢.
عدد ٧، السنة العاشرة، يوليو ١٩٩٢.
عدد ١٠، السنة التاسعة، تشرين اول ١٩٩١.
عدد ١١، السنة التاسعة، تشرين ثاني ١٩٩١.
١٢. قراءات سياسية، السنة الأولى، العددان ٢،٣، ربيع وصيف ١٩٩١.
١٣. لواء الاسلام، عدد ١٠، السنة ٤٤، ٣٠ ديسمبر ١٩٨٩.
١٤. واعدوا، عدد بمناسبة العام الرابع للانتفاضة، جمادي الاخرة ١٤١١ هـ
١٥. The Middle East Journal, Winter 1983.
١٦. Middle Eastern Studies, Vol. 27, No. 2, April 1991.

بيانات

١. الاتجاه الاسلامي في جامعة النجاح، ١٩٨٣/١٢/١٦.
٢. الاخوان المسلمون-فلسطين، تشرين أول ١٩٩٠.
٣. حركة الجهاد الاسلامي، ١٩٩٠/٦/١٥ - ١٩٩٠/٨/١ - ١٩٩٠/٨/٣١ - ١٩٩٠/٩/٣ - ١٩٩١/٩/٢٥ - ١٩٩١/١٠/٢.
كلمة الدكتور فتحي الشقاقي بمناسبة دخول الانتفاضة سنتها الخامسة، بدون تاريخ.
٤. حركة الجهاد الاسلامي-بيت المقدس، فلتشعل ثورة السكاكين . . . بدون تاريخ.
٥. الحركات الاسلامية، ١٩٩١/٢/١٧.
٦. حزب التحرير، ١٩٦٤/٤/١٩ - ١٩٧٣/٤/٢٤ - ١٩٧٦/٥/١٨ - ١٩٩٠/٩/١ - ١٩٩٠/٩/١٠ - ١٩٩٠/١٠/٢٦ - ١٩٩٠/١١/١٨ - ١٩٩١/١/٢ - ١٩٩١/٣/٩ - ١٩٩١/٤/٤ - ١٩٩٢/٤/١٨ ١٩٩٢/٥/٢.
٧. حماس، بيان رقم ٥٣، ١٩٩٠/٢/١٤ - بيان مؤرخ ١٩٩٠/٤/٦ - بيان رقم ٦١، ٣ آب ١٩٩٠.
بيان رقم ٦٢، ١٩٩٠/٨/١٣ - بيان مؤرخ ١٩٩٠/٨/١٤.
بيان رقم ٦٣، ١٩٩٠/٨/٢٩ - بيان مؤرخ ١٩٩٠/٨/٣١ - بيان مؤرخ ١٩٩٠/٩/٢٥.
بيان رقم ٦٤، ١٩٩٠/٩/٢٦ - بيان مؤرخ ١٩٩٠/١٠/١٩ - بيان مؤرخ ١٩٩٠/١١/٢٩.
بيان رقم ٦٧، ١٩٩٠/١٢/٣ - بيان رقم ٦٩، ١٩٩١/١/١٢.
بيان رقم ٧٠، ١٩٩١/٢/٤ - بيان رقم ٧١، ١٩٩١/٣/٧ - بيان مؤرخ ١٩٩١/٤/٨.

بيان رقم ٧٣، ١٩٩١/٤/٢١ - بيان مؤرخ ١٩٩١/٩/٢٢، نابلس - بيان مؤرخ ١٩٩١/٩/٢٣
بيان مؤرخ ١٩٩١/١١/٦ - بيان مؤرخ ١١/٣٠/ ١٩٩١.
بيان رقم ٨١، ١٩٩١/١٢/١ - بيان مؤرخ ١٩٩١/١٢/٤ - بيان مؤرخ ١٩٩١/١٢/١٥
بيان مؤرخ ١٩٩١/١٢/٢٣ - بيان مؤرخ ١٩٩١/١٢/٢٨.
بيان رقم ٨٢، ١٩٩٢/١/٢ - بيان مؤرخ ١٩٩٢/١/٤، طولكرم.
ملحق بيان ٨٢، ١٩٩٢/١/٤.
بيان رقم ٥٣، ١٩٩٢/١/٨، طولكرم - بيان رقم ٨٣، ١٩٩٢/٢/٤.
بيان رقم ٨٤، ١٩٩٢/٣/٤.
بيان رقم ٨٥، ١٩٩٢/٤/٧ - بيان مؤرخ ١٩٩٢/٤/٩ - بيان مؤرخ ١٩٩٢/٤/١٥
بيان مؤرخ ١٩٩٢/٤/٢٤، نابلس - بيان مؤرخ ١٩٩٢/٤/٢١.
بيان رقم ٨٦، ١٩٩٢/٥/٧ - بيان رقم ٣ بدون تاريخ.
بيان بعنوان "هنيئا يا عرب" بدون تاريخ.

٨. حماس وفتح، بيان مشترك ١٩٩٠/٩/١٩ - ١٩٩١/١٠/١٦ - ١٩٩١/١١/١٦ - ١٩٩٢/٣/١٣.
٩. حماس والشعبية وفصائل اخرى، اواخر/١٩٩١/٨.
١٠. حماس والجهاد الاسلامي وآخرون، ١٩٩١/١٠/٩.
١١. حماس والشعبية والديمقراطية، ١٩٩١/١٠/٤.
١٢. رابطة فلسطين الاسلامية، ١٩٩٠/٨/٢١.
١٣. ق.و.م، ١٩٨٨/١/١٩.
١٤. محمد حامد ابو النصر، ١٩٩٠/٣/٢ - ١٩٩١/١٠/١٧.
١٥. مهرجان التصدي للعدوان الامريكي الصهيوني ضد الامة العربية والاسلامية ١٩٩٠/٨/٣١، عمان.

الصحف

العربية : الاهالي المصرية - القدس الدولي.

المحلية : الشعب - الفجر - القدس - القدس الدولي - النهار